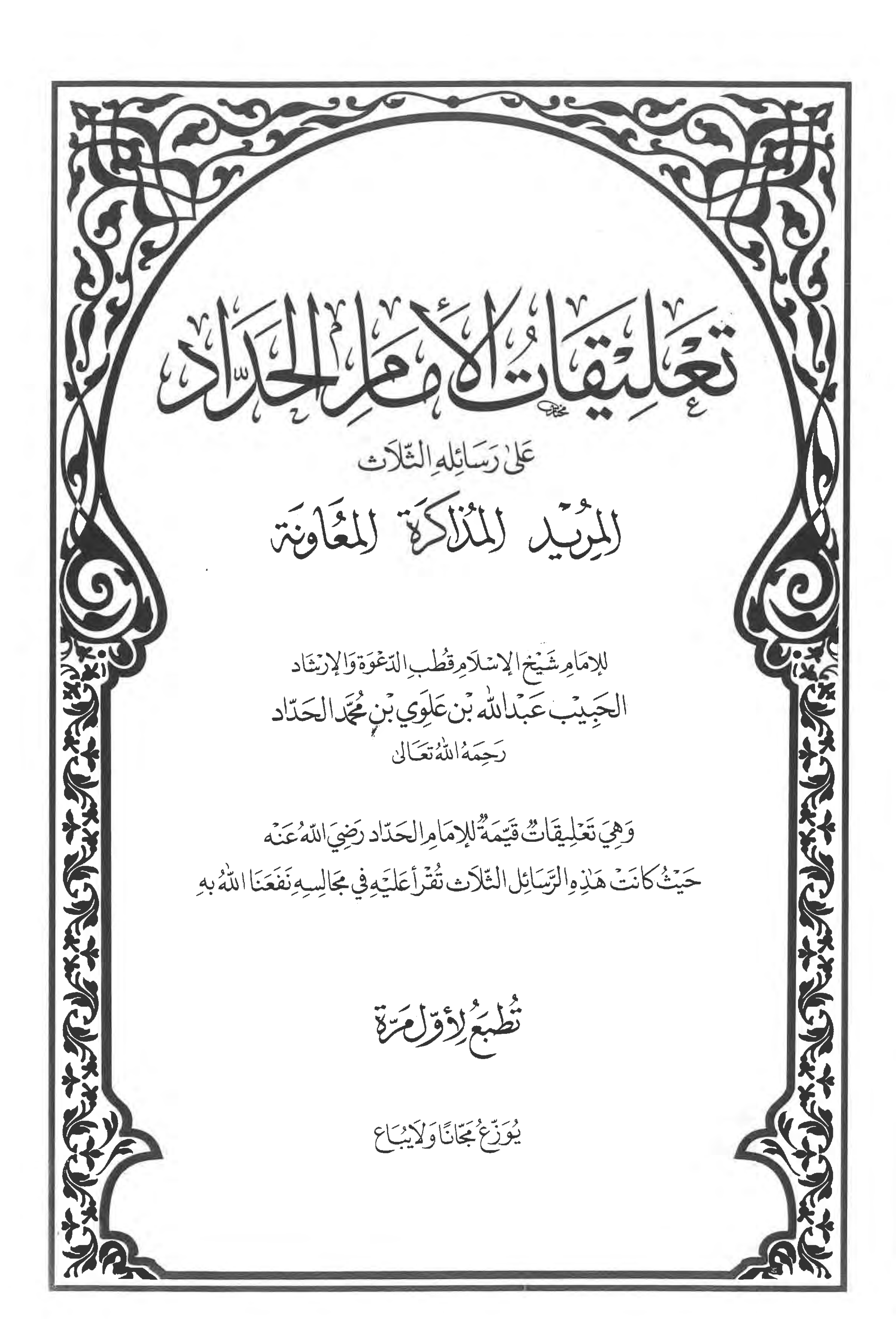


تعليقات الإمام الحداد
على رسائله الثلاث
المريد
المذاكرة
المعاونة
للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد
الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد
رحمه الله تعالى
وهي تعليقات قيمة للإمام الحداد رضي الله عنه
حيث كانت هذه الرسائل الثلاث تقرأ عليه في مجالسه نفعنا الله به
تطبع لأول مرة
يوزع مجاناً ولا يباع



تعليقات الإمام الحداد

على رسائله الثلاث

المريد المذاكرة المعاونة

للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد

الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد

رحمه الله تعالى

وهي تعليقات قيمة للإمام الحداد رضي الله عنه

حيث كانت هذه الرسائل الثلاث تقرأ عليه في مجالسه نفعنا الله به

تطبع لأول مرة

يوزع مجانا ولا يباع



مُقتَطَفات مِن كِتابِ تَثبيتِ الفُؤادِ الأُم

قال رضي الله عنه :

والمؤلفات التي ألفناها من غير سؤال أحد أبلغ و أشمل من التي سُئلنا فيها ، ولهذا لم نُجب أحداً بعد ما سأل ، لأن الذين كانوا سألوا قد مضوا . ولا شك أنَّ ما كان لله فهو أحسن ، ألا إن لله الدين الخالص .

ثم قال :

المراد بهذا الكلام في من سأل فألفنا لأجله شيئاً من الرسائل ، وأما من سأل عن مسألة أو مسألتين فأجبناه عنهما فلا يدخل في هذا .

قال الشيخ الأحسائي :

والذي سأله كتاب إتحاف السائل في أجوبة المسائل كان من ذرية الشيخ عبدالله بن محمد باعباد القديم ، لما زار سيدنا جدَّه المذكور في مقبرة مدينة شبام ورأى اجتماع الناس على سيدنا واعتقادهم فيه ، سأله مستعجزاً ليرى ما عنده من العلم ، فترك سيدنا جوابه وجعل ترك الجواب له جواباً . ثم كرر السؤال عليه مراراً وهو كان لا يجيبه ، حتى رأى الرجل جَدَّه الشيخ عبدالله المذكور وهو مُعرض عنه وغاضباً عليه ، و عالجه أن يكلمه حتى تعب الرجل من ذلك ، فقال : ما ذنبي حتى تغضب علي ؟ فقال له بعد العلاج : أتسأل السيد عبدالله الحداد مستعجزاً لترى ما عنده من العلم ، فماذا تكون أنت وعلمك ، ولامَهُ كثيراً . فانتبه من منامه متأسفاً واستغفر ودعا له ، ثم أجابه سيدنا بكتاب إتحاف السائل في أجوبة المسائل .

ا.هـ. ((تثبيت الفؤاد)) الأم



إلٰه الورى سهِّل على كل من قـرا — تصانيف حداد العُلا ما تعسَّرا

وأصلِح له كلَّ الشؤون وجُـدْ له — بعافيةٍ كبرى وأَحسِنْ له القِرى

وجـدِّد له في كلِّ حـين كرامـةً — وفضـلاً وأنعشْـهُ إذا مـا تعـثَّرا

وهب يا وليَّ الخير أنساً وراحـةً — ورزقاً حلالاً واسـعاً ومُيَسَّـرَا

نادرة الدهر ، وعلاَّمة العصر ، من أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة ، ترتوي منه الأمة في كل زمان ، الداعي إلى رب العباد ، الحبيب عبدالله بن علوي الحداد . ولد بالسُّبَير - من ضواحي مدينة تريم - ليلة الإثنين ، لخمس خلت من صفر الخير ، سنة ١٠٤٤ هـ .

نشأ بمدينة تريم ، وحفظ بها القرآن العظيم ، والإرشاد وغيره من المتون . وكُفَّ بصره وهو في الرابعة من عمره .

عني والداه بتربيته وتهذيبه . وتوفيا كلاهما في شهر رجب ، سنة ١٠٧٢هـ ، ودفنا بمقبرة زنبل بتريم .

خرج الإمام الحداد من مدينة تريم للحج في سنة ١٠٧٩ هـ ، وقصد أولاً بندر الشحر ، وأقام به نحو نصف شهر ، وزار من به من أهل الصلاح والفلاح . ثم سافر إلى بندر عدن . وكان دخوله مكة المشرفة أول يوم في شهر ذي الحجة ، واتفق تلك السنة الوقوف يوم الجمعة ، وبعد انقضاء الحج وأداء المناسك بأجمعها ، سافر لزيارة جده المصطفى ﷺ .

ثم لما كان سنة ١٠٨٣هـ بنى بيته الذي بالحاوي شرقي مدينة تريم ، واستوطنه سنة ١٠٩٩ هـ وهي ذات السنة التي وُجد فيها ابنه الحبيب حسن ، وعندما بُشِّر به قال : وُجِد صاحب الحاوي . وابتنى مسجده الذي بجانب بيته

المذكور ، ويعقد درساً بالمسجد بعد صلاة العصر كل ليلة ، وبكرة يوم الخميس والإثنين ، ويعقد حضرة بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة . وكان الحاوي مقصداً للأولياء والصالحين ، وملجأً للفقراء والمساكين ، حوطة أمان ومقر اطمئنان .

انتشر راتبه الشهير ، ووِرده اللطيف والكبير في جميع أرجاء العالم ، كما انتشرت مؤلفاته في الآفاق انتشاراً له بالغ التأثير والفائدة ، معتنياً بتهذيب النفوس وترويضها ، وهي كالتالي :

(١) رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين (أملاها على السيد : علي بن عمر بن حسين) ((مطبوع))

(٢) آداب سلوك المريد (أملاها على السيد : السيد محمد باقر باحسن) ((مطبوع))

(٣) إتحاف السائل بجواب المسائل (أملاها على السيد : علي بن عمر بن حسين) ((مطبوع))

(٤) النصائح الدينية والوصايا الإيمانية (أملاها من أولها إلى الكلام في الحج على السيد حسين بن علوي الجفري) ((مطبوع))

(٥) رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة (من أول رسالة المعاونة إلى الكلام على التوبة أملاها على : محمد بن عتيق ، ومن الكلام على التوبة إلى آخرها أملاها على السيد : محمد باقر باحسن) ((مطبوع))

(٦) سبيل الإدكار والإعتبار بما يمر بالإنسان من الأعمار ((مطبوع))

(٧) الدعوة التامة والتذكرة العامة (معظمها أملاها على ابنه الحبيب الحسين بن عبدالله الحداد ، وهي آخر مؤلفاته) ((مطبوع))

(٨) الفصول العلمية والأصول الحكمية ((مطبوع))

(٩) النفائس العلوية في المسائل الصوفية ((مطبوع))

(١٠) الحِكَم : مجموعة من حكمه العجيبة وقد شرحها العلامة المحدث محمد حياة السندي المدني ((مطبوع))

(١١) المكاتبات : وهي تحتوي على رسائله لإخوانه ومريديه والمتعلقين به وتلامذته كما خاطب فيها السلاطين والحكام فنصحهم ووجههم وأرشدهم وأنذرهم (أملا أولها على أبنائه ، ومن المكاتبات المؤرخات سنة ١١١٥ هـ إلى وفاه رضي الله عنه كلها أملاها على ابنه الحبيب علوي بن عبدالله الحداد) ((مطبوع))

(١٢) ديوانه المسمى الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم ((مطبوع))

(١٣) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد : جمعه ودوّنه مع تعليقٍ وزيادة توضيح تلميذه الأجل الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الإحسائي ((سيُطبع قريبا))

وقد استخلص منه معظم كلام الإمام الحداد حفيده الحبيب العلامة أحمد بن حسن بن عبدالله الحداد من ذات الكتاب وسماه بنفس الإسم وهو المطبوع المتداول بين الناس .

توفي الإمام عبدالله بن علوي الحداد يوم الثلاثاء ٧ القعدة سنة ١١٣٢هـ، بحاوي الخيرات بمدينة تريم ، عن عمر يناهز ٨٩ سنة إلا ثلاثة أشهر .

* * * * *

[١] هو الشيخ المنور ، العابد الناسك ، العالم المتبتل ، شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم الشجار الأحسائي ، جاور عند سيدنا الشيخ عبدالله الحداد ١٧ سنة وهو في ملازمته دواماً لا يكاد يفارقه في مجلسٍ من مجالسه العامة والخاصة مدة إقامته عنده ، ويسير معه حيث سار .

كان مقبلاً عليه مشيراً إليه ، وكان واقفاً عند إشارته وملتزماً لخدمته ، ويكتب كل ما يتكلم به في حضوره ، وكان ذا حفظٍ للعلم وطلبٍ وإتقان ، حصَّل جميع مؤلفات سيدي بقلمه وغيرها من الكتب ، وكان كثير النقل متبعاً للفوائد ، وكان يحفظ من كلام سيدي وكراماته شيئاً لا يكاد يحصى لكثرة ملازمته وانقاطعه إليه ، وكان عليه في مدة إقامته عنده وظيفة الأذان وحمل السجادة لسيدي والحبوة ، ولبس منه الخرقة ما لا يكاد يحصى وتلقن الذكر ، وكان ممتلىء القلب بتعظيمه واحترامه لا يرى في الوجود سواه من مشائخ الطريق ممن سبق ولحق .

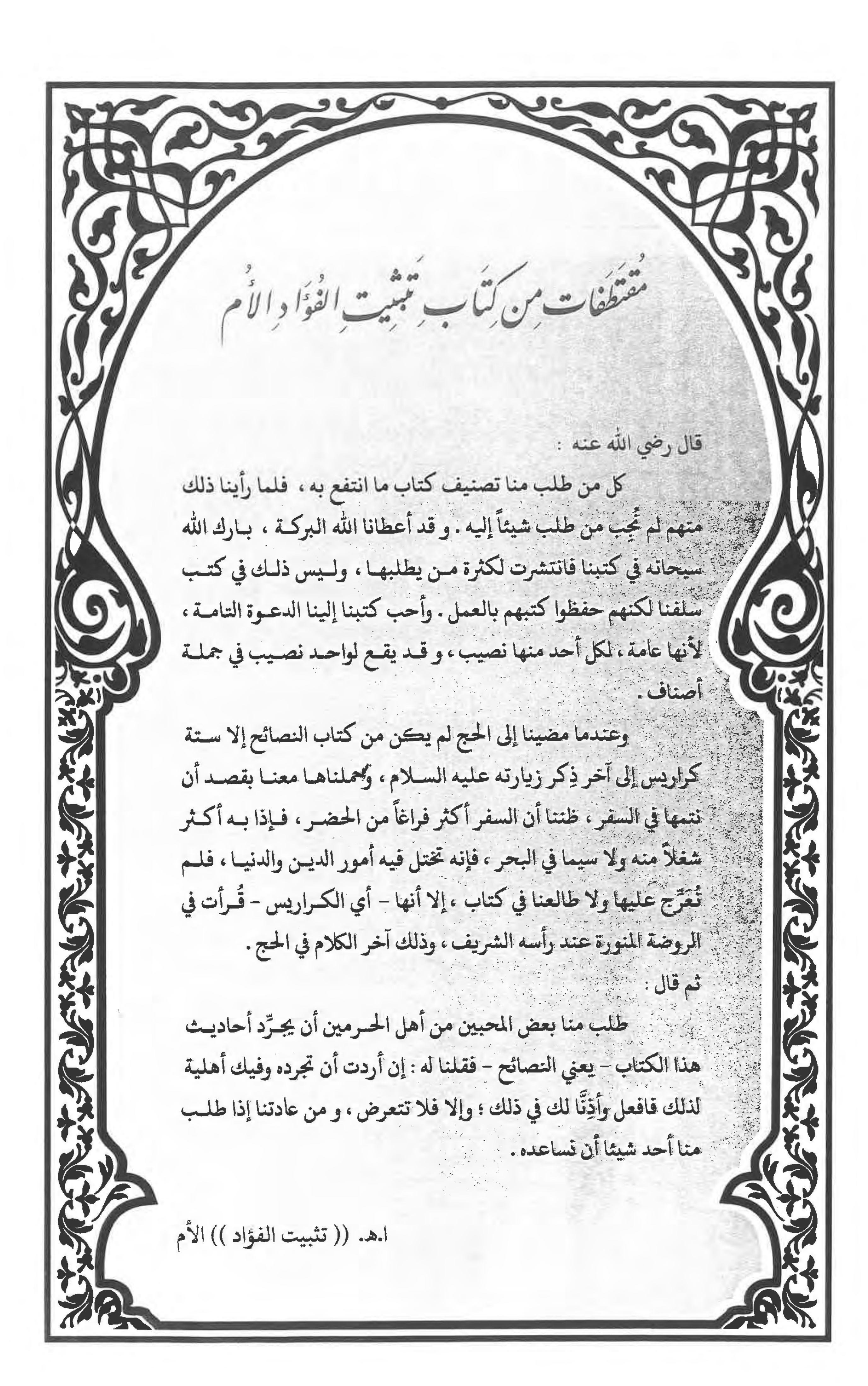
وبقي على هذا الحال حتى توفي سيدي عبدالله ثم سافر بُعيد وفاته بقليل ، وجاء إلى سيدي أحمد بن زين الحبشي وجلس عنده ١٧ يوماً قال : أقمت عند سيدي أحمد كل يوم طباق سنة عند سيدي عبدالله نفع الله بهما . وآنسه سيدنا أحمد وفرح به جداً وأظنه لبس منه الخرقة وتلقن الذكر .

---

(١) من كتاب (بهجة الزمان) للحبيب محمد بن زين بن سميط .

وكان بينه وبين السيد الجليل عمر بن عبدالرحمن البـار صـحبة واخـوة ، ومرَّ عليه إلى دوعن وأخذ عنده مدة وسافر إلى الحـرمين ورجـع وأقـام بـبلده الأحساء على سيرةٍ حميدة مع انقباض عـن النـاس كمـا هـو المحمـود في هـذا الزمان المنقوص .

* * * * *



مُقتطَفات من كتاب تَثبيتِ الفُؤادِ الأُم

قال رضي الله عنه :

كل من طلب منا تصنيف كتاب ما انتفع به ، فلما رأينا ذلك متهم لم نُجِب من طلب شيئاً إليه . و قد أعطانا الله البركة ، بارك الله سبحانه في كتبنا فانتشرت لكثرة من يطلبها ، وليس ذلك في كتب سلفنا لكنهم حفظوا كتبهم بالعمل. وأحب كتبنا إلينا الدعوة التامة ، لأنها عامة ، لكل أحد منها نصيب ، و قد يقع لواحد نصيب في جملة أصناف .

وعندما مضينا إلى الحج لم يكن من كتاب النصائح إلا ستة كراريس إلى آخر ذِكر زيارته عليه السلام ، وحملناها معنا بقصد أن نتمها في السفر ، ظننا أن السفر أكثر فراغاً من الحضر ، فإذا به أكثر شغلاً منه ولا سيما في البحر ، فإنه تختل فيه أمور الدين والدنيا ، فلم نُعَرِّج عليها ولا طالعنا في كتاب ، إلا أنها - أي الكراريس - قُرأت في الروضة المنورة عند رأسه الشريف ، وذلك آخر الكلام في الحج .

ثم قال :

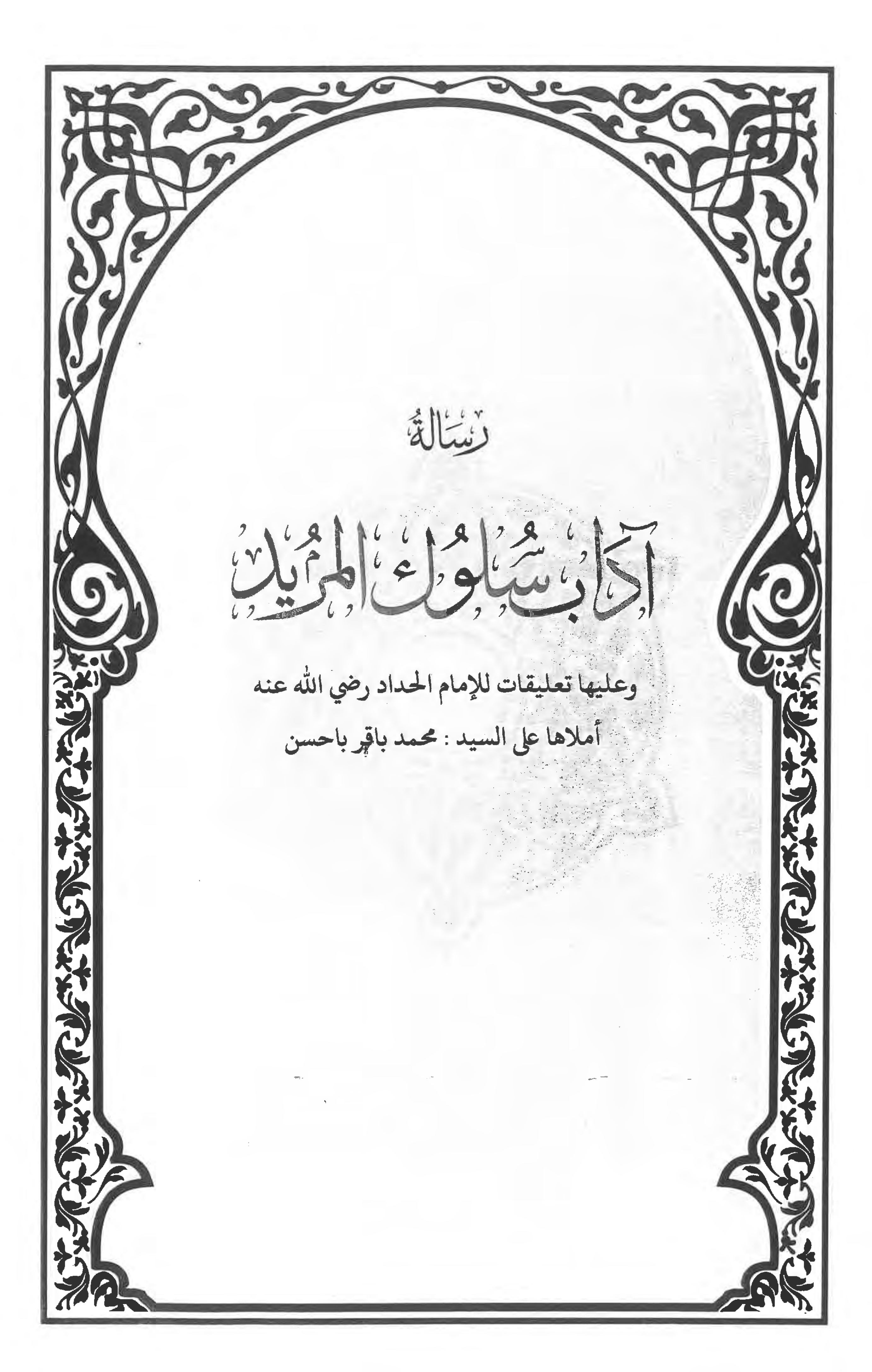
طلب منا بعض المحبين من أهل الحرمين أن يجرِّد أحاديث هذا الكتاب - يعني النصائح - فقلنا له : إن أردت أن تجرده وفيك أهلية لذلك فافعل وأَذِنَّا لك في ذلك ؛ وإلا فلا تتعرض ، و من عادتنا إذا طلب منا أحد شيئا أن نساعده .

ا.هـ. ((تثبيت الفؤاد)) الأم

صورة ضوئية من النسخة الأصل





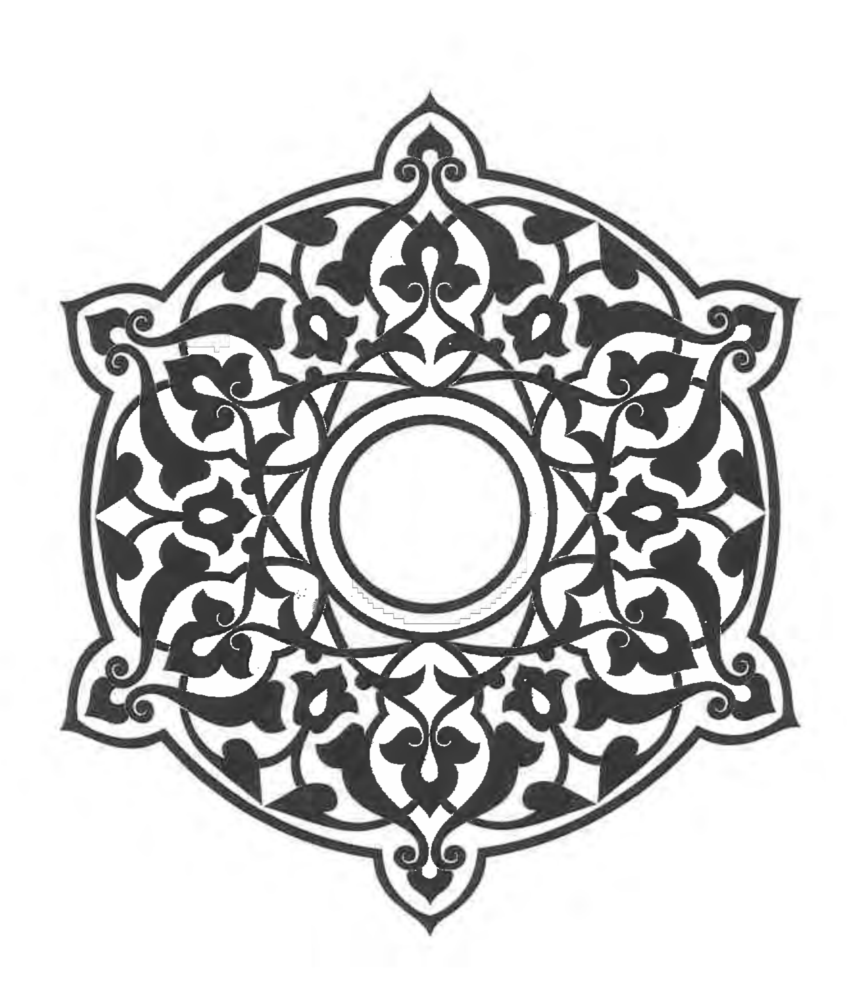


رسالة

آداب سلوك المريد

وعليها تعليقات للإمام الحداد رضي الله عنه

أملاها على السيد : محمد باقر باحسن



بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الحمدُ لله الذي يَقذِفُ إذا شاء في قلوب المُريدين لَوْعَة الإرادة[١] ، فيُزعِجُهم إلى سُلوك سَبيل السّعادة ، التي هي الإيمانُ والعِبادة ، وَمَحْوُ كلِّ رَسمٍ وعَادة[٢] ، وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا مُحمَّدٍ سَيِّد أهلِ السِّيادة ، وعلى آله وصحبهِ السَّادة القَادة ، أمّا بعدُ :

فَقد قال الله تعالى وهُو أصدقُ القائلين : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء : ١٨-١٩] .

والعاجِلة هي الدنيا ، فإذا كانَ المُريدُ لها فضلاً عن السّاعي لِطلبها مَصيرُهُ إلى النار مَعَ اللّوم والصّغَار ، فما أجدَرَ العاقِلَ بالإعراضِ عنها ، والإحتراسِ مِنها .

---

(١) قال رضي الله عنه : هي حركة شديدة تحثُّه على السلوك المذكور .

(٢) قال رضي الله عنه : أي من عادات النفس .

والآخرةُ هي الجنة ، ولا يَكفي في حُصُولِ الفوزِ بها الإرادَة فقط ، بَل هي معَ الإيمان والعَملِ الصّالح المُشار إليه بِقوله تعالى : ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] .

والسَّعي المَشكور هو العملُ المَقبول المُستوجِبُ صاحبُه المدحَ والثناء والثّواب العظيم الذي لا ينقَضي ولا يفنى بِفضل الله ورَحمته ، والخاسِرُ مِن كلِّ وجهٍ مِن المُريدين للدنيا الذي يتحقَّقُ في حقِّه الوعيدُ المَذكور في الآيـة هو الذّي يُريد الدنيا إرادةً ينسى في جَنبِها الآخرة فلا يُؤمن بها ، أو يُؤمن ولا يعملُ لها . فالأوَّل كافرٌ خالدٌ في النار ، والثاني فاسقٌ موسومٌ بِالخَسار .

وقال رسول الله ﷺ: ((إنّما الأعمالُ بِالنّياتِ وإنّما لِكُلِّ امرِئٍ ما نَوى ، فَمَن كانَت هِجرَتُهُ إلى الله ورَسُولِه فَهجرتُه إلى الله ورَسولِه ، وَمَن كانت هِجرَتُه إلى دُنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يَنكِحُها فَهجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه))[1] .

---

(١) قال رضي الله عنه : لكن الكلام وقع في ذكر سبب الهجرة ، أي : فجرى التخصيص بها لذلك السبب وهو عام . أي : يعني إن طلب النية عام في جميع العبادات لا بد منها ، وفي توجيه العادة إلى العبادة ، لا في نفس الهجرة فقط ، وذِكْرها فيها كالتمثيل بها ، يعني كما وجبت فيها - أي في هذه العبادة التي هي الهجرة - كذلك وجبت في غيرها من سائر العبادات ، وبلاها لا تصلح=

أَخبَرَ ﷺ أنَّه لا عملَ إلا عن نيّة ، وأنَّ الإنسان بحسبِ ما نوى يُثاب ويُجزى ، إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشر ، فمن حسنت نيّتهُ حَسُن عمله لا محالة ، ومن خَبُثت نِيّته خَبُثَ عمله لا محالة ، وإن كان في الصورة طيّباً كالذي يعمل الصّالحات تصنّعاً للمخلوقين .

وأخبرَ عليه الصَّلاة والسلام أنّ من عمل لله على وِفقِ المُتابعة لِرسولِ الله ﷺ كان ثوابُه على الله وكان مُنقلبه إلى رِضوانِ الله وَجنّتِه ، في جِوارِ الله وخيرته ، وأنَّ مَن قَصدَ غير الله وعمل لِغيرِ الله كان ثوابُه وجزاؤُه عند من تصنَّعَ له وراءى له مِمَّن لا يملك له ولا لِنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً .

وخَصَّ الهِجرةَ عليه الصّلاةُ والسَّلام مِن بينِ سَائِرِ الأَعمال تَنبيهاً على الكُلِّ بِالبعضِ ، لأنَّ مِن المعلومِ عند أُولي الأَفهام أنَّ الإِخبارَ ليسَ خاصّاً بالهجرَةِ بل هو عامٌّ في جميعِ شرائِعِ الإِسلام .

ثمّ أقولُ : اِعلَم أَيُّها المُريدُ الطالِبُ ، والمتوجه الرَّاغِبُ ، أنَّك حين سأَلتَني أَن أَبْعثَ إِليكَ بِشيءٍ مِنَ الكلامِ المنسوبِ إليَّ لم يَحضُرني منه ما أَراهُ مُناسباً لما أنتَ بِسبيلهِ . وَقَد رأَيْتُ أَنْ أُقيِّدَ فُصُولاً وَجِيزةً تَشتملُ على شيءٍ مِن آدابِ

=العبادة وتبقى العادة على أصلها المباح الذي لا ثواب فيه ولا إثم ، وإنما تنتقل إلى العبادة فيحصل بها الثواب بالنية .

الإرادةِ بِعبارةٍ سَلِسةٍ ، واللهَ أسألُ أن ينفعني وإيَّاك وسائِر الإخـوانِ بمـا يُـوردُهُ عليَّ مِنْ ذَلِك ويُوصِلُهُ إِليَّ مِمَّا هُنالِك ، فهو حَسبي ونِعمَ الوَكيلُ .

* * * * *

فَصْلٌ

اِعلم أنّ أوّل الطريق باعثٌ قويّ[1] يُقذف في قلب العبد ، يُزعجه ويُقْلقه ويَحثُّه على الإقبال على الله والدّارِ الآخرة ، وعلى الإعراض عن الدُّنيا وعمّا الخَلْقُ مشغولون به مِن عمارَتِها وجَمعِها والتَّمَتُّع بشهواتِها والاغتِرارِ بزخَارِفها .

وهذا الباعِثُ مِن جنود الله الباطِنة ، وهو مِن نَفحاتِ العِنايةِ وأعلامِ الهِدايَة ، وكثيراً ما يُفتَح بهِ على العبْدِ عِند التَخْويف والتّرغيب والتّشويق ، وعِند النّظَرِ إلى أهل الله تعالى والنّظَرِ منهم[2] ، وقد يقعُ بِدون سببٍ .

---

(١) قال رضي الله عنه : حيث رزق الله العبد ، فإذا حصل له الباعث المذكور فليمض إلى من يَعرِفه ليُعَرّفه به ويشرحه له ، ويبين له كيفية الأخذ به ، وهذه حالة التجرد والزهد .

(٢) قال رضي الله عنه : (فالنظر إليهم) بأن ينظر إليهم بنية صادقة وعقيدة تامة .
قال : (والنظر منهم) إذا نظروا إليه وقبلته قلوبهم ، فقد ورد النظر إلى العالِمِ عبادة .
قال الأحسائي : ولا يتعين نظرهم الحسي ، بل لو كان في أقصى الأرض ولا نظروه بعيونهم الحسية بل تبين لهم منه الإعتقاد وقبلته قلوبهم ، فإذا تبين اعتقاده طُلِبَ منه علامة حسية تدل عليه ، وإذا تبين لهم منه الإعتقاد مع=

والتّعرُّض للنَّفحات مأمورٌ به ومُرغَّبٌ فيه ، والانتِظار والاِرتِقاب بدون التَّعرُّض ولزوم الباب حُمقٌ وغَباوةٌ . كيف وقد قالَ عليه الصّلاةُ والسّلام : ((إنَّ لِرَبّكم في أيّام دهركُم نفحاتٍ ألاَ فتعرّضوا لها)) .

ومَن أكرَمه الله بهذا الباعِث الشَّريف فَليَعرِف قَدرَهُ المُنيف ، وَلْيَعلَم أنّهُ مِن أعظَم نِعَم الله تعَالى عليه التي لا يُقدَّرُ قَدرُها ولا يُبْلَغُ شُكرُها ، فَلْيُبالِغ في شُكر الله تعالى على ما منَحه وأوْلاهُ ، وخصّه به مِن بين أشكالِه وأقرانِه ، فَكم مِن مُسلِمٍ بلَغَ عُمرُه ثمانين سنَةً وأكثر لم يجد هذا الباعِث ولم يطْرُقْهُ يوماً مِن الدّهر .

وعلى المُريد أن يجتهد في تَقْويَته وحِفظِه وإجابَته - أعني هذا الباعِث - فَتقويَته بالذِّكر لله ، والفِكر فيما عِند الله ، والمُجالسة لأهل الله ، وحِفظِه بالبُعد عَن مُجالسة المحجوبين والإعراضِ عَن وَسوَسة الشياطين ، وإجابَتِهِ بأن يُبادر بالإنابة إلى الله تعالى ، ويَصْدُقَ في الإقبالِ على الله، ولا يَتوَانى ولا يُسوِّف ولا يَتَباطأ ولا يُؤَخِّر وقد أمكنَتْه الفُرصةُ فلْيَنتهِزها ، وفُتِح له الباب فلْيَدخُل ،

=قبول قلوبهم له ، وضعوا عليه نظرهم وطَلَب وضع النظر منهم عليه علامة حسية تدل على ذلك .

ودَعاه الدّاعي فليُسرع ، وَلْيحذَر مِن غدٍ بعد غدٍ[١] فإنّ ذلك مِن عمَل الشّيطان ، ولْيُقبل ولا يَتَثبّط ، ولا يتعلَّل بِعَدم الفَراغ وعدم الصّلاحِيّة .

قال أبو الرّبيع رحِمه الله : سِيروا إلى الله عُرْجاً وَمَكَاسِير ، ولا تَنتَظروا الصِّحة فإنّ انتظار الصِّحة بَطالَةٌ[٢] .

وقال ابنُ عطاءِ الله في الحِكَم : إحالَتُك العَمَل على وُجود الفراغ مِن رُعوناتِ النّفوس[٣] .

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : أي في الإقبال على الله تعالى والتوبة إن احتاج إليها .

(٢) قال رضي الله عنه : أي يريد أن يعمل ، لكن يقول : لا بد أن أتفرغ لذلك . أنت فارغ ؛ فاعمل على قدر فراغك وعلى حسب حالك .

(٣) قال رضي الله عنه : أي كذب النفوس وكبرها ، فمتى تفرَغ ما دامت في هذه الدنيا ؟ فخذ بالجد في العمل الصالح .

فَصْل

وَأَوَّلُ شيءٍ يَبْدَأ به المُريدُ في طريق الله تصحيحُ التَّوبة إلى الله تعالى مِن جميع الذنوب ، وإنْ كان عَليه شيءٌ مِن المَظالِم لأحدٍ مِن الخَلق فَليُبادر بِأدائها إلى أربابها إن أمكن ؛ وإلا فيَطلُب الإحلال منهم ، فإنّ الذي تكون ذمّته مُرتَهنة بِحقوق الخَلق لا يُمكنه السّيرُ إلى الحقّ[1] .

وشَرط صِحّة التّوبة صِدق النّدم على الذنوب[2] معَ صِحّة العَزم على تَرْك العَوْد إليها مُدّة العُمر ، ومَن تابَ عَن شيءٍ مِن الذنوب وهو مُصرٌّ عليه أو عازمٌ على العَوْد إليه فلا توبة له .

وَليكُن المُريد على الدوام في غايةٍ مِن الاعتراف بالتَقصير عن القيامِ بما يجبُ عليه مِن حقِّ ربِّه ، ومتى حزِنَ على تقْصيره وانكَسر قَلبه مِن أجله ؛ فليَعلم أنَّ الله عندَهُ إذ يقول سُبحانه : أنا عِندَ المُنكَسِرةِ قُلُوبهم مِن أجلي .

---

(١) قال ﷺ : لأنها تجذبه ويبقى مقيداً بها ، فيبقى لذلك مثبطاً كأن أحداً يمسكه من قفاه . قال : والمصر على الذنب بأن يشتهيه ويحدث نفسه أنه يعود إليه إن تمكن منه .

(٢) قال ﷺ : إن علم شيئاً ، وإلا يندم إن كان عليه شيء منها .

وعلى المُريد أن يَحتَرِز مِن أصغَر الذنوب فضلاً عن أكبرها أشدّ مِن اِحترازِهِ مِن تَناولِ السُّم القاتِل ، ويكون خوفُه لو ارْتكبَ شيئاً منها أعظم من خَوفه لو أكلَ السُّم ، وذلكَ لأنّ المعاصي تعمل في القلوب عمَل السُّم في الأجسام ، والقلبُ أعزُّ على المُؤمن مِن جِسمه ، بل رأس مالِ المُريد حِفظُ قلبه وعمارَتُهُ . والجِسمُ غرضٌ للآفاتِ وعمّا قريبٍ يُتلَفُ بِالموتِ ، وليس في ذهابِه إلا مُفارقةُ الدُّنيا النَّكِدة النَّغِصة ، وأمّا القلبُ إن تلِف فقد تلِفت الآخِرة ، فإنه لا ينجو مِن سخطِ الله ويفوزُ بِرِضوانه وثَوابه إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ[1] .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : **سالم من الصفات المذمومة بتفصيلها ، والتحلي بالصفات المحمودة بتفصيلها .**

فَصْلٌ

وعلى المُريد أن يَجتهِد في حفظِ قَلبـه مِـن الوَسـاوِس والآفـات والخـواطِر الرَّدِيَّة[١]، وليُقِم على بابِ قَلبه حاجِباً مِن المُراقبة يمنعُها مِـن الدخـولِ إليـه ، فإنها إن دَخَلته أفسَدتهُ ، ويَعسُـر بعد ذلك إخراجها مِنـه . وَليُبـالِغ في تَنقِيـة قَلبه الذي هو مَوضِعُ نَظَر ربِّه مِن المَيـل إلى شَـهوات الدنيـا ، ومِـن الحِقـد[٢] والغِلِّ والغِشِّ لأحدٍ مِن المسلمين ، ومِن الظَّنِّ السوء بأحـدٍ مـنهم ، وليكُـن ناصحاً لهم رحيماً بهم مُشفقاً عليهم ، مُعتقداً الخيرَ فيهم ، يُحبُّ لهم مـا يُحـبُّ لنفسه مِن الخير ، ويكرهُ لهم ما يكرهُ لِنفسه من الشر .

---

(١) قال رضي الله عنه : لا يخوض فيها أبداً ، لئلا ينجر بعضها إلى بعـض ، فـلا يمكنـه بعد ذلك الخلاص منهـا . والوسـواس في العقائـد على قسـمين ، أحـدهما : مـا يعتقد بطلانه ، فهذا لا تبادره واتركه ولا تسأل عنه أحداً ، فإنك لا تجـد مـن يجيبك عنه . والثاني : ما تشك في كونه حقاً أو باطلاً ، فاسأل عنه أهل العلـم بالله المحققين .

(٢) قال رضي الله عنه : هو إضمار البغض للمسلم .

وَلتَعْلم أيُّها المُريد أنّ لِلقلبِ مَعاصي هِيَ أفحشُ وأقبحُ وأخبثُ مِن معَاصي الجوارِح[1] ولا يَصلُح القلب لِنزول معرفَة الله ومحبَّته تعالى إلا بعد التّخَلي عنها والتّخلُّص منها .

---

(١) قال رضي الله عنه : لأنه المتبوع ، ولأنه أشرف ، فيكون ما نُسِبَ إليه أبلغ من حُسنٍ وقُبحٍ . وقد شهد الله تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام بأنه جاءه بقلب سليم ، وبأنه قال : لا ينجو أحد من عذابه إلا من أتاه بقلب سليم . فكانت الملائكة تعجب أن يتخذ الله من ولد آزر خليلاً ، فلما أراد الله تعالى أن يُظهِرَه وكان في موضع خلاءٍ واسع ، في سفح جبل يرعى غنماً له ، وكان معه أربعون ألف رأس غنم ، وفيها أربعة آلاف كلب ، على كل كلب طوق من ذهب زنته منّان ذهباً ، فأرسل الله إليه مَلَكَين يختبرانه ، فوقف أحدهما في طرف الغنم وقال : سبوح قدوس . ووقف الآخر في الطرف الآخر وقال : رب الملائكة والروح . فقال إبراهيم لهما : أعيدا ما قلتما . فقالا : لا نعيده إلا إن تعطينا جزءاً من غنمك . فقال : كلها لكما وجسمي وروحي وأعيدا ما قلتما . فعلما أن جسمه في الأرض وقلبه مع الله تعالى . قال رضي الله عنه : ولو تأمل الإنسان لرأى أن جميع الوساوس الحاصلة من القلب إنما حصلت من قِبَل السمع والبصر ، لأنه قد يذكر شيئاً قد رآه أو سمعه فيما مضى من الزمان فيبقى=

فمِن أفحشِها الكِبْر والرِّياء والحسد . فالكِبر يدُلُّ مِن صاحِبه على غايةِ الحماقَة ، ونهاية الجهالة والغباوةِ ، وكيف يليقُ التكَبُّر مِمَّن يعلم أنَّه مخلوقٌ مِن نُطفةٍ مَذِرةٍ وعلى القُرب يصِير جِيفةً قذِرةً . وإن كان عِنده شيءٌ مِن الفضَائِل والمحاسِن فذلك مِن فَضل الله وصُنعه ، ليس له فيه قُدرةٌ ولا في تحصيله حَولٌ ولا قوةٌ ، أوَلا يخشى إذا تكبَّر على عبادِ الله بما آتاه الله مِن فَضله أن يَسلُبَه ما أعطاهُ بِسوء أدبِه ومُنازعتِه لِربِّه في وَصفِه ؟ لأن الكِبْر مِن صِفات الله الجبَّار المُتَكبِّر .

وأمّا الرِّياء فيَدُل على خُلُوِّ قلبِ المُرائي مِن عظمةِ الله وإجلاله لأنَّه يتصَنَّع ويتزيَّن للمخلوقين ولا يقنع بِعلمِ الله ربِّ العالمين .

ومَن عمِل الصَّالِحات وأحبَّ أن يعرِفه النَّاس بذلك لِيُعظِّموه ويصطنِعوا إليه المعروف فهو مُراءٍ جاهِلٌ راغِبٌ في الدنيا ، لأن الزَّاهد مَن لو أقبَل النَّاسُ عليه بِالتعظيم وبَذْلِ الأموالِ لكان يُعرِض عن ذلك ويَكرهُه ، وهذا يطلُبُ الدُّنيا بِعملِ الآخِرة فمن أجهلُ مِنهُ ؟ وإذا لم يَقدِرْ على الزُّهدِ في الدُّنيا فَيَنبغي لَهُ أَن يَطلُبَ الدُّنيا مِن المالِك لها وهُوَ الله ، فإنَّ قُلوبَ الخَلائِق بِيَدِهِ يُقبِلُ بها على مَن أقبلَ عليهِ ، و يُسخِّرها لهُ فِيما يشاءُ .

=يتفكر فيه حتى في الصلاة ، ويحصل له فيها خواطر لا حاجة له بها ولا فائدة له فيها .

وأَمَّا الحَسَدُ فَهُوَ مُعاداةٌ للهِ ظاهِرةٌ ، ومُنازعَةٌ له في مُلكِهِ بيِّنةٌ ، لأنَّهُ سُبحانهُ إذا أَنعمَ على بعضِ عِبادِهِ بِنعمةٍ فلا شكَّ أنَّهُ مُريدٌ لِذلكَ ومُختارٌ لهُ ، إذْ لا مُكرِهَ لهُ تعالى ، فإذا أرادَ العبْدُ خِلافَ ما أرادَ مَولاهُ فقد أساءَ الأدَبَ ، واسْتَوجبَ العَطبَ .

ثُمَّ إنَّ الحسَدَ قد يَكونُ على أمُورِ الدُّنيا كالجاهِ والمالِ ، وهيَ أصغَرُ مِن أن يُحسدَ عليها ، بَل ينبغي لكَ أن تَرحمَ مَن اِبتُلِيَ بِها وتَحمَدَ اللهَ الذي عافاكَ مِنها ، وقَد يكونُ على أمورِ الآخرةِ كالعِلمِ والصَّلاحِ . وقَبيحٌ بِالمُريدِ أن يَحسدَ مَن وافَقَهُ على طَريقِهِ ، وعَاونَهُ على أمرِهِ ، بل ينبَغي لهُ أن يَفرحَ بهِ لأنَّهُ صارَ عَوْناً له وجِنساً يتقَوَّى بِهِ ، والمؤمِنُ كثيرٌ بِأخيهِ ، بل الذي يَنبغي لِلمُريدِ أن يُحِبَّ بِباطِنهِ ويَجتهِدَ بِظاهِرِهِ في جَمْعِ النَّاسِ على طريقِ اللهِ والاِشتِغالِ بِطاعتِهِ ، ولا يُبالي أَفَضَلوهُ أم فَضَلهُم ، فإنَّ ذلِكَ رِزقٌ مِنَ اللهِ ؛ وهُو سُبحانَهُ وتَعالى يَختصُّ بِرحمتِهِ مَن يَشاءُ .

وفي القَلبِ أخلاقٌ كثيرةٌ مذمومةٌ ، لم نذكُرها حِرصاً على الإيجازِ ، وقد نبَّهنا على أمَّهاتِها ، وأمُّ الجميعِ وأصلها ومَغرِسُها حُبُّ الدُّنيا ، فَحُبُّها رأسُ كُلِّ خطيئةٍ كما وَرَد ، وإذا سَلِمَ القلبُ مِنهُ فقد صَلحَ وصفا ، وتَنوَّرَ وطابَ ، وتأَهَّلَ لِوارِداتِ الأنوارِ وصَلُحَ لِلمُكاشفةِ بِالأسرارِ .

* * * * *

فَصْل

وعلى المُريد أن يَجتهِد في كَفِّ جَوارِحِهِ عنِ المَعاصي والآثامِ، ولا يُحرِّكَ شيئاً مِنها إلا في طاعةٍ، ولا يَعمل بِها إلا شَيئاً يعودُ عليهِ نَفعُهُ في الآخِرةِ.

وَلْيُبالِغ في حِفظِ اللسانِ فإنَّ جِرمَهُ صَغيرٌ وَجُرمُهُ كبيرٌ، فَلْيكُفَّهُ عنِ الكذبِ والغيبةِ وسائرِ الكلامِ المحظورِ، وَلْيحتَرِز مِن الكلامِ الفاحِشِ[1]، ومِنَ الخَوضِ فيما لا يعنيهِ، وإن لم يَكُن مُحَرَّماً فإنّه يُقسِّي القلبَ، ويكونُ فيهِ ضياعُ الوقتِ، بل يَنبغي لِلمُريدِ أن لا يُحرِّكَ لِسانهُ إلا بِتلاوةٍ أو ذِكرٍ أو نُصحٍ لِمُسلمٍ أو أمرٍ بِمعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو شيءٍ مِن حَاجاتِ دُنياهُ التي يَستعينُ بها على أُخراهُ، وقَد قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ((كُلُّ كلامِ ابنِ آدمَ عليهِ لا لهُ، إلا ذِكْرُ الله أوْ أمرٌ بمعروفٍ أو نهيٌ عن مُنكرٍ)).

واعلم أنّ السمع والبصَرَ بابانِ مَفتوحانِ إلى القلبِ، يَصيرُ إليهِ كُلُّ ما يدخُلُ مِنهُما، وكم مِن شيءٍ يسمَعُهُ الإنسانُ أو يَراهُ مما لا يَنبغي، يَصِلُ مِنهُ أثرٌ إلى القلبِ تَعْسُرُ إزالتُهُ عنهُ، فإنَّ القلبَ سَريعُ التأثُّرِ بِكُلِّ ما يَرِدُ عليهِ، وإذا تأثَّرَ بشيءٍ يَعسُرُ مَحوُهُ عنهُ. فَلْيكُنِ المُريدُ حريصاً على حِفظِ سمعِهِ وبصَرِهِ، مُجتهداً في كفِّ جَميعِ جَوارِحِهِ عن الآثامِ والفضولِ، وليحذَرْ من

(١) قال رضي الله عنه: هو القبيح الذي يستحي الإنسان من ذِكْره.

النَّظرِ بِعَينِ الاِستحسانِ إلى زَهرةِ الدُّنيا وزينَتها فإنَّ ظاهِرَها فِتنـةٌ[١]، وباطِنَهـا عِبرَةٌ، والعَينُ تَنظُرُ إلى ظاهِرِ فِتنَتِها، والقلبُ يَنظُرُ إلى باطِنِ عِبرَتِها، وكم مِـن مُريدٍ نَظرَ إلى شيءٍ مِن زَخارِفِ الدُّنيا فمَـالَ بِقلبِـهِ إلى مَحبَّتِهـا[٢] والسّعـي في جَمعِهـا وعمارَتِها، فيَنبغي لكَ أيُّها المُريدُ أن تَغُضَّ بَصرَكَ عَن جَميعِ الكائِناتِ، ولا تنظُرَ إلى شيءٍ مِنها إلا على قصدِ الاِعتبارِ، ومعنـاهُ أن تـذكُرَ عِنـدَ النَّظـرِ إليها أنَّها تَفنى وتَذهبُ وأنها قد كانَت مِن قَبلُ مَعدومةً، وأنَّهُ كَم نَظَر إليهـا أحدٌ مِنَ الآدميِّينَ فذهَبَ وبَقِيَت هِيَ، وكَم تَوارَثهـا خَلَـفٌ عـن سَـلَفٍ. وإذا نَظَرْتَ إلى الموجوداتِ فانظُر إليها نَظَر المُستدِلِّ بِها على كَمالِ قُـدرةِ مُوجِـدِها وبارِئِها سُبحانَهُ، فإنَّ جميعَ الموجوداتِ تُنادي بِلسانِ حالِها[٣] نِداءً يَسمعُهُ أهلُ القُلوبِ المُنَوَّرةِ، الناظِرونَ بِنورِ اللهِ أن لاَ إله إلاّ اللهُ العزيزُ الحكيمُ.

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : وإن كان حلالاً، فإنه قد يجر إلى الإستحسان والرغبة، وهـذا هو الذي أوجب لهم الإنفراد والتخلي من الناس.

(٢) قال رضي الله عنه : أي وتَرَك الإرادة.

(٣) قال رضي الله عنه : هذا هو لسان الحال المراد به العبرة، وهو أبلغ من لسان المقال، لأن لها لساناً تنطق به كالآدمي.

فَصْلٌ

وَيَنبغي لِلمُريد أَن لاَ يزَالَ على طهَارةٍ[١]، وكُلَّما أحدثَ تَوضَّأ وصلَّى ركعَتين[٢]، وإن كانَ مُتأهِّلاً وأتى أهلَهُ فليُبادِر بالإغتِسالِ مِنَ الجنابةِ في الوَقتِ، ولاَ يمكُث جُنُباً، وَيستَعينُ عَلى دَوامِ الطَّهارَةِ بِقِلَّةِ الأكلِ، فإنَّ الّذي يُكثِرُ الأكلَ يقَعُ لهُ الحدثُ كثيراً فَتشُقُّ عليهِ المُداومة على الطَّهارةِ، وفي قِلَّةِ الأكلِ أيضاً مَعونَةٌ على السَّهرِ، وهُو مِن آكَدِ وظائِف الإرادةِ.

والّذي يَنبغي لِلمُريدِ أن لا يأكُلَ إلا عن فاقةٍ، ولاَ ينامَ إلا عن غَلبَةٍ، ولاَ يَتكلَّمَ إلا في حاجَةٍ، ولاَ يُخالِطَ أحداً[٣] مِنَ الخَلقِ إلا إن كانت لهُ في مُخالَطتِهِ فائدةٌ، ومَن أكثَرَ الأكلَ قَسا قَلبُه، وثَقُلَتْ جَوارِحُهُ عَنِ العِبادةِ، وكَثْرةُ الأكلِ تَدعو إلى كَثرةِ النَّومِ والكلامِ، والمُريدُ إذا كَثُرَ نومُهُ وكَلامُهُ صارَت إرادَتهُ صورةً لاَ حَقيقةَ لها، وفي الحديثِ: ((ما مَلأَ ابنُ آدمَ وِعاءً شرّاً مِن بَطنِهِ، حَسبُ ابنِ آدمَ لُقيماتٌ يُقِمنَ صُلبَهُ، فإن كانَ لاَ مَحالةَ فَثُلثٌ لِطعامِه وثُلثٌ لِشرابِه وثُلثٌ لِنَفَسِه)).

---

(١) قال رضي الله عنه: **المراد بالطهارة الظاهرة، والباطنة أولى.**

(٢) قال رضي الله عنه: **ركعتين فأكثر إن لم يكن وقت كراهة وإلا فركعتين فقط.**

(٣) قال رضي الله عنه: **هذه خلوة عامة بين الناس. والأخرى خاصة و هي أن لا يفعل إلا ما لا بُدَّ له منه.**

فَصْلٌ

وَيَنبغي لِلمُريد أَن يكونَ أَبعدَ النَّاسِ عنِ المَعاصي والمَحظوراتِ ، وأَحفَظَهُم لِلفَرائِضِ والمَأموراتِ ، وأحرَصَهُم على القُربَاتِ ، وأسرَعَهُم إلى الخَيراتِ ، فإنَّ المُريدَ لَم يَتَميَّز عن غَيرِهِ مِن النَّاسِ إلا بالإقبالِ على الله وعلى طاعَتِهِ ، والتَّفرُّغ عن كُلِّ ما يُشغِلُهُ عن عِبادَتِهِ .

وليكُن شَحيحاً على أنفاسِهِ ، بَخيلاً بِأوقاتِهِ[1]، لا يَصرِفُ مِنها قليلاً ولا كَثيراً ، إلا فِيما يُقَرِّبُهُ مِن ربّهِ ، ويَعودُ عَليهِ بِالنَّفعِ في معَادِهِ .

---

(١) قال الأحسائي : هذان اللفظان لو كانا في أمور الدنيا لكانا مذمومين ومن اتصف بهما ، فإذا كانا في أمور الدين كانا من أكبر الفضائل ومن أعظم الشمائل . وهذا هو الفرق بين القلب الصالح و القلب الفاسد ، بأن يكونا في الصالح من القلبَين في أمور الدين ، وفي الفاسد منهما في أمور الدنيا . وانقلاب القلب من الفساد إلى الصلاح ، ومن الحالة المذمومة الى الحالة المحمودة ، كانقلاب النحاس ذهبا إبريزاً ، و يكون ذلك بنفحة إلهية وعناية ربانية لمن سبقت له من الله العناية ، وجرى له القلم بالسعادة العظمى ، لا يدرك بالأماني ولا يحصل بالهوينا . تكرم الله علينا من فضله وكرمه ، ورزقنا ما رزقه أحباءه وأولياءه آمين .

ويَنبغي أن يكونَ لهُ وِرْدٌ مِن كُلِّ نوعٍ مِن العِباداتِ يُواظِبُ عليها ، ولا يسمَح بِتَركِ شيءٍ مِنها في عُسرٍ ولاَ يُسرٍ ، فَلْيُكثِر مِن تِلاوةِ القُرآنِ العظيمِ مَع التدبُّرِ لِمعانيهِ ، والتَّرتيلِ لألفاظِه .

وليكُن مُمتلِئاً بِعَظمةِ المُتكلِّم عِند تِلاوةِ كَلامِه ، ولاَ يَقرأُ كَما يَقرأُ الغافِلون الذينَ يَقرؤونَ القرآنَ بِألسِنةٍ فصيحةٍ وأصواتٍ عالِيَةٍ وقلوبٍ مِنَ الخُشوعِ والتَعظيمِ لله خاليةٍ ، يقرؤونه كما أُنزِلَ مِن فاتِحتِه إلى خاتِمَتِه ولاَ يدرونَ مَعناهُ ، ولاَ يعلَمونَ لأيِّ شيءٍ أُنزِلَ ، ولَو عَلِموا لَعمِلوا ، فإنَّ العِلمَ ما نَفعَ ، ومَن عَلِمَ وما عَمِلَ فَلَيسَ بينهُ وبَينَ الجاهِلِ فَرقٌ إلا مِن حيثُ إنَّ حُجَّةَ الله عليهِ آكَدُ ، فَعَلى هذا يَكونُ الجاهِلُ أَحسنُ حالاً منه ، ولِذلِك قيلَ : كُلُّ عِلمٍ لاَ يَعودُ عَليكَ نَفعُهُ فَالجَهلُ أَعوَدُ عَليكَ مِنهُ .

وليكُن لكَ - أيّها المُريدُ- حَظٌّ مِن التَّهجُّدِ فإنّ اللَّيلَ وَقتُ خَلوةِ العَبدِ معَ مَولاهُ ، فأكثِر فيهِ مِن التَّضرُّعِ والاِستِغفارِ ، وناجِ ربَّكَ بِلِسانِ الذِّلَّةِ والاِضطِرارِ ، عَن قلبٍ مُتحققٍ بِنِهايةِ العَجزِ وغايَةِ الاِنكِسارِ .

واحذَر أن تَدعَ قِيامَ الليلِ فلا يأتي علَيك وقتُ السَّحرِ إلا وأنتَ مُستيقِظٌ ذاكِرٌ لله سُبحانَهُ وتعالى[١] .

* * * * *

(١) قال ﷺ : هو آخر الليل بين الفجرين . وكان ابن عمر يبقى يصلي وعنده عبده نافع فيقول : أَسَحَرنا يا نافع ؟ فيقول : لا . فيركع ، ثم يقول : أَسَحَرنا يا نافع ؟ فإذا قال : نعم . جلس يستغفر إلى الفجر .
قال الأحسائي : وذلك عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ ، وكان الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي يرصد له رجلاً بعد صلاة الصبح ليخبره من أين تطلع الشمس من المشرق أو من المغرب ؟ وقلبه يرتعد خوفاً من طلوعها من مغربها ، فإذا أخبره أنها طلعت من المشرق برد خاطره وسجد شكراً لله .
هذا حال الخائفين نفع الله بهم .

فَصْلٌ

وكُن - أيُّها المُريدُ - في غايَةِ الإعتِناءِ بِإقامـةِ الصَّـلواتِ الخَمـسِ ، بإتمـامِ قِيامِهِنَّ وقِراءَتِهنَّ وخُشوعِهنَّ ورُكوعِهنَّ وسُجودِهنَّ وسائِرِ أركانِهـنَّ وسُـنَنِهنَّ ، وأشعِر قَلبَكَ قَبلَ الدُّخولِ في الصَّلاةِ عَظمةَ مَن تُريدُ الوُقـوفَ بَـينَ يَديـهِ جـلَّ وعلا ، واحذَر أن تُناجِيَ مَلِكَ المُلوكِ وجبَّارَ الجبـابِرةِ بِقلـبٍ لاهٍ مُستَرسِـلٍ في أوديـةِ الغَفلـةِ والوَسـاوِسِ ، جائِـلٍ في مَيـادينِ الخَـواطِرِ والأفـكارِ الدُّنيويَّـةِ ؛ فَتَستوجِبَ المَقتَ مِن اللهِ ، والطَّردَ عن بابِ اللهِ .

وقد قالَ عَليهِ الصّلاةُ والسّلامُ : ((إذا قامَ العَبدُ إلى الصَّلاةِ أَقبلَ اللهُ عَليهِ بِوَجهِهِ ، فإذا التَفتَ إلى ورائِهِ يَقولُ اللهُ تعالى: ابنُ آدمَ التَفَتَ إلى مَن هُو خيرٌ لهُ مِنِّي ، فإن التَفَتَ الثَّانيةَ قالَ مِثلَ ذلِكَ فإن التَفَتَ الثَّالِثةَ أعرَضَ اللهُ عَنـهُ)) ، فإذا كانَ المُلتفِتُ بِوَجهِهِ الظاهِرِ يُعرِضُ اللهُ عَنـهُ فكيـفَ يَكـونُ حـالُ مَـن يَلتفِتُ بِقَلبِهِ في صلاتِهِ إلى حُظوظِ الدُّنيا وزخارِفِها ، واللهُ سُـبحانهُ وتعـالى لاَ ينظُرُ إلى الأجسامِ والظواهِرِ وإنَّما ينظُرُ إلى القُلوبِ والسَّرائِرِ .

واعلَم أنَّ رُوحَ جَميعِ العِباداتِ ومَعناها إنَّما هُو الحضُورُ معَ اللهِ فيها ، فَمن خَلت عِبادَتُهُ عنِ الحُضور ، فعِبادتُهُ هباءٌ منثورٌ[1] . ومثَلُ الذي لاَ يَحضُـرُ مَـع

---

(١) قال رضي الله عنه : أي ما هي شيء ، ما لها ثواب .

اللهِ في عِبادتهِ مَثلُ الذي يُهدي إلى ملِكٍ عظيمٍ وَصيفةً ميِّتَةً أو صُندوقاً فارغاً ، فما أجدرُهُ بِالعقوبةِ وحِرمانِ المثوبةِ .

* * * * *

فَصْلٌ

واحذَر أيُّها المُريدُ كلَّ الحذَرِ مِن تَركِ الجُمُعةِ والجَماعاتِ ، فإنَّ ذلكَ مِن عاداتِ أَهلِ البَطالاتِ وسِماتِ أَربابِ الجهالاتِ .

وحَافِظ على الرَّواتبِ المشروعاتِ قَبلَ الصَّلاةِ وبَعدها ، ووَاظِب على صَلاةِ الوترِ والضُّحى وإِحياءِ ما بينَ العِشاءين ، وكُن شَديدَ الحِرصِ على عِمَارةِ ما بَعدَ صَلاةِ الصُّبحِ إلى الطُّلوعِ ، وما بعد صلاةِ العصرِ إلى الغروبِ ، فهذانِ وقتانِ شريفانِ تَفيضُ فيهما من الله تعالى الأمدادُ ، على المتوجهين إليه من العبادِ .

وفي عمارةِ ما بعدَ صلاةِ الصبحِ خاصيةٌ قويةٌ في جلبِ الأرزاقِ الجسمانيةِ ، وفي عمارةِ ما بعد العصرِ خاصيةٌ قويةٌ لجلبِ الأرزاقِ القلبيةِ ، كذلك جرَّبَه أربابُ البصائرِ من العارفين الأكابرِ . وفي الحديثِ : ((إن الذي يقعدُ في مُصلاهُ يذكرُ اللهَ بعد صلاةِ الصبحِ أسرعُ في تحصيلِ الرزقِ من الذي يضربُ في الآفاقِ)) أعني يسافرُ فيها لطلبِ الأرزاقِ .

* * * * *

فَصْلٌ

والذي عليه المُعوَّلُ في طريقِ اللهِ تعالى بعد فعلِ الأوامرِ واجتنابِ المحارمِ ملازمةُ الذكرِ لله ، فعليك به أيها المريدُ في كلِّ حالٍ وفي كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ بالقلبِ واللسانِ .

والذِّكرُ الذي يجمعُ جميعَ معاني الأذكارِ وثمراتِها الباطنةِ والظاهرةِ هو قولُ : ((لا إلهَ إلا اللهُ)) ، وهو الذِّكرُ الذي يؤمرُ بملازمتِه أهلُ البدايةِ ، ويرجِعُ إليه أهلُ النهايةِ .

ومن سَرَّه أن يذوقَ شيئاً من أسرارِ الطريقةِ ، ويُكاشَفُ بشيء من أنواعِ الحقيقةِ ؛ فليعكف على الذكرِ للهِ تعالى بقلبٍ حاضرٍ ، وأدبٍ وافرٍ ، وإقبالٍ صادقٍ ، وتوجيهٍ خارقٍ[1] . فما اجتمعت هذه المعاني لشخصٍ إلا كُوشِفَ بالملكوت الأعلى ، وطالَعَت روحُهُ حقائقَ العالَمِ الأصفى ، وشاهدَت عينُ سرِّهِ الجمالَ الأقدسَ الأسمى .

ولتكن أيها المريدُ مُكثراً من التفكُّرِ ، وهو على ثلاثةِ أقسامٍ :

---

(١) قال رضي الله عنه : هذه شروط الخلوة ، فمن لم يستوفها كلها بتمامها يُخشى عليه .

تفكرٌ في عجائبِ القدرةِ وبدائعِ المملكـةِ السـماويةِ والأرضـيةِ ، وثمرتُـه المعرفةُ باللهِ .

وتفكرٌ في الآلاءِ والنِّعمِ، ونتيجتُه المحبَّةُ للهِ .

وتفكرٌ في الدنيا والآخرةِ وأحوالِ الخلقِ فيهمـا ، وفائدتُـه الإعـراضُ عـن الدنيا والإقبالُ على الأخرى .

وقد شرحنا شيئاً من مجاري الفكر وثمرته في رسالة المعاونة ؛ فليطلبه من أراده .

* * * * *

فَصْلٌ

وإذا آنَسْتَ من نفسِك أيها المريدُ تكاسلاً عن الطاعاتِ ، وتثاقلاً عن الخيراتِ ؛ فقُدها إليها بزِمامِ الرَّجاءِ ، وهو أن تذكُرَ لها ما وعد اللهُ به العاملينَ بطاعتِه من الفوزِ العظيمِ ، والنعيمِ المقيمِ ، والرحمةِ والرِضوانِ ، والخلودِ في فسيحِ الجِنانِ ، والعزِّ والرفعةِ والشرفِ والمكانةِ عندَه سبحانَه وعند عبادِه .

وإذا أحسَسْتَ من نفسك ميْلاً إلى المخالَفاتِ ، أو التفاتاً إلى السيئاتِ ؛ فرُدَّها عنها بسَوْطِ الخوفِ ، وهو أن تُذَكِّرَها وتَعظَها بما توَعَّدَ اللهُ به من عصاهُ من الهَوانِ والوبالِ ، والخزي والنَّكالِ ، والطَّردِ والحرمانِ والصَّغارِ والخسرانِ .

وإياك والوقوعَ فيما وقعَ فيه بعضُ الشاطحينَ من الإستهانة بشأنِ الجنةِ والنارِ ، وعَظِّم ما عظَّمَ اللهُ ورسولُه . واعمل للهِ لأنه ربُّكَ وأنت عبدُه ، واسأله أن يدخلَك جنتَه ، وأن يُعيذَك من نارِه بفضلِه ورحمتِه .

وإن قال لك الشيطان لعنَهُ اللهُ : إنَّ الله سبحانه وتعالى غنيٌّ عنك وعن عملِك ، ولا تنفعُه طاعتُك ولا تضرُّه معصيتُك ؛ فقل له : صَدقتَ ، ولكن أنا فقيرٌ إلى فضلِ اللهِ وإلى العملِ الصالحِ ، والطاعةُ تنفعُني والمعصيةُ تضرني ، بذلك أخبَرَني ربي في كتابِه العزيزِ وعلى لسانِ رسولِه ﷺ .

فإن قال لك : إن كنتَ سعيداً عند اللهِ ؛ فإنك لا محالـةَ تصـيرُ إلى الجنـةِ سواءً كنتَ طائعاً أو عاصياً ، وإن كنتَ شقياً عنده فسوف تصير إلى النـارِ وإن كنتَ مطيعاً ؛ فلا تلتفت إلى قولِه ، وذلك لأن أمر السابقةِ غَيبٌ لا يطَّلعُ عليه إلا اللهُ ؛ وليس لأحدٍ من الخلـقِ فيـه شيءٌ ، والطاعـةُ أدَلُّ دليـلٍ على سـابقةِ السعادةِ ، وما بين المطيعِ وبين الجنةِ إلا أن يموت على طاعتِـه ، والمعصـيةُ أدَلُّ دليـلٍ على سابقةِ الشقـاءِ ، ومـا بـين العـاصي وبـين النَّـارِ إلا أن يمـوتَ على معصيتِه .

* * * * *

فَصْلٌ

واعلم - أيها المريدُ - أنَّ أوَّلَ الطريقِ صَبرٌ وآخرَها شكرٌ ، وأوَّلَها عناءٌ وآخرَها هناءٌ ، وأوَّلَها تعبٌ ونصَبٌ وآخرَها فتحٌ وكشفٌ ووصولٌ إلى نهايةِ الأرَبِ ، وذلك معرفةُ اللهِ والوصولُ إليه والأنسُ به ، والوقوف في كريم حضرته مع ملائكته بين يديه ، ومن أسَّس جميع أمورِه على الصبرِ الجميلِ ؛ حصل على كلِّ خيرٍ ، ووصلَ إلى كلِّ مأمولٍ وظفِرَ بكلِّ مطلوبٍ .

واعلم أن النفس تكون في أولِ الأمر أمَّارةً ، تأمرُ بالشرِّ وتنهى عن الخيرِ ، فإن جاهدها الإنسان وصَبرَ على مخالفةِ هواها ؛ صارت لوَّامةً متلونةً لها وجهٌ إلى المطمئنةِ ووجهٌ إلى الأمارةِ ، فهي مرَّةً هكذا ومرَّةً هكذا ، فإن رفَقَ بها وسار بها يقودُها بأزِمَّةِ الرَّغبةِ فيما عند اللهِ ؛ صارت مطمئنةً تأمرُ بالخيرِ وتستلِذُّه وتأنسُ به ، وتنهى عن الشرِّ وتنفرُ عنه وتفرُّ منه .

وصاحبُ النفسِ المطمئنةِ يعظُمُ تعَجُّبُه من الناسِ في إعراضِهم عن الطاعاتِ مع ما فيها من الرَّوْحِ والأُنسِ واللَّذَّةِ ، وفي إقبالِهم على المعاصي والشهواتِ مع ما فيها من الغمِّ والوَحشةِ والمرارةِ ، ويحسبُ أنهم يجِدُون ويذوقون في الأمرينِ مثلَ ما يجدُ ويذوقُ ، ثم يرجِعُ إلى نفسِه ، ويذكرُ ما كان يجِدُ من قبل في تناولِ الشهواتِ من اللذاتِ ، وفي فعلِ الطاعاتِ من المراراتِ ؛ فيعلمُ أنه لم يصل إلى ما هو فيه إلا بمجاهدةٍ طويلةٍ ، وعنايةٍ من اللهِ عظيمةٍ .

فقد عَلِمْتَ أن الصبرَ عن المعاصي والشهواتِ ، وعلى ملازمةِ الطاعاتِ هو الموصِل إلى كلِّ خيرٍ ، والمبلِّغُ إلى كلِّ مقامٍ شريفٍ ، وحالٍ مُنيفٍ ، وكيف لا وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]. وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الأعراف : ١٣٧]. وقال جلَّ شأنه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤].

وفي الحديث : ((من أقلِّ ما أُوتيتم اليقينُ وعزيمةُ الصبر ، و مَن أُوتِيَ حظَّه منهما فلا يبالي بما فاته من قيام الليل و صيام النهار)) .

* * * * *

فَصْلٌ

وقد يُبتَلى المريدُ بالفقرِ والفاقةِ وضيقِ المعيشةِ ؛ فينبغي له أن يشكرَ اللهَ على ذلك ، ويعُدَّه من أعظمِ النِّعَمِ ؛ لأن الدنيا عدوةٌ واللهُ يُقبلُ بها على أعدائه ، ويصرفُها عن أوليائِه ؛ فليَحْمَدِ اللهَ الذي شبَّهَه بأنبيائِه وأوليائِه وعباده الصالحين .

فلقد كان سيِّدُ المرسلين وخيرُ الخلقِ أجمعين محمدٌ ﷺ يربِطُ حَجَراً على بطنِه من الجوعِ ، وقد يمُرُّ شهران أو أكثرُ ما توقد في بيتِه نارٌ لطعامٍ ولا غيرِه ، إنما يكون على التمرِ والماءِ ، ونزل به ضيفٌ فأرسل إلى أبياتِه التسعِ فلم يوجَد فيها ما يُطعِمُه الضيفَ . ومات يومَ مات ودرعُهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ في أَصْوُعٍ من شعيرٍ ، وليس في بيتِه ما يأكلُه ذو كبِدٍ كفٌّ من شعيرٍ .

فليكن قصدُك - أيها المريدُ - وهمتُك من الدنيا خِرقةً تسترُ بها عورتَك ، ولقمةً تسدُّ بها جَوعتَك من الحلالِ فقط .

وإياك والسمَّ القاتلَ ، وهو أن تشتاقَ إلى التنَعُّمِ بالدنيا ، وترغبَ في التَّمَتُّعِ بشهواتِها ، وتغبِط المتنَعِّمين بها من الناسِ ، فسوف يُسألون عن نعيمها ويُحاسبون على ما أصابوه وتمتعوا به من شهواتِها . ولو أنك عَرَفْتَ المشاقَّ التي يُقاسونَها ، والغُصَصَ التي يتجرعونَها ، والغمومَ والهمومَ التي في قلوبِهم وصدورِهم في طلبِ الدنيا وفي الحرص على تنميتها والإعتناءِ بحفظِها ؛ لكُنتَ

ترى ذلك يزيدُ بأضعافٍ كثيرةٍ على ما هم فيه من لذةِ التنعمِ بالدنيا ، إن كانت ثَمَّ لذةٌ .

ويكفيك زاجراً عن محبةِ الدنيا ، ومزهِّداً فيها قولُه تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥ ﴾ (١) [الزخرف : ٣٣-٣٥] .

وقولُ رسولِ الله ﷺ : ((الدنيا سجنُ المؤمِنِ وجنةُ الكافرِ ، ولو كانت تزنُ عند الله جَناحَ بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شَربةَ ماءٍ)) ، وأنه سبحانه منذُ خلقها ما نظر إليها .

---

(١) قال رضي الله عنه : هذه أبلغ آية في القرآن في ذم الدنيا والتزهيد فيها ، ولو لم يميزهم سبحانه بإيمان وكفر وطاعة ومعصية ، لكان يميزهم بالدنيا . قال الأحسائي : أي يجعلهم يمتازون بالدنيا ، فيُعرف الكافر من المؤمن ، والعاصي من المطيع بمحبة الدنيا وجمعها .

واعلم أن الرزقَ مقدَّرٌ ومقسومٌ ، فمن العبادِ من بُسِطَ له ووُسِّع عليه ، ومنهم من ضُيِّق عليه وقُتِّر ، حكمةً من الله . فإن كنت - أيها المريدُ- من المُقتَّرِ عليهم ؛ فعليك بالصبرِ والرضا والقناعةِ بما قَسَمَ لك ربُّك ، وإن كنت من المُوسَّعِ عليهم ؛ فأَصِبْ كِفَايَتَكَ وَخُذ حاجَتَكَ مِمَّا في يَدِكَ ، وَاصرِف مَا بَقِيَ في وُجُوهِ الخَيرِ وسُبُلِ البِرِّ .

وَاعلَم أَنَّهُ لا يَتَعَيَّنُ على الإنسانِ إِذا أَرادَ الدُّخولَ في طَريقِ الله أَن يَخرُجَ مِن مَالِهِ إِن كانَ لَهُ مَالٌ ، أَو يَترُكَ حِرفَتَهُ وَتِجارَتَهُ إِن كانَ مُحترِفاً أَو مُتَّجِراً ، بَل الذَّي يَتعيَّنُ عليهِ تَقوى الله فِيما هُوَ فِيهِ وَالإِجمالُ في الطَّلبِ بِحيثُ لا يَترُكُ فَريضَةً وَلا نَافِلَةً ، وَلا يَقعُ في مُحرَّمٍ وَلا فَضُولٍ لا تَصلُحُ الإستِعانَةُ بِهِ في طَريقِ الله . فإن عَلِمَ المُريدُ أَنَّهُ لا يَستقيمُ قَلبُهُ ، وَلا يَسلَمُ دِينُهُ إِلاَّ بِالتَّجَرُّدِ عَنِ المَالِ وَعنِ الأَسبابِ ألبتَّةَ لَزِمهُ ذَلكَ[1] ، فإن كانَ لَهُ أَزواجٌ أَو أَولادٌ تَجِبُ نَفقَتُهُم وَكِسوَتُهُم ؛ لَزِمَهُ القِيامَ بِذلكَ وَالسَّعيَ لَهُ ، فإن عَجزَ عَن ذلكَ عَجزاً يَعذُرُهُ الشَّرعُ ؛ فَقَد خَرَجَ مِنَ الحَرَجِ وَسَلِمَ مِنَ الإِثمِ .

وَاعلَم أَيُّها المُريدُ أَنَّكَ لا تَقدِرُ عَلى مُلازَمةِ الطَّاعاتِ وَمُجانَبةِ الشَّهواتِ والإِعراضِ عَنِ الدُّنيا إِلاَّ بِأَن تَستَشعِرَ في نَفسِكَ أَنَّ مُدَّةَ بَقائِكَ في الدُّنيا أَيَّامٌ

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي إذا كان في الطريق الخاصة لا في الطريق العامة .**

قَلِيلةٌ ، وأَنَّكَ عَمَّا قَرِيبٍ تَموتُ ، فَتَنصِبَ أَجَلَكَ بَينَ عَينَيكَ ، وتَستَعِدَّ لِلمَوتِ وَتُقَدِّرَ نُزولَهُ بِكَ في كُلِّ وَقتٍ . وَإِيَّاكَ وَطُولَ الأَمَلِ فإِنَّهُ يَميلُ بِكَ إِلى مَحَبَّةِ الدُّنيَا ، وَيُثَقِّلُ عَليكَ مُلازَمَةَ الطَّاعاتِ والإقبالَ عَلَى العِبادَةِ ، والتَّجَرُّدَ لِطَرِيقِ الآخِرَةِ ، وَفي تَقديرِ قُربِ المَوتِ وقِصَرِ المُدَّةِ الخَيرُ كُلُّهُ ، فَعليكَ بِهِ ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ .

* * * * *

فَصْلٌ

وَرُبَّمَا تَسلَّطَ الخَلقُ عَلى بَعضِ المُريدينَ بِالإيذاءِ وَالجَفاءِ وَالذَّمِّ ، فإن بُليتَ بِشيءٍ مِن ذَلكَ فَعلَيكَ بِالصَّبرِ وَتَركِ المُكافَأةِ مَعَ نَظافَةِ القَلبِ مِنَ الحِقدِ وَإِضمارِ الشَّرِّ ، وَاحذَر الدُّعاءَ عَلى مَن آذاكَ ، وَلاَ تَقُل إذا أَصابَتهُ مُصيبَةٌ هَذا بِسبَبِ أَذاهُ لِي .

وَأفضَلُ مِنَ الصَّبرِ عَلى الأَذى العَفوُ عَنِ المُؤذِي وَالدُّعاءُ لَهُ[1]، وَذَلِكَ مِن أَخلاقِ الصِّدِّيقينَ . وَعُدَّ إِعراضَ الخَلقِ عَنكَ نِعمَةً عَليكَ مِن رَبِّكَ ؛ فإِنَّهم لَو أَقبَلوا عَليكَ رُبَّما شَغلُوكَ عَن طَاعتِهِ ، فإِن ابتُليتَ بِإِقبالِهِم وَتَعظِيمِهِم وَثَنائِهِم وتَرَدُّدِهِم عَليكَ ، فَاحذَر مِن فِتنَتِهِم وَاشكُرِ اللهَ الذَّي سَترَ مَساوِيكَ عَنهُم . ثُمَّ إِن خَشِيتَ عَلى نَفسِكَ مِنَ التَّصَنُّعِ وَالتَّزَيُّنِ لَهم وَالإشتِغالِ عَنِ الله

---

(١) قال رضي الله عنه : لأنه عَسِر، وإن كان في أخلاق الصديقين ما هو أعسر من هذا .

بِمُخالَطَتهِم ؛ فَاعتَزِلهُم وَأَغلِق بَابَكَ عَنهُم[١]، وَإِلاَّ فارِق المَوضِعَ الَّذي عُرِفتَ بِهِ إِلى مَوضِعٍ لاَ تُعرَفُ فِيهِ .

وَكُن مُؤثِراً لِلخُمولِ ، فَارّاً مِنَ الشُّهرةِ والظُّهورِ[٢]، فإِنَّ فِيهِ الفِتنَةُ وَالمِحنَةُ . قالَ بَعضُ السَّلفِ : وَاللهِ مَا صَدَقَ اللهَ عَبدٌ إِلاَّ أَحَبَّ أَن لاَ يُشعَرَ بِمَكانِهِ . وَقالَ آخرُ : مَا أَعرِفُ رَجُلاً أَحَبَّ أَن يَعرِفَهُ النَّاسُ إِلاَّ ذَهَبَ دِينُهُ وَافتَضَحَ .

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : بحيث لا يعلمون بأنك داخله ، فإن أغلقته وتحقق لهم أنك فيه فيه فذلك يزيدك من ذلك ، أو أن الداخل إليك ينتفع بك ، أو أنه في رأيك ولا يستجري على الغيبة والنميمة بحضرتك .

(٢) قال رضي الله عنه : أقل ما فيه الشغل عن الله .

فَصْلٌ

وَاجتَهِد أيُّهـا المُريـدُ في تَنزِيـهِ قَلبـكَ مِـن خَـوفِ الخَلـقِ وَمِـنَ الطَّمَعِ فِيهم ، فَإِنَّ ذَلكَ يَحمِلُ عَلى السُّكوتِ عَلى البَاطِلِ وَعَلى المُداهَنةِ في الدِّيـنِ ، وَعلَى تَركِ الأَمرِ بِالمَعروفِ وَالنَّهي عَنِ المُنكَرِ، وَكَفَى بِـهِ ذُلاًّ لِصـاحِبِهِ ، لأَنَّ المُـؤمِنَ عَزيزٌ بِرَبِّهِ لاَ يَخافُ وَلا يَرجُو أَحداً سِواهُ[1] . وإِن وَصَـلكَ أَحـدٌ مِـن إِخوانِـكَ المُسلمينَ بِمَعروفٍ مِن وَجهٍ طَيِّبٍ ؛ فَخُذهُ إِن كُنتَ مُحتاجاً إِليـهِ ، وَاشـكُرِ اللهَ فإِنَّهُ المُعطِي حَقيقَةً ، وَاشكُر مَن أَوصَلَهُ إِليـكَ عَلى يَـدهِ مِـن عِبـادِهِ ، وإِن لَـم تَكُن لكَ حَاجةٌ إِليهِ ؛ فَانظُرْ ، فإِن وَجَدتَ الأَصلَحَ لِقَلبِـك أَخْـذَهُ فَخُـذهُ ، أَو رَدَّهُ فَرُدَّهُ بِرفقٍ بِحيثُ لاَ يَنكَسِـرُ قَلبُ المُعطِي ؛ فَإِنَّ حُرمَةَ المُسـلِمِ عِنـدَ اللهِ عَظيمةٌ .

وَإِيَّاكَ وَالرَّدَّ لِلشُهرَةِ وَالأَخذَ بِالشَّهوَةِ ، وَلأَن تَأخُذَهُ بِالشَّهوَةِ خَيرٌ لَكَ مِن أَن تَرُدَّهُ لِلشُّهرَةِ بِالزُّهدِ وَالإِعراضِ عَنِ الدُّنيا ، وَالصَّادِقُ لاَ يَلتَبِسُ عَليهِ أَمرٌ ، وَلا بُدَّ أَن يَجعَلَ لَهُ رَبُّهُ نُوراً في قَلبِهِ يَعرِفُ بِهِ ما يُرادُ مِنهُ .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : بحسب حاله إن كان قويّاً . والخوف إنما هو من الله .

فَصْلٌ

وَمِن أَضَرِّ شَيءٍ عَلى المُريدِ طَلبُهُ لِلمُكاشَفاتِ، وَاشتِياقُهُ إِلى الكَراماتِ، وخَوارِقِ العَاداتِ[١]، وَهِيَ لاَ تَظهَرُ لَهُ مَا دَامَ مُشتهياً لِظُهُورِها؛ لأَنَّها لا تَظهَرُ إِلاَّ عَلى يَدِ مَن يَكرَهُها وَلا يُريدُها غَالباً. وَقَد تَقَعُ لِطَوائِفَ مِنَ المَغرورينَ؛ اِستِدراجاً لَهُم، وَابتِلاءً لِضَعَفةِ المُؤمنينَ مِنهُم، وَهِيَ في حَقِّهم إِهاناتٌ وَليست كَراماتٍ، إِنَّما تَكونُ كَراماتٍ إِذا ظَهرَت عَلى أَهلِ الاِستِقامَةِ، فَإِن أَكرَمَك الله - أَيُّها المُريدُ - بِشيءٍ مِنها؛ فَاحمَدْهُ سُبحانَه عَلَيه. وَلا تَقِف مَعَ مَا ظَهرَ لَكَ[٢] وَلا تَسكُن إِليهِ، وَاكتُمهُ وَلاَ تُحَدِّث بِهِ النَّاسَ، وَإِن لَم يَظهَر لَكَ مِنها شَيءٌ فَلا تَتَمَنَّاهُ وَلا تَأسَف عَلى فَقدِهِ.

وَاعلَم أَنَّ الكَرامةَ الجَامِعَةَ لِجَميعِ أَنواعِ الكَراماتِ الحَقيقيَّاتِ والصُّورِيَّاتِ هِي الاِستِقامَةُ المُعَبَّرُ عَنها بِامتِثالِ الأَوامِرِ وَاجتِنابِ المَناهِي ظَاهِراً وَبَاطِناً،

---

(١) قال رضي الله عنه : لأن العمل على ذلك معلول . والمكاشفات كرؤية مَلَك ، أو ظهور نور . والكرامات كطي مسافة ، أو تكثير طعام ، والكل خارق للعادة .

(٢) قال رضي الله عنه : أي لا تقف عن السير بسببها . ثم قال : أي لا تقف عن الطاعة والطلب .

فَعَليكَ بِتَصحِيحِها وَإِحكَامِها ؛ تَخدُمْكَ الأَكوانُ العُلوِيَّةُ وَالسُّـفلِيَّةُ[1]، خِدمَـةً لا تَحجُبُكَ عَن رَبِّكَ ، وَلاَ تُشغِلُكَ عَن مُرادِهِ مِنكَ .

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : **تخدمك** بقدر حاجتك ، لأن ما زاد على ذلك بلية أخرى .

فَصْلٌ

وَلتَكُن أيُّها المُريدُ حسنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ يُعينُكَ وَيَكفِيكَ ، وَيَحفَظُكَ وَيَقِيكَ[1] ، وَلاَ يَكِلُكَ إلى نَفسِكَ وَلاَ إلى أَحَدٍ مِنَ الخَلقِ ، فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ قَد أَخبَرَ عَن نَفسِهِ أَنَّهُ عِندَ ظَنِّ عَبدِهِ بِهِ ، وَأَخرِجْ مِن قَلبِكَ خَوفَ الفَقرِ وَتَوَقُّعَ الحاجَةِ إلى النَّاسِ[2].

وَاحذَر كُلَّ الحَذَرِ مِنَ الاهتِمامِ بِأَمرِ الرِّزقِ ، وَكُن وَاثِقاً بِوَعدِ رَبِّكَ وَتَكَفُّلِهِ بِكَ[3] ، حَيثُ يَقولُ تَعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وَأَنتَ مِن جُملَةِ الدَّوابِّ ، فَاشتَغِل بِمَا طَلَبَ مِنكَ مِنَ العَمَلِ لَهُ عَمَّا ضَمِنَ لَكَ مِنَ الرِّزقِ؛ فَإِنَّ مَولاكَ لاَ يَنسَاكَ ، وَقَد أَخبَرَكَ أَنَّ رِزْقَكَ عِندَهُ ،

---

(١) قال ﷺ : أي إذا كنت مشغولاً بطاعته وخدمته ، فإن كنت بطالاً أو مشغولاً بالدنيا لا يعينك ولا يحفظك ولا يقيك .

(٢) قال ﷺ : أي حتى يزهد قلبك في الدنيا وتتفرغ بالإشتغال بالله عما سواه . وتوقع الحاجة أي في وقت ثانٍ ، لأن الأمر مبني على ما قبله ، لأنه تجرد وربما يطرأ عليه ذلك .

(٣) قال ﷺ : أي قدر الكفاية في وقته ، لأنه لا يستقيم المريد إلا بذلك .

وَأَمرَكَ بِطَلَبِهِ مِنهُ بِالعِبادَةِ . فَقالَ تعالَى : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت : ١٧] . أَمَا تَراهُ سُبحانَهُ يَرزُقُ الكافِرِينَ بِهِ الذِّينَ يَعبُدونَ غَيرَهُ ؟ أَفَتَراهُ لاَ يَرزُقُ المؤمِنينَ الذَّينَ لاَ يَعبُدُونَ سِوَاهُ ، وَيَرزُقُ العَاصِينَ لَهُ وَالمُخالِفينَ لأمرِهِ ؛ أَوَلاَ يَرزُقُ المُطيعينَ لَهُ ، المُكثِرِينَ مِن ذِكرِهِ وَشُكرِهِ ؟[1]

وَاعلَم أَنَّهُ لا حَرجَ عَليكَ في طَلبِ الرِّزقِ بِالحَركاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الوَجهِ المَأذونِ لَكَ فيهِ شَرعاً ، وإِنَّما البَأسُ والحَرجُ في عَدَمِ سُكونِ القَلبِ واهتِمامِهِ وَاضطِرابِهِ وَمُتابَعتِهِ لأوهامِهِ ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلى خَرابِ القَلبِ إِهتِمامُ الإنسانِ بِما يَحتاجُ إِليهِ في وَقتٍ لَم يَخرُج مِنَ العَدَمِ كَالَيَومِ المُقبِلِ وَالشَّهرِ الآتي ، وَقولُهُ : إِذا نَفِذَ هَذا فَمِن أَين يَجيءُ غَيرُهُ ، وإِذا لَم يَجيء الرِّزقُ مِن هذَا الوَجهِ فَمِن أَيِّ وَجهٍ يَأتي ؟

وَأَمَّا التَّجَرُّدُ عَنِ الأَسبابِ والدُّخولُ فِيها ؛ فَهُمَا مَقامانِ يُقيمُ الله فيهما مِن عِبادِهِ مَن يَشاءُ . فَمَن أُقِيمَ في التَّجرُّدِ ؛ فَعَليهِ بِقُوَّةِ اليَقينَ ، وَسِعَةِ الصَّدرِ ،

---

(١) قال رضي الله عنه : أي أن هذا مستبعد ، لكنه قد يرزق الفاجر جزافاً ليوافى به في القيامة ، ويشغله به عن خدمته ، ويرزق المؤمن كَفَافاً ليتفرغ لطاعته ، ويُكفى شر حسابه فينال بذلك الثواب .

وَمُلازَمَـةِ العِبـادَةِ. وَمَـن أقِـيمَ في الأَسـبابِ؛ فَعليـهِ بِتَقـوى الله في سَـبَبِهِ، وَبِالاِعتِمادِ علَى الله دونَهُ، وَلْيحذَر مِنَ الاشتِغالِ بِهِ عَن طَاعةِ رَبِّهِ.

وَقَد تَرِدُ علَى المُريدِ خَواطِرُ في أَمرِ الـرِّزقِ، وفي مُـراءاةِ الخَلـقِ، وفي غَـيرِ ذَلكَ، وَلَيسَ مَلُوماً وَلا مَأثُوماً عَليها؛ إِذا كَانَ كَارِهاً لَهَا، وَمُجتَهِداً في نَفيِهَا مِن قَلبِهِ.

* * * * *

فَصْلٌ

وَلتَكُن لَكَ - أيُّها المُريدُ - عِنايَةٌ تَامَّةٌ بِصُحبةِ الأَخيارِ وَمُجالَسَةِ الصَّالِحينَ الأَبرارِ. وَكُن شَديدَ الحِرصِ علَى طَلبِ شَيخٍ صَالِحٍ مُرشِدٍ نَاصِحٍ، عَارِفٍ بِالشَّريعَةِ، سَالِكٍ لِلطَّرِيقَةِ، ذَائِقٍ لِلحَقِيقَةِ، كَامِلِ العَقلِ وَاسِعِ الصَّدرِ، حَسَنِ السِّيَاسَةِ عَارِفٍ بِطبَقاتِ النَّاسِ مُمَيِّزٍ بَينَ غَرائِزِهِم وَفِطَرِهِم وَأَحوَالِهِم.

فَإِن ظَفِرتَ بِهِ فَأَلقِ نَفسَكَ عَليهِ وَحَكِّمهُ فِي جَمِيعِ أُمورِكَ، وَارجِع إِلى رَأيِهِ وَمَشُورَتِهِ فِي كُلِّ شَأنِكَ، وَاقتَدِ بِهِ فِي جَمِيعِ أَفعَالِهِ وَأَقوَالِهِ إِلاَّ فِيمَا يَكُونُ خَاصّاً مِنها بِمَرتَبَةِ المَشيَخَةِ، كَمُخالَطَةِ النَّاسِ وَمُدَارَاتِهِم وَدَعوَةِ القَرِيبِ وَالبَعيدِ إِلَى اللهِ وَمَا أَشبَهَ ذَلكَ فَتُسَلِّمُهُ لَهُ، وَلا تَعتَرِض عَلَيهِ فِي شَيءٍ مِن أَحوَالِهِ لا ظَاهِراً وَلا بَاطِناً، وَإِن وَقَعَ فِي قَلبِكَ شَيءٌ مِنَ الخَواطِرِ فِي جِهَتِهِ فاجتَهِد فِي نَفْيِهِ عَنكَ، فَإِن لَم يَنتَفِ فَحَدِّث بِهِ الشَّيخَ لِيُعَرِّفَكَ وَجهَ الخَلاصِ مِنهُ، وَكَذلِكَ تُخبِرُهُ بِكُلِّ ما يَقَعُ لَكَ خُصوصاً فِيما يَتعَلَّقُ بِالطَّريقِ[1].

---

(١) قال رضي الله عنه: لا يلزمه أن يخبره إلا بما يتعلق بالطريق، كخروجٍ عن سببٍ أو دخولٍ فيه ونحو ذلك، أو بالوقائع، أو رؤيا، أو خاطر، أو رأى شيئا من أمور الباطن، أو ظهر له شيء من الخوارق، أو كوشف بشيء ونحو ذلك. ولا يلزمه أن يخبره بغير ذلك، فلا يخبره بما يكون بينه وبين أهله أو بين أحد =

وَاحذَر أَن تُطيعَهُ في العَلانِيَةِ وَحَيثُ تَعلَمُ أَنَّهُ يَطَّلِعُ عَليكَ ، وَتَعصِيهِ في السِّرِّ وَحَيثُ لا يَعلَمُ فَتَقع في الهَلاكِ . وَلا تَجتَمِعْ بِأَحدٍ مِنَ المَشايِخ المُتَظاهِرينَ بِالتَّسليكِ إلاَّ عَن إذنِهِ ، فَإِن أَذِنَ لَكَ فاحفَظ قَلبَكَ وَاجتَمِع بِمَن أَرَدتَ ، وَإِن لَمَ يَأذَن لَكَ فَاعلَم أَنَّهُ قَد آثَرَ مَصلَحَتَكَ فَلا تَتَّهِمْهُ وَتَظُنُّ بِهِ الحَسدَ وَالغَيرَةَ ، مَعَاذَ الله أَن يَصدُرَ عَن أَهلِ الله وَخاصَّتِهِ مِثلُ ذَلِكَ .

وَاحذَر مِن مُطالَبَةِ الشَّيخِ بِالكَرامَاتِ وَالمُكَاشَفَةِ بِخَواطِرِكَ ، فَإِنَّ الغَيبَ لا يَعلَمُهُ إلاَّ الله[1] ، وَغَايَةُ الوَلِيِّ أَن يُطلِعَهُ اللهُ عَلَى بَعضِ الغيُوبِ في بَعضِ

=أي شيء يكون أو ما يكون من أمور دنيام ، إلا إن كان يخبره للإستفتاء ليتعرف منه الحكم في ذلك ، حتى إن عبدالرحمن بن عوف تزوج ولم يُعلم النبي ﷺ بذلك ، ولم يَعلم به إلا لما رأى عليه أثر الزواج .

قال الأحسائي : الوقائع هي ما يرد على قلوبهم من العالم العلوي بما يفتح الله به على أوليائه ويطلعهم عليه من الأمور الغيبية ، فيسمى عندهم بالوقائع . كذا حفظته عن شيخنا الأفضل الأكرم السيد أحمد بن زين الحبشي رحمه الله .

(١) قال رضي الله عنه : على الإطلاق ، لأنه عليه السلام لا يعلم الشيء إلا بالوحي فكيف بغيره ، وكل مقامٍ دون مقامه عليه السلام إلا قد يطلعون على نادره .

الأَحيان ، وَرُبَّما دَخَلَ المُريدُ علَى شَيخِهِ يَطلُبُ مِنهُ أَن يُكاشِفَهُ بِخاطِرِهِ ، فَلا يُكاشِفُهُ وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَليهِ وَمُكاشَفٌ بِهِ صِيانَةً لِلسِّرِّ وَسَتراً لِلحالِ ، فَإِنَّهُم - رضي الله عنهم - أَحرَصُ النَّاسِ علَى كِتمانِ الأَسرارِ وَأَبعَدُهُم عَنِ التَّظاهُرِ بِالكَرَاماتِ والخَوارِقِ وَإِن مُكِّنُوا مِنها وَصُرِّفُوا فِيها .

وَأَكثَرُ الكَرَاماتِ الوَاقِعَةِ مِنَ الأَولِيَاءِ وَقعَت بِدونَ اِختِيَارِهِم ، وَكَانُوا إِذا ظَهرَ عَليهِم شَيءٌ مِن ذَلِكَ يُوصونَ مَن ظَهرَ لَهُ أَن لا يُحَدِّثَ بِهِ حَتَّى يَخرُجُوا مِنَ الدُّنيا ، وَرُبَّما أَظهَرُوا مِنها شَيئاً اختِيَاراً لِمَصلحَةٍ تَزيدُ علَى مَصلَحَةِ السِّترِ .

وَاعلَم أَنَّ الشَيخَ الكَامِلَ هُوَ الذِّي يُفيدُهُ بِهِمَّتِهِ وَفِعلِهِ وَقَولِهِ ، وَيَحفَظُهُ فِي حُضورِهِ وَغَيبَتِهِ ، وَإِن كانَ المُريدُ بَعيداً عَن شَيخِهِ مِن حَيثُ المَكانُ ؛ فَلَيَطلُبْ مِنهُ إِشارَةً كُلِّيَةً فِيما يَأتِي مِن أَمرِهِ وَيترُكُ .

وَأَضرُّ شَيءٍ عَلى المُريدِ تَغَيُّرُ قَلبِ الشَّيخِ عَليهِ ، وَلَو اجتَمَعَ علَى إِصلاحِهِ بَعدَ ذَلِكَ مَشايخُ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ لَمَ يَستَطيعُوهُ إِلاَّ أَن يَرضَى عَنهُ شَيخُهُ .

وَاعلَم أَنَّهُ يَنبَغِي لِلمُريدِ الذَّي يَطلبُ شَيخاً أَن لا يُحَكِّمَ فِي نَفسِهِ كُلَّ مَن يُذكَرُ بِالمَشيَخَةِ وَتَسليكِ المُريدينَ حَتَّى يَعرِفَ أَهلِيَّتَهُ وَيَجتَمِعَ عَليهِ قَلبُهُ ،

وَكذَلِكَ لا يَنبَغي لِلشَيخِ إِذا جاءَ المُريدُ يَطلُبُ الطَّرِيقَ أَن يَسمَحَ لَهُ بِها مِن قَبلِ أَن يَختَبِرِ صِدقَهُ في طَلَبِه[1]، وَشِدَّةَ تَعَطُّشِهِ إِلى مَن يَدُلُّهُ عَلى رَبِّهِ.

وَهذَا كُلُّهُ في شَيخِ التَّحكِيمِ، وَقَد شَرَطُوا عَلى المُريدِ أَن يَكُونَ مَعَهُ كَالمَيِّتِ بَينَ يَدَيِّ الغَاسِلِ وَكالطِّفلِ مَعَ أُمِّهِ، وَلا يَجرِي هَذا في شَيخِ التَّبَرُّكِ، وَمَهمَا كَانَ قَصدُ المُريدِ التَّبَرُّكَ دُونَ التَّحكِيمِ فَكُلَّما أَكثَرَ مِن لِقاءِ المَشايِخِ وَزِيارَتِهِم وَالتَّبَرُّكِ بِهِم كَانَ أَحسَنَ. وَإِذا لَم يَجِد المُريدُ شَيخاً فَعَلَيهِ بِمُلازَمَةِ الجِدِّ وَالاجتِهادِ مَعَ كَمالِ الصِّدقِ في الالتِجاءِ إِلى اللهِ وَالافتِقارِ إِلَيهِ في أَن يُقَيِّضَ لَهُ مَنْ يُرشِدُهُ، فَسَوفَ يُجِيبُهُ مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ، وَيَسُوقُ إِلَيهِ مَن يَأخُذُ بِيَدِهِ مِن عِبادِهِ.

وَقَد يَحسِبُ بَعضُ المُريدينَ أَنَّهُ لا شَيخَ لَهُ، فَتَجِدُهُ يَطلُبُ الشَّيخَ وَلَهُ شَيخٌ لَم يَرَهُ، يُرَبِّيهِ بِنَظَرِهِ وَيُرَاعيهِ بِعَينِ عِنايَتِهِ وَهُوَ لا يَشعُرُ، وَعِندَ التَناصُفِ مَا ذَهَبَ إِلاَّ الصِّدقُ، وَإِلاَّ فَالمَشايِخُ المُحَقِّقُونَ مَوجُودونَ، وَلَكِن سُبحانَ مَن

---

(١) قال رضي الله عنه: كانوا يختبرونه سنة، يخلونه لا يحكمونه، هذا في المريد الصادق والشيخ المحكّم، واليوم قد عُدما فما بقي إلا التبرك.

لَم يَجعلِ الدَّلِيلَ عَلى أَولِيَائِه إلاَّ مِن حَيثُ الدَّلِيلُ عَليهِ ، وَلَمَ يُوصِل إِليهِم إلاَّ مَن أَرادَ أَن يُوصِلَهُ إِليهِ(١).

* * * * *

(١) قال الأحسائي : ليس المراد وصوله الحسي ، بل أوله رفع بشرية الشيخ عن المريد ، وظهور خصوصيته له ، وإنما المراد وصول معنوي ، وسواء حصل معه ذلك الوصول الحسي أم لا ، ويفهم هذا من كلامه على قول أبي يزيد في الرسالة : أولياء الله عرائس الله ولا يرى العرائس إلا المتقون ، وهم مخدرون عنده في حجال الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة . انتهى كلام أبي يزيد . قال سيدنا : يعني أسرارهم التي بينهم وبين الله التي يعرفون بها بأنهم أولياءه .

تَتِمَّةٌ

وَإِذا أَردتَ - أَيُّها المُريدُ - مِن شَيخِكَ أَمراً أَو بَدا لَكَ أَن تَسأَلَهُ عَن شَيءٍ فَلا يَمنَعُكَ إِجلالُهُ وَالتَّأَدُّبُ مَعَهُ عَن طَلَبِهِ مِنهُ وَسُؤَالِهِ عَنهُ ، وَتَسأَلُهُ المَرَّةَ وَالمَرَّتينِ وَالثَّلاثَ ، فَلَيسَ السُّكوتُ عَنِ السُّؤَالِ وَالطَّلبِ مِن حُسنِ الأَدَبِ ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَن يُشيرَ عَليكَ الشَّيخُ بِالسّكوتِ وَيَأمُرَكَ بِتَركِ السُّؤالِ[1]، فَعِندَ ذَلكَ يَجِبُ عَليكَ اِمتِثالُهُ . وَإِذا مَنعَكَ الشَّيخُ عَن أَمرٍ أَو قَدَّمَ عَليكَ أَحداً فَإِيَّاكَ أَن تَتَّهِمَهُ ، وَلْتَكُن مُعتَقِداً أَنَّهُ قَد فَعَلَ مَا هُوَ الأَنفَعُ وَالأَحسنُ لَكَ ، وَإِذا وَقَعَ مِنكَ ذَنبٌ وَوَجدَ عَليكَ الشَّيخُ بِسَبَبِهِ ؛ فَبادِر بِالاِعتِذارِ إِليهِ مِن ذَنبِكَ حَتَّى يَرضَى عَنكَ .

---

(١) قال رضي الله عنه : أي بأن يكون لا يحسن السؤال ، أو شيئاً يقبح ذِكْرُهُ وأراد ذِكْرَه بين الناس ، أو شيئاً يظنه ذنباً وليس بذنب ونحو ذلك . قال : إن كان المريد لديه شيء من الأسرار فإنه يسأل شيخه عن جميع أموره الباطنة والظاهرة ، حتى عن نومه وأكله ونحو ذلك ، وإلا فليسأله عما بدا له من العلم إن صلح هو للسؤال والجواب .

وَإِذا أَنكَرتَ قَلبَ الشَّيخِ عَليكَ كَأَن فَقَدتَ مِنهُ بِشْراً كُنتَ تَأْلَفُهُ أَو نَحوَ ذَلكَ ؛ فَحَدِّثهُ بِما وَقعَ لَكَ مِن تَخَوُّفِكَ تغَيُّرَ قَلبِهِ عَليكَ ، فَلَعلَّهُ تغَيَّرَ عَليكَ لِشيءٍ أَحدَثتَهُ فَتَتُوبَ عَنهُ ، أَو لَعَلَّ الذِّي توَهَّمتَهُ لَم يَكُن عِندَ الشَّيخِ وَأَلقاهُ الشَّيطانُ إِليكَ لِيَسُوءَكَ بِهِ ، فَإِذا عَرَفتَ أَنَّ الشَّيخَ رَاضٍ عَنكَ سَكَنَ قَلبُكَ ، بِخلافِ مَا إِذا لَم تُحَدِّثهُ وَسَكَتَّ بِمَعرِفةٍ مِنكَ بِسلامةِ جِهَتِكَ .

وَإِذا رَأَيتَ المُريدَ مُمتَلِئاً بِتعظِيمِ شَيخِهِ وَإِجلالِهِ ، مُجتَمِعاً بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ عَلى اِعتِقادِهِ وَامتِثالِهِ ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدابِهِ ؛ فَلا بُدَّ أَن يَرِثَ سِرَّهُ ، أَو شَيئاً مِنهُ إِن بَقِيَ بَعدَهُ[1] .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : لا يرث المريد شيخه ما دام حياً بل بعد موته . لأن الإرث إنما هو بعد الموت ، وما ظهر عليه من الأحوال أو شيء من الكرامات في حياة شيخه إنما ذلك بسبب حسن أعماله . قيل له : و في الحياة لا يحصل للمريد شيء ؟ قال : إنما يحصل له بركة ، أو كان شيء من الآداب ، وهو فيه بالعلم و العمل وإنما الوراثة في السر وهو بعد موت الشيخ . انتهى بمعناه وذلك عشية يوم الأحد ٣ ربيع أول ١١٣٢هـ.

الخَاتِمَة

نذكر فيها شيئاً من أوصاف المريد الصادق . قَالَ بَعضُ العَارِفينَ رضي الله عنهم وَنَفَعنا بِهم أَجمَعين :

لاَ يَكُونُ المُريدُ مُريداً حَتَّى يَجِدَ في القُرآنِ كُلَّ مَا يُريدُ[1] ، وَيَعرِفَ النُّقصَانَ مِنَ المَزيدِ ، وَيَستَغنِي بِالمَولى عَنِ العَبِيدِ ، وَيَستَوِي عِندَهُ الذَّهبُ وَالصَّعيدُ .

المُريدُ مَن حَفِظَ الحُدودَ ، وَوَفَّى بِالعُهُودِ ، وَرَضِيَ بِالمَوجُودِ ، وَصَبَرَ عَنِ المَفقُودِ .

المُريدُ مَن شَكَرَ عَلى النَّعماءِ ، وَصَبرَ علَى البَلاءِ ، وَرَضِيَ بِمُرِّ القَضاءِ ، وَحَمِدَ رَبَّهُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وَأَخلَصَ لَهُ في السِّرِّ وَالنَّجوَى .

المُريدُ مَن لاَ تَستَرِقُّهُ الأَغيَارُ[2] ، وَ لا تَستَعبِدُهُ الآثارُ ، وَلا تَغلِبُهُ الشَّهوَاتُ ، وَلا تَحكُمُ عَليهِ العَادَاتُ . كَلامُهُ ذِكرٌ وَحِكمةٌ ، وَصَمتُهُ فِكرَةٌ وَعِبرَةٌ ، يَسبِقُ

---

(١) قال رضي الله عنه : أي من العلوم والمعارف ويُعطى منهما فيه .

(٢) قال رضي الله عنه : أي الشهوات وحظوظ النفس ، أي لا يكون تحت حكمها .

فِعلُهُ قَولَهُ[١] وَيُصَدِّقُ عِلمَهُ عَمَلُهُ ، شِعارُهُ الخُشوعُ وَالوَقارُ ، وَدِثارُهُ التَّواضُعُ وَالانكِسارُ ، يَتَّبِعُ الحَقَّ وَيُؤثِرُهُ ، وَيرفُضُ الباطِلَ وَيُنكِرُهُ ، يُحِبُّ الأَخيارَ وَيُوالِيهِم ، وَيَبْغَضُ الأَشرارَ وَيُعادِيهِم ، خُبْرُهُ أَحسنُ مِن خَبَرِهِ ، وَمُعَاشَرَتُهُ أَطيبُ مِن ذِكْرِهِ ، كَثِيرُ المَعُونَةِ ، خَفِيفُ المَؤُونَةِ ، بَعيدٌ عَنِ الرُّعُونَةِ . أَمينٌ مَأمُونٌ ، لا يَكذِبُ وَلا يَخونُ ، لاَ بَخيلاً وَلا جَباناً ، وَلا سَبَّاباً ولا لَعَّاناً ، وَلا يَشتَغِلُ عَن بُدِّهِ ، وَلا يَشِحُّ بِما في يَدِهِ ، طَيِّبُ الطَّوِيَّةِ ، حَسَنُ النِّيَّةِ ، سَاحَتُهُ مِن كُلِّ شَرٍّ نَقِيَّةٌ ، وَهِمَّتُهُ فيما يُقَرِّبهُ مِن رَبِّهِ عَلِيَّةٌ ، وَنَفسُهُ عَلى الدُّنيا أَبِيَّةٌ ، لا يُصِرُّ علَى الهَفوَةِ ، وَلا يُقدِمُ وَلا يُحجِمُ بِمُقتَضى الشَّهوَةِ ، قَرِينُ الوَفاءِ وَالفُتُوَّةِ ، حَلِيفُ الحَياءِ وَالمُرُوَّةِ ، يُنصِفُ كُلَّ أَحدٍ مِن نَفسِهِ وَلا يَنتَصِفُ لَهَا مِن أَحَدٍ . إِن أُعطِيَ شَكَرَ ، وَإِن مُنِعَ صَبَرَ ، وَإِن ظَلَمَ تَابَ وَاستَغفَرَ ، وَإِن ظُلِمَ عَفا وَ غَفَرَ ، يُحِبُّ الخُمُولَ وَالإستِتَارَ ، وَيَكرَهُ الظُّهورَ وَالإشتِهارَ ، لِسَانُهُ عَن كُلِّ مَا لا يَعنيهِ مَخزونٌ ، وَقَلبُهُ عَلَى تَقصِيرِهِ في طاعَةِ رَبِّهِ مَحزُونٌ ، لاَ يُداهِنُ في الدِّينِ وَلا يُرضي المَخلوقِينَ بِسُخطِ رَبِّ العَالمِينَ ، يَأنَسُ بِالوِحدَةِ وَالانفِرادِ ، وَيَستَوحِشُ مِن مُخالَطَةِ العِبادِ ، وَلا تَلقَاهُ إِلاَّ عَلى خَيرٍ يَعمَلُهُ[٢] ، أَو عِلمٍ يُعَلِّمهُ ، يُرجَى خَيرُهُ ،

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي إذا عزم على فعل خير يفعله قبل أن يقوله .**

(٢) قال رضي الله عنه : **هذه صفة الرجل الصالح .**

وَلا يُخشَى شَرُّهُ ، وَلا يُؤذِي مَن آذاهُ ، وَلا يَجفُو مَن جَفَاهُ ، كَالنَّخلةِ تُرمَى بِالحَجَرِ فَتَرمِي بِالرُّطَبِ ، وَكَالأَرضِ يُطرَحُ عَليهَا كُلُّ قَبيحٍ وَلا يَخرُجُ مِنها إلاَّ كُلُّ مَليحٍ ، تَلوحُ أَنوارُ صِدقِهِ علَى ظَاهِرِهِ ، وَيَكادُ يُفصِحُ مَا يُرَى عَلَى وَجهِهِ عَمَّا يُضمِرُ في سَرائِرِهِ ، سَعيُهُ وَهِمَّتُهُ في رِضَا مَولاهُ ، وَحِرصُهُ ونَهمَتُهُ في مُتابَعَةِ رَسُولِهِ وَحَبِيبِهِ وَمُصطَفاهُ ، يَتَأَسَّى بِهِ في جَميعِ أَحوَالِهِ ، وَيَقتدِي بِهِ في أَخلاقِهِ وَأَفعَالِهِ وَأَقوالِهِ ، مُمتَثِلاً لأمرِ رَبِّهِ العَظِيمِ في كِتابِهِ الكَرِيم حَيثُ يَقولُ :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

فَتَرَاهُ في غَايَةِ الحِرصِ عَلى مُتابَعَةِ نَبيِّهِ ، مُمْتَثلاً لأَمرِ رَبِّهِ ، وَرَاغِباً في الوَعدِ الكَريمِ ، وَهارِباً مِنَ الوَعِيدِ الأَلِيمِ الوَارِدَينِ في الآياتِ الَّتي أَورَدناها وَفِيما لَم نُورِدُهُ مِمَّا هُو في مَعناها المُشتَمِلَةِ عَلى البِشارَةِ بِغَايَةِ الفَوزِ وَالفَلاحِ لِلمُتَّبِعِينَ لِلرَّسولِ ، وَعَلى النَّذارَةِ بِغايَةِ الخِزيِ وَالهَوانِ لِلمُخالِفِينَ لَهُ .

(**اللَّهُمَّ**) إِنَّا نَسأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنتَ اللهُ الذّي لا إِلهَ إِلاَّ أَنتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ بَديعُ السَّمواتِ وَالأَرضِ يَا ذا الجَلالِ وَالإِكرَامِ أَن تَرزُقَنا كَمالَ المُتابَعةِ لِعبدِكَ وَرَسولِكِ سَيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ في أَخلاقِهِ وَأَعمَالِهِ وأَقوالِهِ ظَاهِراً وَباطِناً وَتُحيينا وَتُميتَنا عَلى ذَلكَ بِرحمَتِكَ يا أَرحَمَ الرَّاحِمين .

(**اللَّهُمَّ**) رَبَّنا لَكَ الحَمدُ حمداً كَثيراً طَيِّباً مُباركاً فِيهِ كَمَا يَنبَغي لِجَلالِ وَجهِكَ وَعَظيمِ سُلطانِك .

﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* * * * *

تمت هذهِ الرِّسالةُ لِلمُريدِ المَخصوصِ مِن رَبِّهِ المَجيدِ بِالتثبيتِ وَالتَأييدِ وَالتَسديدِ . وَكانَ بِحَمدِ اللهِ إِملاؤُها في سَبعِ لَيالٍ أَو ثَمانٍ مِن شَهرِ رَمضانَ سَنَةَ إِحدى وَسَبعينَ وَأَلفٍ مِن هِجرَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ، والحَمدُ لله رَبِّ العَالَمينَ .

* * * * *



مُقتَطَفات مِن كِتَابِ تَثْبِيتِ الفُؤَادِ الأُم

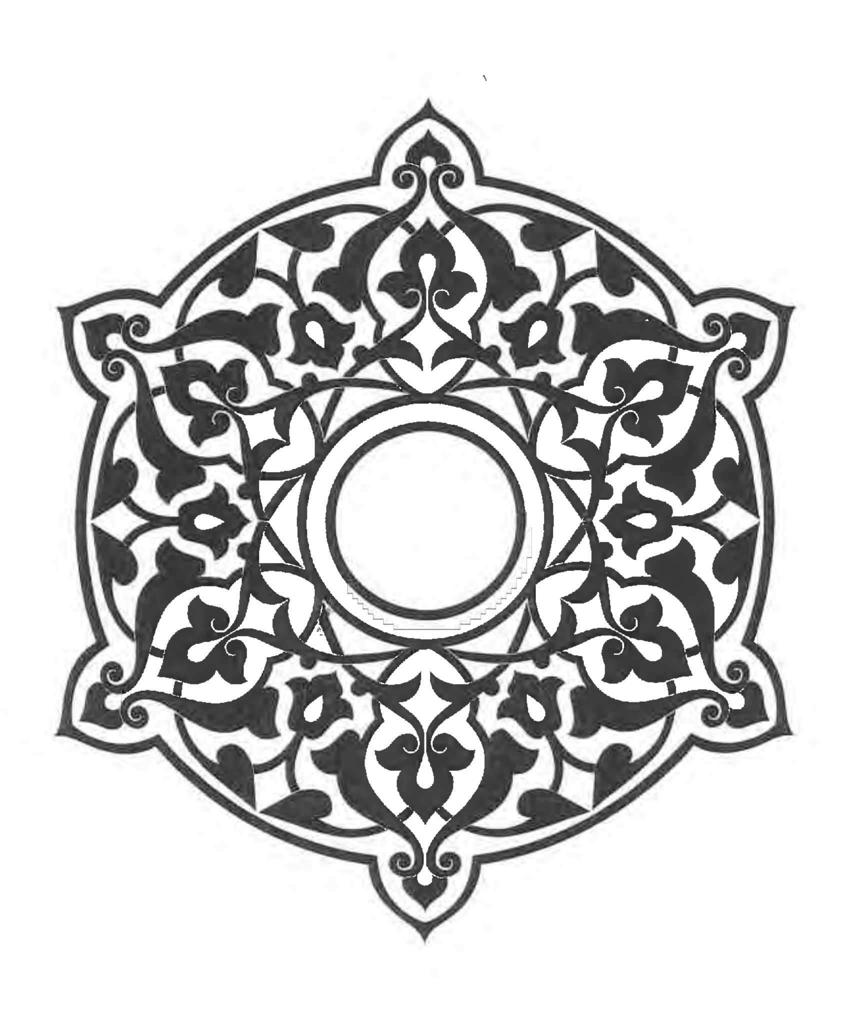
عند ذكر الشيخ الفقيه باجبير - من أهل دوعن ، انتقل إلى تريم بعد أن هدمت بيوتهم في سيل الإكليل - قال رضي الله عنه :

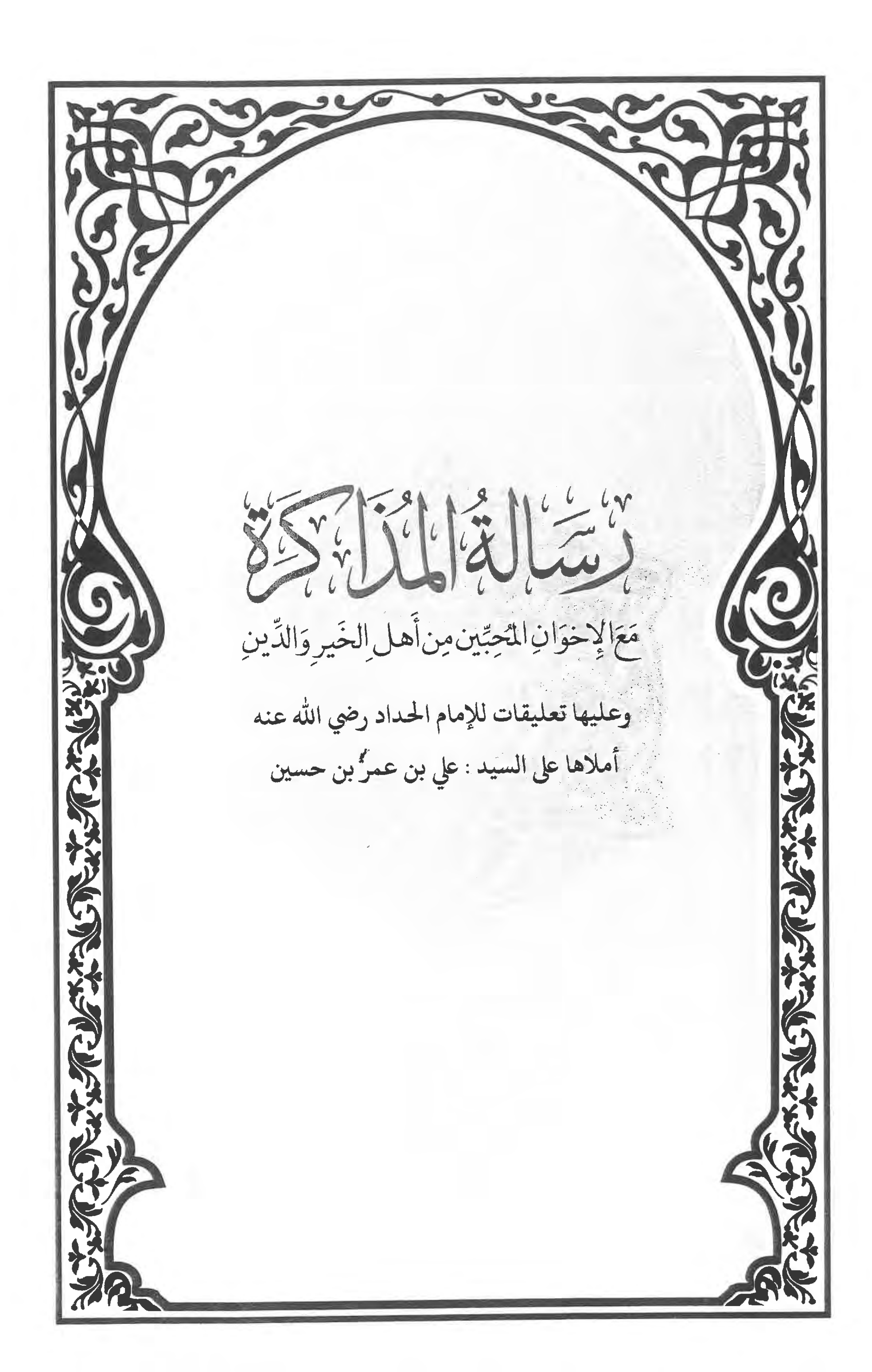
قرأت عليه في الفقه ، وحفظت عليه ربع العبادات من الإرشاد ، ثم سافر إلى الهند وبقي مدة ، ثم رجع وقرأ علينا في الإحياء ، ومن العجيب أنَّا كنا نقرأ عليه رجع يقرأ علينا .

قال الشيخ الأحسائي :

رأيت بخطِّ نقلاً عن سيدنا ، أن سيل الإكليل المذكور كان سنة ١٠٤٩هـ ، فيكون سيدنا إذ ذاك ابن نحو خمس سنين ، وذكر أنه ابتدأ يقرأ على باجبير وسنُّه إذ ذاك نحو أربعة عشرة سنة ، فيكون نحو سنة ١٠٥٨هـ ، ثم إن الفقيه سافر إلى الهند بعد ذلك بنحو سنة أو أكثر ، وذكر أن دخوله الخلوة في الهجيرة سنة ١٠٦١هـ -وذلك في غَيبة الفقير - وأنه بقي في الخلوة ١١ سنة إلى سنة ١٠٧١ هـ ، وفيها تزوج أول زواج له بعربية من حافة مسجد الهجيرة في حياة أبويه ، وكان مرابطاً في خلوة ذلك المسجد ، وله متفطرين في خلوة ذلك المسجد على يد خادم له وهو أحمد بن دامس ، وكل ذلك في حياتهما ، ثم ظهر وجُعِل المقريء - أي هو يُقريء الناس - في ذلك المسجد ، ثم جاء الفقيه وجعل يقرأ عليه في الإحياء ، وسِنُّ سيدنا إذ ذاك نحو ثمان وعشرين ، وفيها خرج من الخلوة - أي بعد زواجه - ولكن بقي يتردد إليها . قال : نبقى فيها بالنهار وبالليل عند الأهل .

أ.هـ. ((تثبيت الفؤاد)) الأم





رسالة المذاكرة

مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين

وعليها تعليقات للإمام الحداد رضي الله عنه

أملاها على السيد : علي بن عمر بن حسين



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢].

الحمد لله رب العالمين ، الذي خلق الإنسان من طين ، وجعله من سلالة من ماء مهين ، وأخرج المؤمنين المتواصين بالحق والصبر من زمرة الخاسرين ، باستثنائه إيَّاهم بعد أن عمَّ بالخسران نوع الإنسان الذي هو سائر الآدميين ، وأمر عباده الذين آمنوا بالتعاون على البرِّ والتقوى ، وأخبرهم أنَّ أكرمهم عند الله أتقاهم ، و أنَّه وليُّ المتقين ، وأنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، لا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال ، بل قد حذَّرهم ذلك على لسان رسوله الأمين القائل : ((ما أوحي إليَّ أن اجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أن سبِّحْ بحمد ربك وكن من الساجدين ، و أعْبُد ربك حتى يأتيك اليقين)) .

فإذاً سعادة كل أحد وكمالـهِ في التزام الأمر الذي لأجله خُلِق ، والذوب فيه ، والتفرغ له بقطع ما يمنع منه ويصد عنه من تُرَّهات الحمقاء المغترين ، وتهويسات الأغبياء البطَّالين . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين ، الذي أرسله رحمةً للعالمين ، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * * * *

أما بعد : فإن جِماع الخير ومِلاكه تقوى الله في السرِّ والعلانية والغيب والشهادة ؛ والتقوى هي الخصلة التي تجمع لصاحبها خير الدنيا و الآخرة[١] . ولعِظَم موقعها من الدِّين ، وجلالة قدرها عند العلماء الرَّاسخين ، صَدَّروا بها الخطب والمواعظ و الوصايا ؛ ولكونها جامعة للخير كله ، اكتُفِيَ بذِكْرِها في الوصية الواجبة في الخطبة ، وكثيراً ما يقتصر عليها الأكابر في وصيةِ مَن استوصاهم .

والتقوى وصية الله رب العالمين للأولين والآخرين . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] .

وفي الأمر بالتقوى قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء : ١] الآية . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) قال رضي الله عنه : قَلَّ ما توجد وصية ولا خطبة إلا وفيها الأمر بالتقوى ، ويكتفون بها في وصية من استوصاهم إذا قالوا لهم : أوصونا ، قالوا لهم : نوصيكم بتقوى الله . لأنها تجمع لهم الخير ، وهي عبارة عن فعل الخيرات ظاهراً وباطناً ، وترك المنهيات ظاهراً وباطناً ، فمن فعل ذلك فقد كمُل تقواه ، ومن دونه فله نصيبه من التقوى وأصله الخوف .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠]. وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، أي: استفرغوا الطاقة والإمكان في ذلك. ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧].

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة.

وقد جمع الله للمتقين خيرات الدنيا والآخرة، فمن ذلك: **المَخرج من الشدة، والرزق من حيث لا يحتسبون**. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومن ذلك **الهدى**؛ قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢].

ومنها: **العلم**؛ قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومنها: **الفرقان** والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٩]. قال بعض المفسرين: يجعل لكم فرقاناً: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل.

ومنها : **الولاية** ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩ ﴾ [الجاثية: ١٩].

ومنها : **المعِيّة** ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩٤] ، أي : بالنصر والرعاية والحراسة[1] .

ومنها **النجاة** ؛ قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم: ٧٢].

ومنها **الوعد بالجنة** ؛ قال عزَّ من قائل : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٣٤ ﴾ [القلم: ٣٤] ، ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾ [ق: ٣١].

---

(١) قال رضي الله عنه : **هي زيادة تعظيم بمعنى الحفظ والرعاية ، وهي غير المعية الأخرى التي في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] أي رقيب حاضر . فالفائدة في العلم العمل ، مثاله : إذا سمع فوائد التقوى وفضائلها فليتّق ، وليجتهد في العمل بالتقوى ، وإلا فما نفع يسمع ويرمي الكتاب من غير عمل ، وإذا اتقيت الله فلا تخف من شيء . ويكفي في شرف التقوى أن الله ذَكَرَه في أكثر من ٩٠ موضعاً في كتابه .**

إلى غير ذلك من الخيرات الجميلة ، والفضائل الجليلة ، والمواهب الجزيلة . ويكفي في شرف التقوى أن الله تعالى ذكرها في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه .

وفي الأمر بالتقوى وفضيلته ، قال رسول الله ﷺ : ((اتق الله حيثما كنت ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها ، وخالق الناس بخُلُق حسن)) .

وقال رسول الله ﷺ : ((أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي)) الحديث .

وقال عليه الصلاة و السلام : ((اتَّقِ النار ولو بِشِقِّ تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة)) .

وكان عليه الصلاة و السلام يقول في دعائه : ((اللّٰهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله ، أنتم من آدم وآدم من تراب)) .

وقيل : يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : ((أتقاهم)) الحديث .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام ، قال: ((لا تأكلْ إلا طعام تقي ، ولا يأكل طعامك إلا تقي)) . وقالت عائشة رضي الله عنها : ((ما أعجب رسول الله شيءٌ من الدنيا ، ولا أعجبه أحد إلا أن يكون ذا تقى)) .

وقال علي - كرم الله وجهه - : إنَّه لا يَهِيجُ على التقوى زرعُ قوم . ومعنى يهيج : يهلك . وقال قتادة : مكتوب في التوراة : اتَّقِ الله ومُتْ حيث شئت . وقال الأعمش : من كان رأس ماله التقوى ؛ كلَّت الألسنة عن وصف ربحه . وكان بشر الحافي ينشد :

موت التقيِّ حياةٌ لا نفاد لها قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ

وفضائل التقوى و المتقين أكثر من أن تُحْصر ، و قد بسط الكلام في التقوى الإمام الغزالي في منهاجه ، وقد لخصنا من كلامه بعض ما ذكرناه .

* * * * *

فَصْلٌ

قال الإمام الغزالي : التقوى في القرآن تطلق على ثلاث معان :

أحـدها : بمعـني الخشـية والهيبـة . **والثـاني** : بمعـنى الطاعـة والعبـادة . **والثالث** : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذا هو الحقيقة . انتهى مختصراً .

وعلى الجملة ، فالتقوى عبارة عن اتِّقاء سخط الله و عقابه بامتثال مـا بـه أمر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر. وحقيقة التقوى أن لا يـراك مـولاك حيـث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك والسلام .

* * * * *

فَصْلٌ

وقد عَلِمَت أولو القلوب السليمة والعقول المستقيمة أنهم يُجزَوْن ما يعملون ، و يحصدون ما يزرعون[١] ، و كما يدينون يُدانون ، وعلى ما قدَّموه يَقْدُمون ، وكيف لا يعلمون ذلك ، ويوقِنون بما هنالك ، وهم يسمعون ما به يؤمنون ، ويصدقون من تنزيل الله المحكم وحديث نبيه ﷺ ما يوجب العلم اليقيني القطعي[٢] لمن نوَّر الله قلبه وشرح صدره ، فأَحضِر قلبك واصْغِ بأذنِك إلى طَرَفٍ من ذلك[٣] ، لعلك بسماعه تستيقظ من غفلتك ، وتتنبه من نومتك ، فتعمل لنفسك صالحاً تنجو به ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

---

(١) قال رضي الله عنه : **العمل والزرع في الدنيا ، والجزاء والحصاد في الآخرة .**

(٢) قال رضي الله عنه : **الذي لا يبقى فيه شك ولا وهم .**

(٣) قال رضي الله عنه : **وافهم هذا ، فإن جمع الآيات والأخبار المتفرقة في معنى واحد له موقع ، ولهذا فعله العلماء ، من جمع ذلك كله أو بعضه ، هذا لمن فهم وانتفع ، وأما من دخل ذلك في أذنه وخرج من الأخرى ولا فهمه فما انتفع وهو كعدمه .**

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم : ٣١]. وقال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم : ٣٩-٤٢]. وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء : ١٢٣-١٢٤]. وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨]. وقال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]. وقال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت : ٤٦]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٠]. وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨١] ؛ ويقال إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن .

وقال رسول الله ﷺ : ((إن روح القُدُس نفث في رُوعي : عِشْ ما شئتَ فإنك ميِّت ، وأحبِبْ ما أحببتَ فإنك مفارقه ، واعمَلْ ما شئتَ فإنك تُجزَى به)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((البِرُّ لا يَبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديَّان لا يفنى ، كما تدين تُدان)) . وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه : ((يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوَفِّيكم إيَّاها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)) . وقال عليه الصلاة و السلام : ((لا تسبوا الموتى فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)) .

وورد : إن العبد قد يُرفَع على سيده في درجات الجنة ، فيقول السيد : أي رب ، هذا كان عبدي في الدنيا ، فيقول سبحانه : إنما جزيته بعمله .

وقال علي - كرم الله و جهه - : الدنيا دار عمل ولا جزاء فيها ، و الآخرة دار جزاء ولا عمل فيها ، فاعملوا في دارٍ لا جزاء فيها لدارٍ لا عمل فيها .

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : يقول الله لأهل الجنة : ادخلوا الجنة برحمتي ، واخلدوا فيها بنياتكم الصالحة ، واقتسموها بأعمالكم .

وما ذكرته من الأدلة على وقوع المجازاة أردت به التنبيه ، وإلا فهو أمر معلوم للخاص والعام ، معروف لا يكاد يخفى منه شيء حتى على الأغبياء من العوام[1].

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : معرفة الإنسان بذلك على قدر إيمانه ومعرفته وملازمته للطاعة والذِّكْر ومجالس الصالحين ، ومن تَرَك ذلك لا تنبهه إلا إن أقبل يطلبه ، وإلا صرت كمن ينبه نائماً لا يدري ما مقصودك ، ووقَعْتَ معه في بلية أخرى ، وربما قابَلَك بالخلاف ، فاتركه على ما انطوى عليه ، وربما يقول من غلبته نفسه ويجري على ألسنة أهل الغفلة كلام على هذا وهو بعيد من العمل بذلك ، كأن يقول : الله ينصفني من فلان ، ولا بد ما يستوفى للمظلومين من الظالمين ونحو هذا . أو كما قال .

فَصْلٌ

وقد جعل الله بمشيئته رضاه في طاعته، وسخطه في معصيته. ووعد من أطاعه دخول جنته برحمته، وأوعد من عصاه دخول ناره بعدله وحكمته، فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وقد أمر سبحانه عباده الذين آمنوا بالمسارعة الى مغفرته وجنته، وأن يقوا أنفسهم وأهليهم ناراً بامتثال أمره واجتناب معصيته. فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

* * * * *

فَصْلٌ

(في ذِكْرِ شَيْءٍ ممّا يُكرِمُ اللهُ به مَنْ أطاعَه وَ عَمِلَ الصَّالِحاتِ لوَجْهِهِ)

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾الآية [النحل : ٩٧] . وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف : ٣٠-٣١] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم : ٩٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : يُحِبهم ويُحَبّبهم إلى المؤمنين .

وقال رسول الله ﷺ : ((إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب[1]. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل[2] حتى أحبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه)) [3].

أكرم الله بهذه المحبة العظيمة التي تصير معها حركات العبد وسكناته كلها بالله ولله ، من أدَّى ما افترضه عليه ، وأكثَرَ من نوافل الطاعات تقرباً إليه .

وقال عليه الصلاة والسلام ، فيما يرويه عنْ الله عز وجل : ((إذا تقرَّب إليَّ عبدي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)) ، فتَقَرُّبُ العبدِ إلى ربِّه بطاعته وخدمته ، وتَقَرُّبُ الربِّ من عبده بفضله و رحمته ، وقال عليه الصلاة والسلام فيما يحكي عن

---

(١) قال رضي الله عنه : أي أعلمته أني محاربٌ له .

(٢) قال رضي الله عنه : أي بعد إحكام الفرائض ، وإلا فما نفعته .

(٣) قال رضي الله عنه : أي لا يفعل كل عضو مما يخصه إلا ما يحبه الله ، ويعتقد أن الله هو الفاعل به ذلك .

ربِّه : ((أعدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) .

وفي الزبور : ((ابن آدم أطِعْني ؛ أملأ قَلْبَكَ غِنىً ، ويديك رزقاً ، وجسمك صحة)).

وأوحى الله إلى الدنيا : ((يا دنيا من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه)).

وقال بشر بن الحارث رحمه الله : ذهب أهل الخير بالدنيا والآخرة . وقال يحي بن معاذ : أبناء الدنيا تخدمهم العبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار .

فإن أردت يا أخي أن يكون لك عزٌّ لا ينقضي ، وسؤدد لا ينقطع ، وشرف لا يذهب ، ومجد لا يبلى ؛ فأَطِعْ ربَّك . فإن الله قد جعل ذلك كلِّه في طاعته ، يكرم به من أطاعه من عباده ، وقد أكرم الله عباداً أطاعوه فحرَّرهم من رقِّ الشهوات ، وطهَّر قلوبهم من دنس الالتفات إلى الفانيات ، وأجرى على أيديهم خوارق العادات ، وعجائب الكرامات ؛ من الإخبار بالمغيبات ، وإدرار البركات ، و إجابة الدعوات[1] .

---

(١) قال رضي الله عنه : **هذه المذكورات هي الكرامات من غير طلبٍ منه بذلك .**

فأصبح الناس يقتبسون من أنوارهم ، ويقتدون بآثارهم ، ويتوجهون بهم إلى الله في كشف مهماتهم ، ويسألونه بحقهم في دفع ملماتهم ، ويستشفون بمواطئ أقدامهم ، ويتبركون بتربة ضرائحهم ، وقد أكرمهم سبحانه بما هو أجلُّ من ذلك ، مما هو أعلى مما هنالك ، وأعطاهم ما هو أجل من ذلك ، قذف في قلوبهم من نوره ، وحشاها من خالص معرفته ومحبته ، وآنسهم في خلواتهم بذِكْره ، فاستوحشوا من خليقته ، وأعدَّ لهم النعيم المقيم في دار النعيم ، ووعدهم النظر إلى وجهه الكريم ، ورضاه عنهم أكبر : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان : ٥٧] ، ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات : ٦١] .

* * * * *

فصل

(في ذِكْرِ شَيْءٍ ممّا يترتَّب على المعصيَة مِنَ الخِزي وَالدّمار وَالهَوَان وَالبَوار في الدُّنيا وَالآخِرَةِ)

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه : ٧٤] (١) ، وقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤] ، ومعنى يسبقونا : يعجزونا ويفوتونا ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٦]. وقال رسول الله ﷺ : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)) (٢). وقال رسول الله ﷺ : ((إذا أذنب العبد ذنباً كان نكتة

---

(١) قال رضي الله عنه : كذلك أهل النار لا يموتون فيستريحون من العذاب ، ولا يحيون حياة طيبة ، قال تعالى : ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ ﴾ [إبراهيم : ١٧] فتبقى أرواحهم في حناجرهم ، ولهذا يتعجب كيف لا يموت من في النار .

(٢) قال رضي الله عنه : قيل أنه يرتفع منه حينئذٍ ويكون فوقه مثل الظُلَّة ، فإذا تاب عاد إليه ، قال ذلك ابن عباس ورفع يديه على رأسه ممثلاً لذلك .

سوداء في قلبه ، فإن تاب صفا قلبه ، وإن عاد زاد ذلك حتى يَسْوَدَّ قلبه)) ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين : ١٤] وقال عليه الصلاة والسلام : ((قسوة القلب من كثرة الذنوب)) ، وقال ﷺ : ((إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه)) الحديث .

وأوحى الله إلى موسى : ((يا موسى أول من مات من خلقي إبليس[1] - لعنه الله - لأنه أوَّل من عصاني ، ومن عصاني كتبته ميتاً)) .

وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - : ما أكرمَت العبادُ نفسَها بمثل طاعة الله ، ولا أهانتها بمثل معصية الله ، وكفى المؤمن من نصر الله له أن يرى عدوَّه يعمل بمعصية الله .

وقال محمد بن واسع : الذنب على الذنب يميت القلب .

وقال بعض السلف : إن كنت تعصي الله وأنت ترى أنه يراك ؛ فأنت مستهين بنظر الله ، وإن كنت تعصيه وأنت ترى أنه لا يراك ؛ فأنت كافر .

وقيل لوهيب بن الورد – رحمه الله - : هل يجد لذة العبادة من يعصي الله؟ قال : لا ، ولا من يهم بالمعصية .

---

(١) قال رضي الله عنه : هو ميت مؤاخذ ، لأنه موت قلب لا كالموت الذي لا تكليف معه .

وكان السلف الصالح يقولون : المعاصي بريد الكفر ، أي : رسوله .

وعلى الجملة فعلامة السقوط من عين الله ، والكون في مقت الله ؛ العمل بمعصية الله ، فالمصرُّ عليها مَقيتُ الرحمن ، ووليُّ الشيطان ، و بغيض أهل الإيمان .

فإياك يا أخي والتعرُّضَ لسخط الله وعقابه بارتكاب معصيته ، ومهما دعتك نفسُك إلى ارتكابها فذَكِّرها باطِّلاع الله عليك ، ونظره إليك ، وخوِّفها بما توَعَّد اللهُ مَن عصاه من أليم العذاب وعظيم العقاب ، ولو لم يكن في ارتكابها إلا فوات منازل السابقين وحرمان ثواب المحسنين ، لكان كافياً .

كيف ؟ وفي ارتكابها العار والنار ، وسخط الجبار ، وغضبه الذي لا تقوم له السماوات والأرض . نسأل الله العافية بمنِّه .

* * * * *

فَصْلٌ

قِال رسول الله ﷺ : ((من سَرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)) .

فإذا وفقك الله أيها المؤمن للعمل بطاعته ، فلْيَعْظُم فرحك بذلك ، ولتبالغ في شكر الله الذي أكرمك بخدمته واختارك لمعاملته ، واسألْه أن يقبل منك بفضله ، ما يَسَّرَهُ عليك من صالح العمل .

قال عليٌّ - كرَّم الله وجهه - : كونوا بقبول العمل أهمّ منكم بالعمل ، فإنه لا يقلّ عمل مقبول .

ولا تزال معترفاً بتقصيرك عن القيام بواجب حق ربك عليك ، وإن عَظُم في طاعته جِدُّك وتشميرك ، فإن حقه عليك عظيم ، أوجدك من العدم ، وأسبغ عليك النعم ، وعاملك بالفضل والكرم ، وبحوله وقوّته أطعتَه ، وبتوفيقه ورحمته عبدتَه .

وإياك أن تُدَنِّس قميص إيمانك ، وتسوِّد وجه قلبك ؛ بإتيان ما نهاك عنه مولاك ، ومهما وقع منك ذنب ولو على سبيل الندور ، فعليك أن تبادر بالتوبة ، وتُحسِن الأَوْبة ، وتكثر الندم والاستغفار ، ولا تزال خائفاً وَجِلاً . فإن المؤمن لا يزال في غاية من الخوف والوَجَل ، وإن أخلص الطاعة وأحسن المعاملة . وأنت تعلم ما كانت عليه الأنبياء مع عصمتهم ، والأولياء مع حفظهم ، من

الخوف والإشفاق ، مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم أو عـدمها ، فأنـت بـذلك أولى وأحرى .

فلقد كانوا أعرف منك بسعة رحمة الله ، وأحسن منك ظنّاً بالله ، وأصدق منك طمعاً في عفوه ، وأعظم منك رجاءً في كرمه وفضله ، فاقتدِ بآثارهم تـنْجُ وتسلم ، واتبع سبيلهم تفُزْ وتغنم ، واعتصم بالله ، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠١] .

* * * * *

فَصْلٌ

وِلما كانت هذه الدار قد أُسِّسَت على المحن والآفات، وعُجِنَتْ بالمنغِّصات و المكَدِّرات، وحُشِيَت بالمُشغِلات والمُلهِيات، كَثُرت لذلك الصوارف عن الطاعات، وتوفرت الدواعي إلى المخالفات، ثم إنها وإن كثرت تلك الصوارف، وتوفرت تلك الدواعي.

تكاد تنحصر في أربعة أشياء : أحدها : الجهل. الثاني : ضعف الإيمان. الثالث : طول الأمل. الرابع : أكل الحرام والشبهات.

ونحن إن شاء الله نشير إلى كل واحد من هذه الأربعة بكلمات وجيزة، تنبه على ذمها، وصدور التثبط عنها، وسبيل الخلاص منها.

وبالله التوفيق.

* * * * *

فَصْلٌ

أما **الجهل** : فهو أصل كل شرٍّ ، ومنشأ كلِّ ضرر[١] ، وهو وأهله داخلون في عموم قوله ﷺ : ((الدنيا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ ما فيها ، إلا ذِكْرُ الله ، وعالمٌ ومتعلم)) .

ويروى : إن الله لما خلق الجهل قال له : أَقْبِل ، فأَدْبَر . فقال له : أَدْبِر ، فَأَقبَلَ . فقال له : ((وعزتي ما خَلَقْتُ خلقاً أبغض إليَّ منك ، ولأجعلنَّك في شرار خلقي)) . وقال علي - كرم الله وجهه - : لا عَدُوَّ أعدى من الجهل ، والمرء عدوٌّ ما جهل[٢] .

---

(١) قال رضي الله عنه في مجلس القراءة : **لأن الإنسان إذا جهل ما عمل شيئاً ، فإذا ما علم ديناً ولا عمل فهو مهلكٌ نفسه فانٍ ، كان ذلك في كل الأشياء أو في بعضها . ورتبنا الكتاب على هذه الأربعة ، لأنا رتبنا الكتاب على طلب العلم بهذه الأشياء والعمل بها ، بعمل ما يطلب - أي العلم - ويجتنب ما ينهى ، ومن تأمل مصنفات العلماء رآها ما صنفت إلا لأجل العلم ، والإجتناب والإمتثال والإستجابة في ذلك على الله .**

(٢) قال رضي الله عنه : **هذا الجاهل بأمور الدين ، وإلا فالعلم كثير ، والعبادة لا تنفع مع الجهل ، فيمضي إلى أهل العلم يتعلم منهم . قال : لأن الجهل يقوده إلى=**

وذمُّ الجهل معلوم بالنقل والعقل ، لا يكاد يخفى على أحد ، والجاهل واقع في ترك الطاعات وفعل المعاصي ، شاء أم أبى ، فإنه لا يدري أي شيء الطاعة التي أمره الله بفعلها ، ولا أي شيء المعصية التي نهاه الله عن ارتكابها ، ولا يخرج من ظلمات الجهل إلا بنور العلم .

ولله درُّ الشيخ علي بن أبي بكر ، حيث يقول :

الجهل نارٌ لدين المرءِ يُحرقُه والعلم ماءٌ لتلك النار يطفيها

فعليك أن تتعلم ما أوجب الله عليك علمه ، وليس بواجب عليك أن تتسع في العلم ، بل عليك أن تتعلم ما لا يصلح إيمانك بدونه من علوم الإيمان ، وعليك أن تتعلم كيف تؤدي ما افترض الله عليك من طاعته ، وكيف تجتنب ما نهاك عنه من معصيته ، وجوباً فورياً في الفوريات وموسعاً في المُوَسَّعَات .

=المهالك ، ولا فعل عدوه به شيئاً ما فعل كما يفعل به الجهل . وهذا الجهل المطلق الذي لا يعرف شيئاً كمن لا يعرف عدد الصلاة ، وإن كان ذلك في أمور الآخرة كان أشد . وكان الناس قبل الإسلام عليه ، لا يعرفون صلاة ولا ينتهون عن زنا إلا خوف العار ، ولو علمه ، ولكن ما علم فهذا معه علم ولا معه يقين ، فيبقى إيمانه متزلزلاً .

وقد كان مالك بن دينار - رحمه الله - يقول : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة .

* * * * *

فَصْلٌ

وأما **ضعف الإيمان** : فهو بلية عظيمة ، وخصلة ذميمة ، تنشأ عنها أمور مذمومة ؛ مثل : ترك العمل بالعلم ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأمل في المغفرة بلا سعيٍ لها ، والإهتمام بالرزق ، وخوف الخلق ، إلى غير ذلك من الأخلاق المشئومة[1] . و على قدر إيمان العبد يكون امتثاله للأمر

---

(١) قال رضي الله عنه : وهناك إيمان لكنه ضعيف ، ولولا أنه ضعيف الإيمان لما ترك العمل بعلمه .

قال الأحسائي : وكان قاريء يقرأ عليه في هذه الرسالة ، حتى إذا وصل إلى هنا إلى قوله : (الأخلاق المشئومة) غلط القاريء فقال : الأخلاق المسمومة . فردَّ عليه سيدنا المصنف غلطته ثم قال : أكثر ما أنا خائف منه ، أحد ينقل هذه الرسالة وفيها الغلط والتحريف ، فينقله عنا ويقول : قرأته على المصنف ، فاشهدوا على ذلك ، وإنما نحن خدام الشريعة ، فمن أتانا فنفعه الله بنا أو بكلامنا فلا نكره ، وإلا فلا حاجة لنا بأحد ، فمن سمع عنا بكلام غير مستقيم ، أو مخالف للكتاب والسنة ، إما لغلطه أو اعوجاج لسانه فلا يُصَدَّق ، والغَيَار كله من قلة الفهم أو العجلة ، حيث يسمع بعض الكلام ويفوته البعض وينقله ، فينبغي أن يسمعه كله ويفهمه . أو كما قال عشية السبت سلخ ربيع الأول سنة ١١٢٩ هـ .

واجتنابه للنهي ، وأدلُّ دليل على ضعف إيمانه تركه للموافقات ، وارتكابه للمخالفات ، فعلى كل مؤمن أن يسعى في تقوية إيمانه .

والأمور التي يَقوى بها الإيمان و يزيد ثلاثة :

أحدها : أن يُصغي بسمعه إلى الآيات والأخبار التي فيها ذِكْر الوعد والوعيد وأمور الآخرة ، وإلى قصص الأنبياء ، وما أُيِّدوا به من المعجزات ، وما حلَّ بمعانديهم من المثُلات ، وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة . وإلى غير ذلك من الأدلة السمعيات .

الثاني : أن ينظر بعين الإستبصار والإستدلال إلى ملكوت السموات والأرض ، وما فيهما من عجائب الآيات وبدائعُ المصنوعات .

الثالث : أن يواظب على العمل بالصالحات ، و يحترز من الوقوع في المعاصي و السيئات .

فإن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وكلُّ هذه المذكورات يزيد بها الإيمان ، ويقوى بها الإيقان . والله المستعان .

* * * * *

فَصْلٌ

وأما **طول الأمل** : فهو مذموم جداً ، بل هو الذي يدعو إلى خراب الآخرة وعَمَار الدنيا[١]، وقد قال رسول الله ﷺ : ((ينجو أوَّلُ هذه الأمة بالزهد في الدنيا وقصر الأمل ، ويهلك آخرها بالحرص على الدنيا وطول الأمل)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((من الشقاء أربع : جمود العين ، وقسوة القلب ، والحرص ، وطول الأمل)) .

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : ((أعوذ بك من كل أملٍ يلهيني)).

وقال علي - كرم الله وجهه - : أَخْوَفُ ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى و طول الأمل ، أما اتِّباع الهوى : فيصدُّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنْسِي الآخرة .

ومن المأثور[٢]: من طال أمله ساء عمله .

---

(١) قال رضي الله عنه : **فإنه إذا استشعر طول بقائه في الدنيا استغرق بطلب الرزق حتى ربما صَلَّى وهو مستغرق في ذلك .**

(٢) قال رضي الله عنه : **أي عن السلف .**

فطول الأمل عبارة عن استشعار طول البقاء في الدنيا . وهو دالٌّ من صاحبه على فَرْط الحماقة و نهاية الغباوة ، فإنه قد ضيَّع الحزمَ وتَمَسَّك بالوهم ، ولو قِيلَ له مساءً : هل تثق بالبقاء إلى الصباح ؟ أو صباحاً : هل تثق بالبقاء إلى المساء ؟ لقال : لا . ثم هو يعمل لدنياه عمل من لا يموت ، حتى لو أنه أُخبر أنه يخلد في الدنيا لم يجد موضعاً للزيادة على ما هو عليه من الحرص والرغبة في الدنيا .

فمَن أعظم حماقة مِمَّن هذه صفته ؟

ثم إن طول الأمل أصل لجملةٍ من سيئات الأخلاق والأعمال التي تُثَبِّط عن الطاعة ، وتدعو إلى الوقوع في المعصية ، مثل : الحرص ، والبخل ، وخوف الفقر .

ومن أعظمها قبحاً : الإستئناس بالدنيا ، والأخذ في عمارتها ، والسعي لجمع حطامها . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((بُعِثْتُ لخراب الدنيا ، فمَن عَمَرَها فليس مني)) .

وعن طول الأمل يكون التسويف ، وهو العقيم الذي لا يَلِدُ خيراً قطُّ ، يقال : إنَّ أكثَرَ صياح أهل النار من التسويف . فلا يزال المسوِّف يتثاقل عن

الطاعات ، ويؤخر التوبة عن السيئات[1] ، حتى ينزل به الموت ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون : ١٠] ، فيقال له : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون : ١١]، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧ ﴾ [فاطر: ٣٧].

فيخرج من الدنيا بحسرةٍ لا آخر لها ، و ندامةٍ لا انتهاء لها ؛ فقصِّر يا أخي أَمَلَك ، وليكن أجلك نصْبَ عينيك ، وأملك وراء ظهرك . واستعن على ذلك بالإكثار من ذِكْرِ هادِمِ اللذَّات و مفرِّق الجماعات ، وتفكَّر في من دَرَجَ أمامك من المعارف والقرابات ، واستَشعِر قُرب الموت ، فإنه أقرب غائب يُنتظَر ، وكن مستعداً له متخوِّفاً هجومه في جميع الحالات .

وقد كان رسول الله ﷺ يقول : ((والذي نفسي بيده ما رَفَعْتُ طَرْفي فَظَنَنْتُ أني أَخفِضَه حتى أُقْبَض ، ولا أَكَلْتُ لُقمةً فظننتُ أني أَسيغُها حتى أغص بها من الموت)) الحديث .

---

(١) قال رضي الله عنه : لأنه كلما أراد أن يعمل صالحاً أو يتوب عن معصية ، يقول : سوف أفعل . فلا أحسَنَ في أمور الآخرة من المبادرة ، فيؤخر قضاء الصلاة والدين والأعمال الصالحة .

وربما ضرب عليه السلام بيده على الحائط للتيمم فيقال له : إن الماء منك قريب ، فيقول : ((لا أدري لعلي لا أبلغه)) .

وكان الصدِّيق رضي الله عنه ، ينشد :

كل امــــرىء مصـــبح في أهلِـــه   والمـــوت أدنى مـــن شِراكِ نعلِـــهِ

قال حجـة الإسـلام - رحمـه الله - : اعلـم أن المـوت لا يهجـم في وقـتٍ مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص ، ولا بُدَّ من هجومـه ؛ فالإسـتعداد له أولى من الإستعداد للدنيا .

* * * * *

فَصْلٌ

وأما تناول الحرام و الشبهات : فهو لا محالة يصرف عن الطاعة ، و يدعو إلى المعصية ، وقد رُوِيَ مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : ((من أكل الحلال أطاعَتْ جوارحُه شاء أم أبى ، ومن أكل الحرام عَصَت جوارحُه شاء أم أبى)).

وفي الخبر أو الأثر : كُلْ ما شِئتَ فمثلُهُ تعمل [1].

وقال بعض العارفين : ما قطع الخلق عن الحق ، وأخرجهم من دائرة الولاية إلا عدم تفتيشهم عن هذه اللقمة .

وآكل الحرام والشبهة وإن أطاع فطاعته غير مقبولة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة : ٢٧]، و الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي ما يخرج من الحلال إلا الحلال ، ولا من الحرام إلا الحرام ، وأصل الأشياء كلها حلال ، ولكن لما دخلت الأيدي اختلفت ، ومن يعرف الحلال فماله بَيِّن ، والإشتباه في مال نحو جندي .**

فأَمسِكْ يا أخي عن تناول الحرام وجوباً ، وعن تناول الشبهات وَرَعاً ، وعليك بطلب الحلال [1] ، فإن طلبه فريضة بعد الفريضة ، فإذا ظفرت به فكُلْ منه قصداً ، والبَسْ منه قصداً ، ولا تسرف ، فإن الحلال لا يحتمل السَّرَف ، وإيَّاك والشِّبَع فإنه من الحلال مبدأ كلِّ شرٍّ ، فكيف من الحرام ؟

وقد قال عليه الصلاة و السلام : ((ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه ، حسب ابن آدم لُقَيمات يُقِمنَ صُلْبَه ، فإن كان لا محالة ؛ فثلثٌ لطعامه ، وثلثٌ لشرابه ، وثلثٌ لنَفَسه)) ، والسلام .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : أي طلب علمه ومعرفة حاله ، وكونه حلالاً من غير تقصٍّ جداً ، سيما في هذا الزمان ، بل يكفي الملك وأن يكون المالك لا يتعاطى ما ينكره الشرع ووصوله إليه على وجه شرعي .

فَصْلٌ

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال تعالى : ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

فعليك أيها المؤمن - وفَّقك الله - بالتفرغ لعبادة ربك بقطع ما يقطع عنها من القواطع ، وصرف ما يصرف عنها من الصوارف والموانع .

واعلم أن العبادة لا تصح بدون العلم ، والعلم والعبادة لا ينفعان إلا مع الإخلاص ، فعليك به ، فإنه القطب الذي عليه المدار ، والأصل الذي عليه المعوَّل . وهو كما قال أبو القاسم القشيري - رحمه الله - : الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد . وهو أن تقصد بطاعتك التقرُّب إلى الله دون شيء آخر ؛ مِن تصنُّعٍ لمخلوق ، أو اكتساب مَحْمَدَةٍ عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق ، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله . قال: ويصحُّ أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة الخلق (١). انتهى ، وهو القصد في هذا الباب .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : أي أنه كلام جامع . وملاحظتهم : أي النظر إليهم والنظر منهم .

فَصْلٌ

وإيَّاك والريـاء[١] فإنـه يحبط العمـل ويبطـل الثـواب ، ويوجـب المقـت والعقاب ، وقد سمَّاه رسول الله ﷺ : الشركَ الأصغرَ .

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ : ((أول خلق الله تُصلَى بهم النـار ثلاثـة : رجلٌ قرأ القرآن ليُقالَ أنه قارئ ، ورجـلٌ استُشْـهِدَ ومـا قاتـل إلا ليُقـالَ إنّـه جريء ، ورجلٌ له مال تصدَّق منه صدقة ليقال إنّه جـواد)) الحـديث مختصر بمعناه .

والرياء : عبارة عن طلب المنزلة عند الناسِ بعمل يُتقـرَّب بمثلـه إلى الله تعالى[٢] ؛ كالصلاة والصيام . فإن أحسستَ مـن نفسـك بالريـاء فـلا تطلـبَنَّ الخلاص منه بترك العمل ، فتكون قد أرضَيْتَ الشيطان ، بل عليك أن تنظر ،

---

(١) قال رضي الله عنه : المراد خاطر الرياء المصر عليه ، وأمـا الخـواطر العارضـة فقـد تغتفر .

(٢) قال رضي الله عنه : أي من علمٍ وعمل . أما نحو النحو والطـب فيجـوز أن يطلـب بهما شيئاً من أمور الدنيا ، لأنهما ليسا مما يتقرب به إلى الله بالأصالة ، إلا إن قصد بهما التوسل إلى أمر ديني ، وتمت له فيه النية ، فيحصل بذلك الثواب على حسب المَنْوِي .

فكلُّ عمل لا تستطيع أن تعمله إلا حيث يراك الناس كالحج والجهاد وطلب العلم وصلاة الجماعة وما جرى مجرى ذلك ، فعليك أن تفعله ظاهراً كما أمرك الله ، وجاهِدْ نفسك واستعن بالله ، وأما ما لا يكون من الأعمال بهذه المثابة ؛ كالصيام والقيام والصدقة والتلاوة ، فعليك في مثل هذه الأعمال بالمبالغة في كتمانها ، فإنَّ فعلها في السِّر أفضل مطلقاً ، إلا لمَن أمِنَ الرياء وأمَّل الاقتداء وكان من أهله .

* * * * *

فَصْلٌ

واحذر **العُجُب** فإنه من المحبطات .

قال رسول الله ﷺ : ((العُجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)). وقال صلوات الله عليه وسلامه : ((ثلاثٌ مهلكات : شُحٌّ مُطَاع ، وهوىً مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه)) .

والعجب : عبارة عن نظر الإنسان إلى نفسه بعين التعظيم ، وإلى ما يصدر منها بعين الاستحسان[1]، وعنه نشأ الإدلال بالعمل والتعاظم على الناس والرضا عن النفس . وهو كما قال ابن عطاء الله - رحمه الله - : أصل كل معصيةٍ وغفلةٍ وشهوةٍ الرضا عن النفس . انتهى .

ومن رضِيَ عن نفسه عَمِي عن عيوبها ، ومتى يفلح من يجهل عيوب نفسه ؟

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخط تبدي المساويا

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : **بأن يظن ويرى أن له عند الله منزلة بسبب عمله ، وليس بفضلٍ من الله عليه لتوفيقه له .**

فَصْلٌ

قال رسول الله ﷺ : ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) .

فإذا كان حبُّها رأسَ كل خطيئة ، وأصل كل بلية ، وأساس كل رزية ، ومعدن كل فتنة ، ومنبع كل محنة ، وهو أمر قد عمَّ في هذا الزمان ضرره ، وطار شرره ، وعظم خطره ، وأطبق عليه الخاص والعام ، وتظاهَر الناس به بلا احتشام[1] كأنه لا عار فيه ولا ملام ، وقد تمكن من قلوبهم كل التمكن ، فأثمر لهم الحرص البالغ على عمارة الدنيا وجمع الحطام ، فغَدَوا وراحوا بشبكاتهم لاصطياد الشبهات والحرام . كأن الله قد فرض عليهم عمارة الدنيا كما فرض الصلاة والصيام .

ولذلك دَرَسَتْ معالمُ الدِّين ، وطُمِسَتْ أنوارُ اليقين ، وخَرِسَت ألسِنَة المذكِّرين ، وعَفَتْ سُبلُ الهدى ، واقتُحِمَت سُبلُ الردى ، وهذه والله هي الفتنة العمياء الصماء ، المدلهِمَّة السوداء ، التي لا يُجاب فيها من دعا ، ولا يُسمع فيها من نادى . حقٌّ ما أخبر به سيد الأنبياء ، إذ يقول : ((لكل أمة فتنة ، وفتنة

---

(١) قال ﷺ : أي بلا حياء . وقد كانوا فيما مضى ينكرون على من يطلب الدنيا ، وطالبها يستحي من أهل الدين ، حتى صاروا الآن يفتخرون بطلبها ويرون الحشمة في ذلك .

أمتي المال . ولكل أمة عِجْل ، وعِجْلُ أمتي الدينار والدرهم)). معناه والله أعلم : أن لكل أمة شيئاً يشتغلون به عن عبادة الله تعالى كل الإشتغال ، كما اشتغلت بنو إسرائيل بعبادة العجل عن عبادة الله تعالى .

وَبَعْدُ ، فمن الحَسَنِ أن نختم هذه النبذة بشيء مما ورد في ذمِّ الدنيا وذم مُؤثرها . وينبغي أن نصدِّر ذلك بقاعدة يُعوَّل عليها ويُرجع إليها . فنقول وبالله التوفيق :

الدنيا على ثلاث طبقات : فدنيا فيها الثواب ، وأخرى فيها الحساب ، وثالثة فيها العذاب .

فأما التي فيها **الثواب** : فهي التي تصلُ بواسطتها إلى الخير ، وتنجو بواسطتها من الشر ، وهي مطية المؤمن ومزرعة الآخرة ، وهي الكفاف من الحلال[1] .

وأما التي فيها **الحساب** : فهي التي لا تشتغل بسببها عن أداء مأمور ، ولا ترتكب في طلبها أمراً محظوراً ، وهذه الدنيا فيها الحساب الطويل ، وأربابها هم الأغنياء الذين يسبقهم الفقراء إلى الجنة بنصف يوم وهو خمسمائة عام[2] .

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي الحلال الذي لا يُشغِل عن طاعة الله .**

(٢) قال رضي الله عنه : **وهذه مباحة ، إلا أنها قد تتسع وتدخل فيها المشكلات .**

وأما التي فيها **العذاب** : فهي التي تقطع عن أداء المأمورات ، وتُوقِع في ارتكاب المحظورات ، وهي زاد صاحبها إلى النار[١] ، ومُدْرِجَته إلى دار البوار، وإليهِ الإشارة بما روي : ((إن الله يأمر بالدنيا إلى النار فتقول : يا رب ، أشياعي وأتباعي ؟ فيقول سبحانه وتعالى : ألحِقُوا بها أشياعها وأتباعها ، فيُلْحَقُون بها)) .

واعلم أن طلاب الدنيا على أنواع : فمنهم من يطلبها على نية صلة الأقربين ومواساة المُقِلِّين[٢] ، وهذا يُعدُّ من الأسخياء ، وله ثوابٌ إن وافق عمله نيته[٣] ، ولكنه لا حكمة عنده ، لأن الحكيم لا يطلب أمراً لا يدري ماذا يكون الحال عند حصوله ؛ وليعتبر من يطلبها على هذه النية بقصة ثعلبة المُشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [التوبة : ٧٥] الآيات .

---

(١) قال رضي الله عنه : أي طريقهُ . وهي دنيا أهل الزمان إذا تأملتها .

(٢) قال رضي الله عنه : بعد كفاية نفسه على قدر حاله .

(٣) قال رضي الله عنه : هذا إن حصل له من نحو ميراث ، فإن كان ألا يريد أن يطلبه فليطلبه على نية الكفاف .

وكم من طالبٍ نيته نيل الشهوات ، والتمتع باللذات ، وهذا يُعدُّ في جملة البهائم ويدخل في حَيِّز الأنعام ، وإليه وإلى نوعه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٤٤].

وكم من طالبٍ يطلب الدنيا ليفاخر بها ويكاثر بها ويباهي بها ، وهو معدود من الحمقى المغرورين بل من الهالكين المثبورين ، و ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (١) [البقرة : ٦٠]، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص : ٦٩].

فانصح يا أخي لنفسك وإياك أن تغشَّها ، فتدَّعي أمراً ليس من نيتك ، فتكون قد جمعت بين الإفلاس والدعوى ، فتخسر الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج : ١١]. إذا تقرَّر هذا فلنشرع في الخاتمة ونقول :

---

(١) قال رضي الله عنه : **فليعرف الإنسان في نفسه في أي قسم هو ، ولا يغش نفسه ، فإنه إن غشها لم ينصحه أحد .**

خَاتِمَةٌ

تحتوي على آيات من كتاب الله وأخبار من سنة رسول الله ﷺ وآثار من حكمة أولياء الله تدل على حقارة الدنيا وسرعة زوالها ، وعلى حماقة من اغتر بها وركن إلى محالها وتحمل على الزهد في الدنيا من نظر فيها ، وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال الله تعالى وقوله الحق وكلامه الصدق : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس : ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (١) [الكهف : ٧-٨] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] . وقال

---

(١) قال رضي الله عنه : تراباً . فلينظر إلى البيوت الخَرِبَة ، والمآثر التي قد خلت من أهلها فهي صعيد جُرُز .

تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١) [الحديد: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

---

(١) قال رضي الله عنه: هذه الآية وآية: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ فيهما تفاصيل الدنيا وهما أبلغ زينة منها. ومرة قال في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ ﴾ [الزخرف: ٣٣] إلخ الآية، قال: هذه الآية أبلغ آية في التزهيد في الدنيا. ومرة قال: نحو ثلث القران كله في التزهيد في الدنيا. ومرة قال: أَجْمَعَ الرسل كلهم - أو قال: أجمعت الملل كلها - على ذم الدنيا والتزهيد فيها، وأَجْمَعَت الأمم كلها على محبتها والرغبة فيها. قال الشاعر:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه ... جناح بعوضٍ عند من أنت عبده

وأشغل جزءٌ منه كلك ما الذي ... يكون على ذا الحال قدرك عنده

وقال رسول الله ﷺ : ((الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذِكْر الله ، وعالم ومتعلم ، فلو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء)) . ((الدنيا جيفة قذرة)) . ((إن الله تعالى جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا)) . ((ما الدنيا في الآخرة ؛ إلا مثل ما يضع أحدكم إصبعه في اليَمِّ ، فينظر بماذا يرجع)) . ((ليَوَدَّنَّ كلُّ أحد يوم القيامة ، أنَّ ما أعطي من الدنيا كان قوتاً)) . ((إنَّ بين أيديكم عقبة كئوداً ، لا يجوزها إلا المُخِفُّون)) . وقال رجل : هل أنا من المُخفِّين يا رسول الله ؟ فقال : ((هل عندك قوت يومك)) ؟ قال : نعم ، قال : ((عندك قوت غد)) ؟ قال: لا ، فقال رسول الله ﷺ : ((لو كان عندك قوت غد لم تكن من المخِفِّين)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((الدنيا حلوة خَضِرة[1] ، وإن الله مُسْتخلِفُكم فيها ، فناظرٌ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، إنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافَسُوها كما تنافَسَوْها ، فتهلككم كما أهلكتهم)) . ((إن مما أخاف عليكم بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)) . ((احذروا الدنيا ؛ فإنها أسحر من هاروت وماروت)) . ((الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر)) . ((إن الله

---

(١) قال ﷺ : أي بالنسبة إلى الطبائع والنفوس . أي أن النفس تميل إليها بالطبع ، كما أن من طبعها الميل إلى الخضرة من النبات وغيره ، وإلى الحلو من كل مأكول .

يذود الدنيا عن عبده المؤمن ، كما يـذود الـراعي الشـفيق غنمـه عـن مراتـع الهَلَكة)) . ((ذنبٌ لا يُغفَرُ ؛ حبُّ الدنيا)) . ((من أحبَّ آخرته ؛ أضرَّ بـدنياه ، ومن أحبَّ دنياه ؛ أضرَّ بآخرته ، فآثروا ما يبقى على ما يفـنى)) . ((مُـرَّة الدنيـا حلوة الآخرة ، وحلوة الدنيا مُرَّة الآخرة))(١) . ((الأكـثرون هـم الأقلُّـون يـوم القيامة إلا مَن قال هكذا وهكذا))(٢) . ((ليُجاءُنَّ بأقوام يـوم القيامـة ، لهم أعمال كجبال تهامة ، فتُجعل هباء منثوراً ، ويُؤمر بهم إلى النار ، كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هَينةً من الليـل ، فـإذا لاح لهـم شيء مـن الدنيـا وثبـوا عليه))(٣) . وقال صلوات الله وسلامه عليه : ((مالي وللدنيا ، إنما مَثَلي ومثـل الدنيا كراكبٍ سار في يوم صائف ، فقَالَ تحت شجرة ساعة ، ثم راح)) . ((من أصبح آمناً في سربه ، معـافى في جسـده ، عندهُ قـوت يومـه ؛ فكأنما حِيـزَت إليه الدنيـا بحذافيرها)) . ((بُعثتُ لخـراب الدنيـا ، فمـن عَمَرهـا فليـس

---

(١) قـال رضي الله عنه : مـن كانـت الدنيـا عنـده حلـوة ، كانـت الآخـرة عنـده مُـرَّة وبالعكس .

(٢) قال رضي الله عنه : بالمال يتصدق به ويمسك ما يكفيه على حسب حاله إن قـدر على التجرد بالكلية ، وإلا على قدر يقينه .

(٣) قال رضي الله عنه : ولا يسألون أكان حلالاً أم حراماً أو شبهة ، ولأن الحلال يجـر إلى الحرام ولا يبالون أكان في ذلك استعانة به على الدين أم لا .

مني)) . ((من كانت نيته الآخرة ؛ جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة[١] ، ومن كانت نيته الدنيا ؛ جعل الله الفقر بين عينيه ، وشَتَّتَ عليه أمره ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كَتَبَ الله له)) . ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدَّ نفسك في أهل القبور)) . ((ازهَدْ في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يحزن من لا علم له ، وعليها يَحسُدُ من لا فقه له ، وبها يفرح من لا يقين له)) . ((ما سَكَن حب الدنيا قلب عبد إلا التَاطَ منها بثلاث : شُغلٌ لا ينفك عَناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا يُنال منتهاه)) . ((إن الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان ، فطالب الآخرة : تَطلبه الدنيا حتى يستوفي رزقه ، وطالب الدنيا : تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه)) . ((ألا وإن السعيد من آثر باقِيَةً يدوم نعيمها على فانيةٍ لا ينفد عذابها ، وقدَّمَ لما يَقْدُمُ عليه مما هو الآن في يديه ، قبل أن يَخَلِّفَهُ لمن يسعد بإنفاقه ، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره)) ، ((تَعِس عبد الدنيا[٢] وانتكس ، فإذا شيك فلا

---

(١) قال رضي الله عنه: **أي مما قسم له منها .**

(٢) قال رضي الله عنه : **قال في شرح البخاري: بكسر العين أي هلك ، وعبد الدنيا : طالبها وخادمها ، وكذا عبد القطيفة وهي الدِّثَار الذي له خِمْل ، والخميصة :=**

انتقش)) [١] . وقال عليه الصلاة والسلام :((الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا تُكثِر الهَمَّ والحَزَن ، والبطالة : تقسِّي القلب)) .

=الكساء الأسود المربع . وقال في فتح الباري : عبد الدينار طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه ، فكأنه لذلك خادمه وعبده ، وخص العبد بالذِّكْر ليُؤذِن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها ، كالأسير الذي لا يجد خلاصاً ، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار ، لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة . وتعس بكسر العين ويجوز فتحها أي سقط ، والمراد هنا هلك ، والتّعس الشر . قال تعالى : ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ [محمد : ٨] أي ألزمهم الشر . وقيل : التعس البعد ، أي بعداً لهم . وانتكس أي عاوده المرض . وقيل : التعس الخَر على الوجه . والنكس الخر على الرأس . وإذا شيك الى آخره أي : إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش . وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة . وسُوِّغ الدعاء كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أُمِر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات . قال الطيبي : خص انتقاش الشوكة بالذِّكْرِ لأنه أسهل ما يتصوره من المعاونة فإذا انتفى ذلك الأسهل انتفى غيره بطريق الأولى اهفتح الباري .

(١) قال رضي الله عنه : أي إذا ضَرَبَته شوكة فلا سبيل له إلى نقشها ليخرجها . دعاء منه عليه السلام ، يعني على المشتغل بطلب الدنيا عن الدين . ومدح الله=

((إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح ، قيل : فهل من ذلـك علامـة ؟ قال عليه الصـلاة والسـلام : التجـافي عـن دار الغـرور والإنابـة إلى دار الخلـود ، والإستعداد للمـوت قبل نزوله)) .

وأوحى الله إلى موسى : ((يا موسى ، إذا أحببتُ عبدي زَوَيتُ عنه الدنيـا ، وهكذا أفعل بأحبابي . يا موسى ، إذا رأيتَ الغِنى مُقبِلاً فقـل : ذنـبٌ عُجِّلَـت عقوبته ، وإذا رأيتَ الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين)) .

وأوحى الله إلى داود : ((يا داود ، من آثر هوى دنيـاه على لذة آخرتـه ؛ فقـد استمسك بالعروة التي لا وثاق لها ، ومن آثر هوى آخرتـه على لذة دنيـاه ؛ فقـد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها)) .

=أقواماً بعدم اشتغالهم بها عن ذِكْرِهِ بقـوله تعـالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ يعنـي المساجد ، ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ ﴾ يعني : صلاة الصبح وصلاة الظهر . ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٦-٣٧] الآية ، يعني : لا يشغلهم ذلك عما ذكر من تعاطيهم له ، أو مع تركه وتجردهم لذلـك .

وأوحى الله إلى عيسى : ((يا عيسى ، قل لبني إسرائيل يحفظوا عني حرفين[١] : قل لهم ليرضوا بدنيّ الدنيا[٢] لسلامة دينهم ، كما رضي أهل الدنيا بدنيّ الدين لسلامة دنياهم[٣])) .

وفي بعض كتب الله المنزلة : أهون ما أنا صانع بالعالِم إذا ركن إلى الدنيا ؛ أن أُخرِجَ حلاوة مناجاتي من قلبه .

ويروى عن الله تعالى أنه قال للدنيا : ((يا دنيا ، مُرِّي لأوليائي ولا تَحْلِي لهم فتفتنيهم)) .

وقال علي- كرم الله وجهه - : مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب ، على قدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخرَ . ومثل الضرَّتين إذا أرضيتَ

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي كلمتين .**

(٢) قال رضي الله عنه : **أي قليلها .**

(٣) قال رضي الله عنه : **أي لأنهم لا يتمون الصلاة إلا دباراً ، ولا يقيم أحدهم الفاتحة ليسرع الرجوع إلى دنياه لبيعه وشراءه ، فمن رغب في الدنيا وإن ذهب شيء من دينه فهو صاحب دنيا ، ومن رغب في الدين وإن ذهبت الدنيا واعتقاده خساستها وقذارتها فهو صاحب دين .**

إحداهما أسخطتَ الأخرى . ومثل إناءين أحدهما فارغ والآخر ممتلئ ، بقدر ما تصُبُّ في الفارغ ينقص الملآن .

وقال رضي الله عنه : وجدت الدنيا ستة أشياء : **مطعومٌ** ، وأطيبه العسل ، وهو مذقة ذباب . **ومشروبٌ** ، وأحسنه الماء ، وهو الذي يستوي فيه البرُّ والفاجر . **ومشمومُ** ، وأذكاه المسك ، وهو دم فأرة . **وملبوسٌ** ، وألينه الحرير ، وهو نسج دودة . **ومركوبٌ** ، وأنفسُهُ الفَرَس ، وهي التي يُقتَلُ عليها الرجال . **ومنكوحٌ** ، وهو مبالٌ في مبالٍ ، وحسبك أن المرأة تتزين بأحسن ما عندها ، ويُقصَدُ منها أخسُّ ما فيها . وقال رضي الله عنه : طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والدعاء والقرآن شعاراً ودثاراً ، فرفضوا الدنيا على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام .

وفي المعنى أنشدوا :

إن لله رجالاً فُطنا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفُنا

وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - : الدنيا نذلة ، وهي بكل نذل أشبه ، وأنذل منها من يأخذها من غير وجهها .

وللمتنبي في المعنى :

وشبهُ الشيءِ منجذبٌ إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطغامُ
ولو لم يعْلُ إلا ذو محل ... تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لبٍّ فيها فرحاً ، رَحِمَ اللهُ أمرأً لبس خَلِقاً ، وأكل كسرة ، ولزق بالأرض ، وبكى على الخطيئة ، ودأب في العبادة .

وقال - رحمه الله - : إذا دخل القلبَ حبُّ الدنيا ذهب منه خوف الآخرة ، وإياكم وما يشغل من الدنيا ؛ فإنه لم يَفتَح عبد على نفسه باباً من الدنيا إلا سدَّ عليه عدَّة أبواب من عمل الآخرة .

وقال - رحمه الله - : مسكين ابن آدم يستقل ماله ، و لا يستقلُّ عمله ، يفرح بمصيبته في دينه ، و يجزع بمصيبته في دنياه . على الأسقام والأمراض أُسِّسَت هذه الدنيا ، هَبْكَ تصحُّ من الأسقام ، وتبرأ من الأمراض ، هل تقدر أن تنجو من الموت ؟

ولله در القائل:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا ... أليسَ الموتُ يأتيكا
ألا يا طالبَ الدنيا ... دَعِ الدُّنيا لشانيكا

فمـــا تصـــنعُ بالدنيـــا وظـــلُّ الميـــلِ يكفـــيكا
كمـــا أضـــحككَ الدهـــرُ كـــذاك الدهـــرُ يُبكـــيكا

وقال محمد الباقر رضي الله عنه : ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟

وقال وهب بن منبه - رحمه الله - : للجنَّة ثمانية أبواب ، فإذا حصل الناس عليها قال لهم الخزنة : وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة .

وقال محمد بن سيرين : اختصم رجلان في أرضٍ ، فأوحى الله إلى الأرض : أن كلِّميهما ، فقالت لهما : يا مسكينان ، قد مَلَكني قبلكما ألف أعور فضلاً عن الأصحاء .

وقال أبو حازم المدني - رحمه الله - : ما في الدنيا شيء يسرك ، إلا وقد لصق به شيء يسوءُك ، الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل تَرَح لا منزل فرح ، وموطن شقاء لا موطن رخاء . وقالت له امرأته : إن الشتاء قد يهجم ، ولا بُدَّ لنا من الطعام والثياب والحطب ، فقال : مِن هذا كله بُدٌّ ، ولكن لا بُدَّ لنا من الموت ، ثم البعث ، ثم الوقوف بين يدي الله ، ثم الجنة أو النار .

وقال - رحمه الله - : ما تضرب بيدك إلى شيء من الدنيا ، إلا وتجد فاجراً قد سبقك إليه . وقال رحمه الله : نعمة الله عليَّ فيما زَوَى عني من الدنيا أفضل

من نعمته عليَّ فيما صرفه إليَّ منها . وقال : ما مضى من الدنيا فحُلُمٌ ، وما بقي منها أماني .

وأنشدوا في المعنى :

كعُبورِ طيفٍ أو كظلٍّ زائلٍ إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

ولأبي الطيب المتنبي :

وكم من يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال

نصيبُكَ في حياتك من حبيب نصيبُكَ في منامك من خيال

وقال لقمان عليه السلام : من باع دنياه بآخرته ربحهما جميعاً ، ومن باع آخرته بدنياه خسرهما جميعاً .

وفي وصيةٍ لابنه : إنَّ الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيه تقوى الله ، وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكل ، لعلَّكَ تنجو ، وما أراك ناجياً .

وقال مالك بن دينار - رحمه الله - : إذا سقم البدن ، لا ينجع فيه طعام ولا شراب ، ولا نوم ولا راحة ، وكذلك القلب ، إذا غلبه حب الدنيا لم تنفعه الموعظة . وقال لأصحابه : أنا أدعو وأمِّنوا أنتم : اللَّهُمَّ لا تُدخِل بيت مَالِك من الدنيا لا قليل ولا كثير .

وكان إذا خرج من منزله يشد بابه بحبل ويقول : لولا الكلاب لتركته مفتوحاً . وكان يقول : لا يبلغ العبد منازل الصدّيقين ، حتى يدع امرأته كأنها أرملة ، ويأوي إلى الكلاب .

ومرَّ على رجل يغرس فسيلاً ، فغاب يسيراً ، ثم مرَّ بالموضع وقد أثمر الفسيل ، فسأل عن غارسه ، فقيل له : مات ، فأنشأ يقول :

مؤمِّلُ دنيا لتبقى له فمات المؤمِّلُ قبل الأملْ
يُرَبِّي فسيلاً ويُعنى به فعاش الفسيل ومات الرجلْ

ولأبي العتاهية :

كم عامرٍ داراً ليسكن ظِلَّها سَكَنَ القبورَ وداره لم يَسكُنِ

وفي بعض الآثار: ((لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن قائليها ما لم يُؤثِروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوها ، قال الله : كذبتم لستم بها صادقين)) .

وكان بعض السلف يقول : يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، أمسك عني الدنيا .

ودخل إبراهيم بن أدهم على المنصور ، فقال : يا إبراهيم ، ما تقول ؟ فأنشده :

نُرقِّــع دنيانــا بتمزيــق ديننــا ... فــلا ديننـا يــبقى ولا مــا نُرقِّــعُ

وقال إنسان لداود الطائي : أوصني ، فقال له: صُمْ عن الدنيا واجعلْ فطـرَك الآخرة ، وفِرَّ من الناس فِرارك من الأسد.

ورآه رجل في المنام وهو يعدو فقال له : يا أبا سليمان ، ما لَكَ ؟ فقال : الآن أَفْلَتُّ من السجن . فلمَّا استيقظ قيل له : مات داود الطائي .

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : جُعِلَ الشَّـرُّ كلُّه في بيت ، وجُعِـلَ مفتاحُهُ : الرغبة في الدنيا . وجُعِلَ الخيرُ كلُّه في بيت ، وجُعِلَ مِفتاحُه الزهـادة في الدنيا .

وقال - رحمه الله - : لو كانت الدنيا ذهباً يفْنى والآخرة خزفاً يـبقى ، لـكان ينبغي لنا أن نُؤْثِر خزفاً يبقى على ذهـب يفـنى ، فكيـف والدنيـا خـزف يفـنى والآخرة ذهب يبقى ؟

وقال - رحمه الله - : لو أُتِيتُ بالدنيا وقيل لي خذها حلالاً بـلا حسـاب ، لَكُنتُ أَسْتَقذِرها كما يستقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه .

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : لو كانـت الدنيـا تبـاع في السـوق لمـا اشتريتُها برغيف ، لما أرى فيها من الآفات .

وقال - رحمه الله - :

ومـن يجهـل الدنيـا فـإني عرفتهـا ... وسِـيق إلينـا عـذبها وعـذابها
فلـم أرهـا إلا غـروراً وبـاطلاً ... كمـا لاح في ظهـر الفـلاة سرابهـا
ومـا هي إلا جيفـة مسـتحيلة ... عليهـا كلاب همُّهُـنَّ اجتـذابها
فإن تجتنبْها عِشـتَ سـلمًا لأهلهـا ... وإن تجتـذبْها جاذبتـك كلابهـا

وقال بشر بن الحارث - رحمه الله - : من سأل ربَّه الدنيـا فقـد سـأله طـول الوقوف بين يديه – يعني : للحساب -

وكان ينشد هذه الأبيات :

أقسـم بـالله لَرَضْـخُ النَّـوَى ... وشرب مـاء القُلُـبِ المالحـةْ
أحسَـنُ للمـؤمن مـن حرصِـهِ ... ومـن سـؤال الأَوجُـهِ الكالحـةْ
فاسـتغنِ بـالله تكـنْ ذا غـنىً ... مغتبطـاً بالصـفقة الرابحـةْ
اليـأس عـزٌّ والتـقى سـؤددٌ ... ورغبـة النفـس لهـا فاضـحةْ
مـن كانـت الدنيـا بـه بَـرَّةً ... فإنهـا يومـاً له ذابحـةْ

وكان ينشد هذين البيتين لبعض السلف ، رضوان الله عليهم :

مكـرم الدنيـا مهـان ... مُسـتَذَلٌ في القيامـةْ
والذي هانـت عليـه ... فلـه ثَـمَّ كرامـةْ

وقال ضِرَارُ بن ضَمُرة يصف علياً - كرم الله وجهه - : كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وأَشْهَدُ لقد رأيتُه في بعض مواقفه ؛ وقد أرخى الليلُ سُدُولَه وغارت نجومه ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُل السليم ، ويَبكي بكاء الحزين ، قابضاً على لحيته قائلاً : يا دنيا غُـرِّي غيري ، أَلِيْ تعرَّضتِ ، أم إليَّ تشوَّفتِ ، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرُكِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ كبير . آهٍ آهٍ من قلة الزاد وبُعد الطريق ، ووحشة السفر .

وقال بعض السلف : مسكين ابن آدم ، رضي بدار حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، إن أخذه من حِلِّه حُوسِبَ بنعيمه ، وإن أخذه من غير حِلِّه عُذِّب به .

وقال المأمون - رحمه الله - : ما أحسب أحداً يصف الدنيا - يعني من الشعراء - بمثل ما وصفها به الحسن بن هانئ في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ   له عن عدوٍّ في ثياب صديقُ
وما الناس إلا هَالِكٌ وابنُ هالكٍ   وذو نَسَبٍ في الهالِكِينَ عريقُ

وقال يحيي بن معاذ - رحمه الله - : ليكن نظرك في الدنيا اعتباراً ، وزهدك فيها اختياراً ، وأخذك منها اضطراراً .

وقال - رحمه الله - : تركت الدنيا لكثرة عنائها ، ولقلة غنائها ، ولسرعة فَنائها ، ولحسد شركائها .

وقال أيضاً : الدنيا حانوت إبليس ، مَن أخذ منه شيئاً تَبِعَهُ حتى يأخذه . الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غمَّ ساعة ، فكيف بغم عمرك مع قلة نصيبك منها ؟

وقال بعض الصالحين :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسرُّه فسوف لعَمْري عن قريب يلومها
إذا أَدبَرَتْ كانت على المرء حسرةً وإن أَقْبَلَت كانت كثيراً همومها

ودعا الرشيد بشربة ماء ، فأُتي بها - وكان ابن السماك عنده - فقال له : أرأيتَ لو حِيلَ بينك وبين هذه الشربة ، أكنتَ تشتريها بمُلكِك ؟ قال : نعم . فقال ابن السماك : أفٍّ لدنيا لا تساوي شربة ماء .

وقيل لبعض المتقدمين ممن طال عمره : صف لنا الدنيا ، فقال : بيت له بابان ، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر ، ورأيت سُنَيَّاتِ بلاء وسُنَيَّاتِ رخاء ، ومولود يولد وهالك يهلك ، فلولا من يَلِد ما بقي منهم أحد ، ولولا من يهلك ما وسعتهم الدنيا .

وقال بعض الحكماء : الدنيا خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها . والآخرة عَمار ، وأعمر منها قلب من يطلبها .

وقيل لحكيم آخر: الدنيا لمن ؟ قال : لمن تركها ، قيل : فالآخرة لمن ؟ قال : لمن طلبها .

وقيل لبعض الزهاد : كيف رأيت الدنيا ؟ قال: تَخلِق الأبدان ، و تجدد الآمال ، وتقرِّب المنية ، وتبعِّد الأمنية ، قيل : فما حال أهلها ؟ قال : من ظَفِر بها تَعِب ، ومن فاتته نصَب .

ولله دَرُّ من يقول :

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلَّما كَثُرَتْ عليهِ
تُهين المُكْرِمينَ لها بصُغْرٍ وتُكرِمُ كلَّ من هانت عليهِ
إذا استغنيتَ عن شيء فَدَعْهُ وخُذْ ما أنتَ محتاجٌ إليهِ

قال الإمام حجة الإسلام في الإحياء : أما بعد ، فإن الدنيا عدوَّةٌ لله ، وعدوَّة لأولياء الله ، وعدوَّة لأعداء الله .

أمَّا عداوتها لله : فإنها قطعت الطريق على عباد الله ، ولذلك لم ينظر إليها مذ خلقها . وأمَّا عداوتها لأولياء الله : فإنها تَزَيَّنَت لهم بزينتها ، وعمَّتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرَّعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأمَّا عداوتها لأعداء الله : فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها ، واقتنصتهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها وعوَّلوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجْتَنَوا منها حسرة تتقطَّع منها الأكباد ، ثمَّ حرمتهم من السعادة أبدَ الآباد ، فهم على فراقها

يتحسـرون ، ومن مكائدها يستغيثـون فلا يُغاثـون ، بل يُقـالُ لهـم :﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٨٦] (١) . انتهى .

و على الجملة فالآيات والأخبار والآثار في هذا الباب أكثر من أن تُحصـى ، وأبعد من أن تُستقصى ، وفيما أشرنا إليه كفاية ، و عبرة لمن يعتبر ، وتذكرة لمن يتذكَّر ، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر : ١٣].

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : وهذا يتحقق في حق الكافر ، وأما المؤمن فـلا يخلـو عنـه شيء منه ، إما نفاقاً أو شيئاً من المعاصي الظاهرة أو الباطنة كرياءٍ وعُجُـبٍ وغـير ذلك .

ولنختم هذه الخاتمة بـذِكْر شيء مـن كلام رأس الزاهـدين وحجـة الله عليهم عيسى ابن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

قال عيسى عليه السلام : الدنيا قَنْطَرة ، فاعبروها ولا تَعْمُروها . يا طالب الدنيا لِتَبَرَّ بها ، تَرْكُك لها أبرُّ وأبـرُّ . لا يجتمـع حـب الدنيـا والآخـرة في قلـب مؤمن ، كما لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد .

وقال عيسى عليه السلام : الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منه البَر والفـاجر. والآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيه مَلِك قادر .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تتخذوا الدنيا ربّاً فتتخـذكم عبيـداً ، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحبَ كنز الدنيا يخاف عليها الآفـة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة)) .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول : ((إدامي : الجوع ، وشـعاري : الخـوف ، ولباسي : الصوف ، وصلاتي في الشتاء : مشـارق الشـمس ، وسراجي : القمـر ، ودابتي : رجلاي ، وطعامي وفاكهتي : ما أنبتت الأرض ، أبِيت وليس لي شيء ، وأُصبِحُ وليس لي شيء ، وما أجد على الأرض أغنى مني)) .

وقال عليه الصـلاة والسـلام : ((عَجِبـت لغافـل لـيس بمغفـول عنـه ، وبمؤمِّل دنيا والموت يطلبه ، ولباني قصر والقبر مسكنه ، إنَّ خشية الله وحـبَّ

الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ، ويورثان الصبر على المشقة ، وإنَّ أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس)) .

وكان يقول : يا معشر الحواريين : قد أكببت لكم الدنيا على وجهها ، فلا تنعشوها بعدي .

وقالوا له : ما لك تمشي على الماء ، ونحن لا نستطيع المشي عليه ؟ قال : كيف منزلة الدينار والدرهم عندكم ؟ قالوا : حسنة رفيعة ، قال : لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر .

وتوسد حجرا ، فأتاه إبليس فقال له : يا عيسى ، رَكَنتَ إلى الدنيا ، فرمى إليه بالحجر ، وقال : ما عندي منها غير هذا .

واشتد عليه المطر والبرق والرعد يوماً ، فرُفِعَت له خيمة فقصدها ، فإذا فيها امرأة فتركها .

ورأى مغارة فأتاها ، فرأى بها سَبُعاً، فقال : اللّٰهُمَّ جعلتَ لكلِّ مأوى ولم تجعل لي مأوى ، فأوحى الله إليه : مأواك في مستقر رحمتي ، لأزوجنَّك آلافاً من الحور العين ، ولأطعمنَّ أهل الجنة في عرسك آلافاً من السنين .

وقال عليه الصلاة والسلام : يا ابن آدم ، إن كنتَ تطلب من الدنيا ما يكفيك ، فالقليل منها يكفيك[١] . وإن كنتَ تريد منها فوق ما يكفيك ، فجميعَ الدنيا بأسْرِها لا يكفيك . فلا تُهلِكوا أنفسكم بطلب الدنيا ، واغلبوا أنفسكم عليها بترك ما فيها ، فعُراةً دخلتموها ، وعُراةً تخرجون منها ، واسألوا اللهَ رزق يومٍ بيوم ، واعلموا أن الله قد جعل الدنيا قليلاً ، وما بقي منها قليلٌ من قليل ، قد شُرِبَ صفوُه وبَقِيَ كَدَرُه . واعلموا أن الدنيا دار عقوبة وغرور ، فكونوا فيها كَرَجُلٍ يداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء وعافية الداء ، فلا يغرَّنَّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((عجباً لكم تعملون للدنيا ، وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل . ولا تعملون للآخرة ، وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بالعمل)) .

وتمثَّلَت له الدنيا في صورة امرأة عليها من كل زينة ، فقال لها : ((هل لك من زوج)) ؟ قالت : أزواج كثيرة ، فقال : ((فكلهم طَلَّقَكِ أم مات عنكِ ، أم كلهم قَتَلتِ)) ؟! قالت : كلُّهم قَتَلتُ ، قال : ((هل حَزِنتِ على أحد منهم)) ؟ قالت : هم يحزنون عليَّ ولا أحزن عليهم ، ويبكون عليَّ ولا أبكي عليهم ، قال : ((عجباً لأزواجِكِ الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين)) !!

---

(١) قال رضي الله عنه : هو ما يحتاج إليه كل يوم ، ولو ترك أحد الدنيا واشتغل بما لا بُدَّ له منه أتاه منها ما يحتاج إليه وهذا مجرب .

ومرَّ على قوم يعبدون الله ، وفيهم رجل نائم ، فقال : ((يا هذا ، قم فاعبُد ربك مع أصحابك)) ، فقال له : قد عبدته بأفضل من عبادتهم ، زهدت في الدنيا ، فقال له : ((نَم هنيئاً فقد فُقْتَ العابدين)) . أو كما قال .

وقال عليه الصلاة والسلام: - وقد سئل عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون - قال : ((الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها ، وأماتَوا منها ما خَشوا أن يُميتهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ، فما عرض لهم من نائِلها عَارِضٌ إلا رفضوه ، ولا خَادَعَهم من رفعتها خادِع إلا وضعوه ، خَلِقت الدنيا عندهم فما يجدِّدونها ، وخَرِبت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في صدورهم فما يحيونها ، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حَلَّت بهم الـمَثُلات ، فلا يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون)) .

* * * * *

آخر الخاتمة

وبه تكمل ((رسالة المذاكرة مع الإخوان والمحبين من أهل الخير والدين)) ، وما سمَّيتُها بهذا الاسم إلا لكوني وضَعتُها على سبيل المذاكرة معهم . ألهمني الله وإياهم رشدنا ، ووقانا شرَّ أنفسنا .

وكلُّ ما أوردتُّه في هذه الرسالة من الأخبار والآثار نقلته من الكتب الصحيحة المعتمدة ، وقد تركتُ الفصل بين الأحاديث التي أوردتها في صدر الخاتمة وصيَّرتها كأنها أربعة أحاديث أو خمسة وهي نحو من عشرين ، وما فعلت ذلك إلا لكوني رأيته أوجز وأخصر وأقرب إلى حصول الأثر .

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [سبأ : ١-٢] .

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم إلى يوم البعث والنشور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

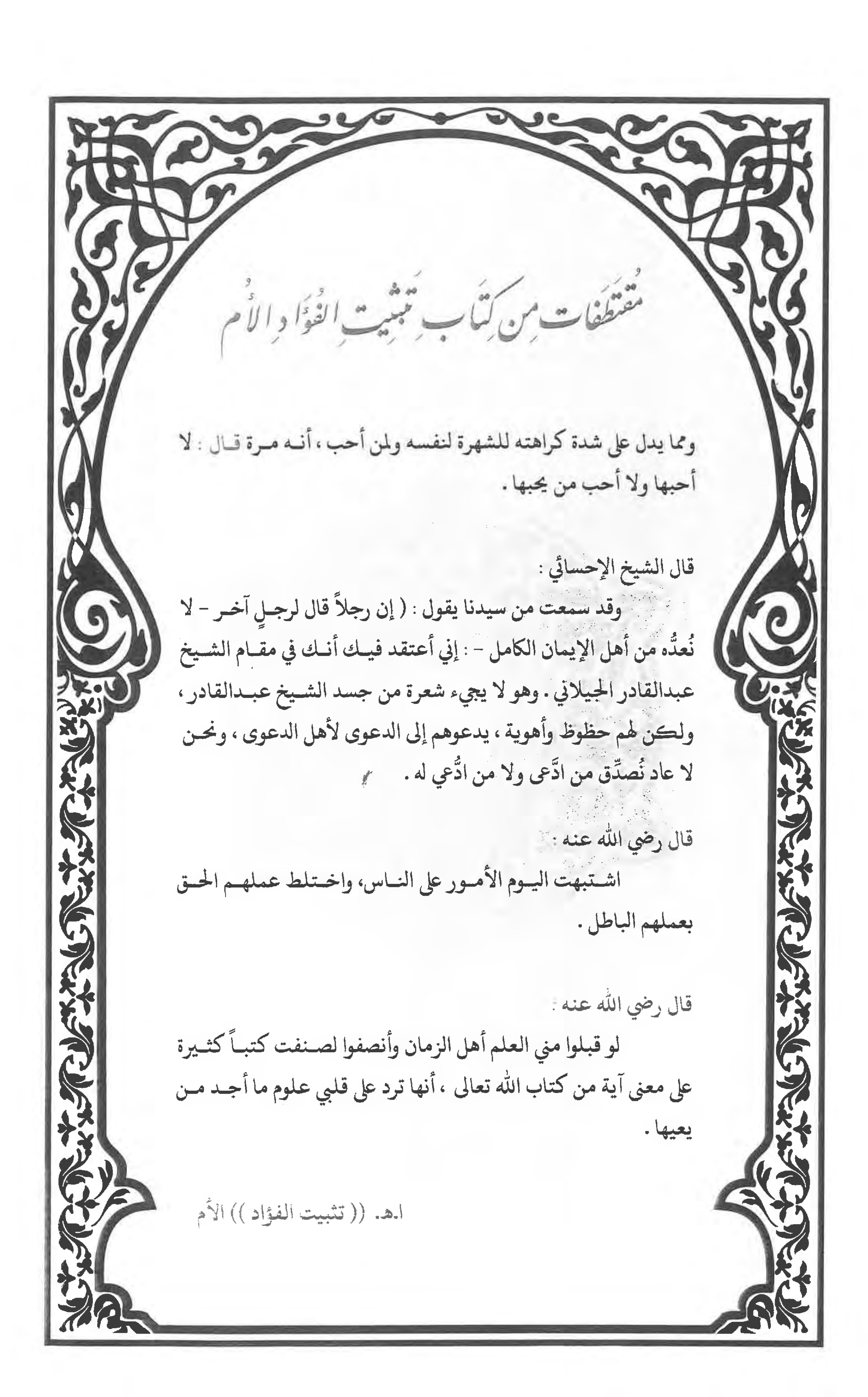
* * * * *

[1]وكان الفراغ من إملاء هذه الرسالة : يوم الأحد قبيل وقت الظهر سلخ جمادى الأول أحد شهور سنة ١٠٦٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين .

* * * * *

---

(١) قال الأحسائي : فرغ من إملاء هذه الرسالة في ٢٣ شعبان ١٠٦٨ هـ، وسنُّهُ إذ ذاك : أربع وعشرين سنة ، وستة أشهر ، وثمانية عشر يوماً . ومستمليه من السيد علي بن عمر بن حسين انتهى .



مُقتطفات من كتاب تثبيت الفؤاد الأم

ومما يدل على شدة كراهته للشهرة لنفسه ولمن أحب ، أنه مرة قال : لا أحبها ولا أحب من يحبها .

قال الشيخ الإحسائي :

وقد سمعت من سيدنا يقول : (إن رجلاً قال لرجلٍ آخر - لا نُعدُّه من أهل الإيمان الكامل - : إني أعتقد فيك أنك في مقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني . وهو لا يجيء شعرة من جسد الشيخ عبدالقادر ، ولكن لهم حظوظ وأهوية ، يدعوهم إلى الدعوى لأهل الدعوى ، ونحن لا عاد نُصدِّق من ادَّعى ولا من ادُّعي له .

قال رضي الله عنه :

اشتبهت اليوم الأمور على الناس، واختلط عملهم الحق بعملهم الباطل .

قال رضي الله عنه :

لو قبلوا مني العلم أهل الزمان وأنصفوا لصنفت كتباً كثيرة على معنى آية من كتاب الله تعالى ، أنها ترد على قلبي علوم ما أجد من يعيها .

ا.هـ. ((تثبيت الفؤاد)) الأم





رسالة

المعاونة والمظاهرة والموازرة

للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة

وعليها تعليقات للإمام الحداد رضي الله عنه

أملى أول الرسالة إلى الكلام في التوبة على : محمد بن عتيق

ومن الكلام في التوبة إلى آخر الرسالة أملاها على السيد : محمد باقر باحسن



بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّرْ وأَعِنْ يا كريم، وافتح بالحقِّ وأنت الفتّاح العليم . ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢].

الحمد لله الواحد الجواد الوهاب الرزاق الحنان المنان ، الذي بعث محمداً خاتم أنبيائه ﷺ برسالته إلى جميع الإنس والجان ، وأنزل عليه القرآن ، فيه هُدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وشرع له ولأمته ما وصَّى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ، وفضَّل دينه على سائر الأديان ، وجعله أكرم خلقه عليه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويتواصَون بالحق والصبر، ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لَومة لائم من أهل الزيغ والخذلان ، فما يصد عن سبيل الله ويلوم على القيام بواجب حق الله ؛ إلا الذين حقَّت عليهم الكلمة من الله بالشقاوة والخسران ، والخِزي والهوان ، ولا تجرَّد لنصح عباد الله ودعوتهم إلى باب الله إلا الذين سبقت لهم من الله الحسنى بالسعادة والأمان ، والفوز والرضوان ، أولئك ورثة النبيين ، وأئمة المتقين وخيرة رب العالمين من المؤمنين الراسخين في العلم ، المتحققون بحقائق الإيمان والإيقان والإحسان ، الواقفون على أسرار الله في ملكه وملكوته من

طريق الكشف والعيان ، وما فازوا بهذه المناقب ، ولا وصلوا إلى هذه المراتب إلا بحسن اقتفائهم ، وكمال اتباعهم ، لإمام الأئمة الذي أرسله الله للعالمين رحمةً ، عبدِ الله ورسوله وحبيبه وخليله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم في كل حين وأوان[1] ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام الله الملك الديان .

أما بعد ، فيقول العبد الفقير ، المعترف بالقصور والتقصير ، الراجي عفو ربه القدير ، الشريف عبد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني عفا الله عنه وعن أسلافه آمين :

هذه رسالة بحول الله وقوته جامعة ، ووصية بفضل الله ورحمته نافعة ، حملني على وضعها الإمتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله ، والرغبة في الوعد الصادق الوارد في الدلالة على الهدى والدعوة إلى الخير والنشر للعلم .

---

(١) قال رضي الله عنه : هما بمعنىً ، إلا أن الحين يطول ويَقصُر ، والأَوَان لا يكون إلا قصيراً ، فهو القصير من الزمان .

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] (١) ، وقال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل : ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، وقال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال رسول الله ﷺ: ((ليبلِّغَ الشاهد منكم الغائب ، فَرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((من دلَّ على خيرٍ كان له من الأجر مثل فاعله)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((أَجْوَدَكم بَعدي رجلٌ عَلِم علماً فَنَشَره ، يُبعث يوم القيامة أمةً وحده)) . وقال عليه الصلاة

(١) قال رضي الله عنه : هم مخصوصون بذلك يعني الفلاح ، لأنهم قاموا بالفرض عن غيرهم وحطوه عن أنفسهم .

والسلام : ((الخلق كلهم يُصلُّون على مُعَلِّمِي الناس الخير ، حتى حيتان الماء)) . وقال عليه السلام: ((الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله تعالى أنفعهم لعياله)) [١] .

ولا يستطيع أحد أن ينفع خلق الله بمثل دعوتهم إلى الله تعالى ، بتعريفهم ما يجب له من التوحيد والطاعة ، وتذكيرهم بآياته وآلائه وتبشيرهم برحمته ، وتحذيرهم من سخطه الواقع بالمتعرضين له من الكافرين والفاسقين .

وقد حثني على امتثال هذا الأمر العظيم ، وأكَّدَ رغبتي في السعي إلى تحصيل هذا الوعد الكريم الواقعين في الآيات والأخبار التي ذكرتها وما في معناها مما لم أَذْكُره سؤالُ أخٍ من السادة ، صادق في الإرادة ، سالك لسبيل السعادة ، اِلتَمَس مني أن أكتُبَ له وصيةً ينتفع بها ، فأجبتُه إلى ذلك راغباً فيما تقدم من الإمتثال للأوامر والفوز بالثواب وفي معونة الله تعالى ، وأن يكون سبحانه في حاجتي على وفْقِ ما أخبر به رسوله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) .

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي محتاجين إليه ، لأن عيال الشخص من يعولهم وينفق عليهم ، ومرة قال : أي خلق الله وعبيده وهم محتاجون إليه .**

وأنا أستغفر الله ، ولا أقول : إنَّ نيتي في وضع هـذه الرسـالة مقصـورة على هذه المقاصد الحسنة الدينية ، كيف وأنا أعلم ما عندي من الشهوات الخفية ، والحظوظ النفسية ، والإرادات الدنيوية ، ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣] (١) والنفـس عـدوٌّ ، والعدو لا يُؤمَن . بل هي أعدى الأعداء ، كما قال رسـول الله ﷺ: ((أعـدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)) . ولله در القائل حيث يقول :

تَوَقَّ نفسـك لا تـأْمَن غوائلهـا   فالنفس أخبث مـن سـبعين شـيطاناً (٢)

اللّٰهُمَّ ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسـي . اللّٰهُمَّ إني أعوذ بـك أن أُشْرِكَ بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم .

وقد صدَّرتُ فصول هذه الرسالة بقولي في أول كل فصل منها : (وعليك) بكذا قاصداً بذلك مخاطبة نفسي وأخي الذي كان سبباً في وضعها خصوصـاً ، وسائر من وقف عليها من المسلمين عموماً .

---

(١) قال رضي الله عنه : **لأنها ما تدعوك إلا إلى الحظوظ ومحبة الدنيـا ونسـيان الآخـرة هذه طبيعتها . ومرة قال : إنما قيل أنها أعدى الأعداء لكونها كالعـدو لـك في بيتك ، وكسارقك من أهلك ، وإذا كان سارقك من أولادك فأمره مشكل .**

(٢) قال رضي الله عنه : **قال الشيخ عبدالله العيدروس : هذا البيت سَيِّدُ الشعر .**

وهذه الكلمة لها وقع في قلب المخاطَب، وأنجو بها - إن شاء الله تعالى - من التوبيخ والوعيد الواردَين في حق من يقول ولا يفعل، ويعلم ولا يعمل؛ لأني إذا خاطبتُ نفسي بقولي (وعليك) دل ذلك على أنها لم تتحقق بالعمل بما عَلِمَت، وعلى أني لم أزل أحثها على استعمال ما تدعو إليه، وبذلك يزول التلبيس على المؤمنين، والنسيان للنفس الذي وصف الله تعالى به من لا يعقل في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤] ومن الوعيد الوارد في حق من يقول ولا يفعل في قول رسول الله ﷺ: ((يُؤمَرُ بالعالِم إلى النار فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُه، فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرَّحَا، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا، فيقول: إن الأبعد كان يأمر بالخير ولا يأتيه وينهى عن الشر ويأتيه)).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((العالِمُ الذي يعلم ولا يعمل مثل الفتيلة تُضيء للناس وتَحرِقُ نفسَها)). وقال عليه السلام: ((مررت ليلةَ أُسرِيَ بي برجال تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه))، وهذا الوعيد إنما يتحقق في حق من يدعو إلى الله على نية الدنيا، ويحث على الخير وهو مُصِرٌّ على تركه، ويحذِّر من الشر وهو مُصِرٌّ على فِعلِهِ رياءً وسمعةً، فأما من يدعو إلى باب الله وهو مع ذلك يلوم نفسه وينهاها عن التقصير ويحثُّها على التشمير فالنجاة مرجوة له.

وعلى كل حال فالذي يَعلَم ويُعَلِّم ولا يعمل أحسن حالاً وأرشد طريقة وأحمد عاقبة من الذي لا يعمل ولا يُعَلِّم .

وربما قال قائل ممن لا يعقل : الكتب كثيرة وفيها غُنية وكفاية ، فلا فائدة في تصنيف الكتب في هذا الزمان ، فهذا القائل إن أصاب في قوله : إن في الكتب غنية وكفاية فقد أخطأ في قوله : لا فائدة للتصنيف في هذا الزمان . لأن للقلوب ميلاً بحكم الجِبِلَّة إلى كل جديد ، وأيضاً فإن الله يُنطِق علماء كل زمان بما يوافق أهله[1] ، والتصانيف تبلغ الأماكن البعيدة ، وتبقى بعد موت العالم ، فيحصل له بذلك فضل نشر العلم ويُكتب مُعَلِّماً داعياً إلى الله في قبره ، كما قال رسول الله ﷺ : ((من أنعش لسانه حقاً يعمل به من بعده أُجرِيَ عليه أجرُه إلى يوم القيامة)) .

وقد سمَّيتُ هذه الرسالة المشار إليها : ((رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة)) .

أسأل الله تعالى أن ينفعني بها وسائر المؤمنين ، وأن يجعل جمعي لها واعتنائي بها وبتأليفها خالصاً لوجهه الكريم .

---

(١) قال رضي الله عنه : إنهم يرونهم فيفهمون أحوالهم ، فيُعَبِّرون عنها على ميزان الشرع بما يناسبهم ، وذلك كترجيح بعض الأقوال والجمع بينها ونحو ذلك .

وهذا أوان الابتداء وبالله التوفيق .

فأقول مستعيناً بالله ومفوضاً إليه ، وسائلاً منه أن يوفقني لإصابة الصواب في النيات والأعمال والأقوال ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو حسبي ونعم الوكيل :

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك أيها الأخ الحبيب بتقوية يقينك وتحسينه[1]، فإن اليقين إذا تمكن من القلب واستولى عليه صار الغيب كأنه شهادة، وعند ذلك يقول الموقن كما قال علي كرم الله وجهه: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددتُ يقيناً.

واليقين عبارة عن قوة الإيمان وثباته ورسوخه حتى يصير كالطود الشامخ لا تزلزله الشكوك، ولا تزعزعه الأوهام، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجود ألبَتَّة[2]. فإن جاءت من خارج لم تصغ إليها الأذن ولم يلتفت إليها القلب.

والشيطان لا يستطيع الدنو من صاحب هذا اليقين، بل يفر منه ويفرق من ظله ويقنع بالسلامة، كما قال رسول الله ﷺ: ((إن الشيطان ليفرَق من ظل عمر وما سلك عمر فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً آخر)).

---

(١) قال رضي الله عنه: **أي في أمور الدين وأمور الاخرة.**

(٢) قال رضي الله عنه: **هذا غاية الإيمان، فيصير الغيب كالشهادة، ومن قال: الغيب شهادة، أي: كأنه شهادة. لأن في اللغة يجوز إطلاق الشيء على ما قاربه. قال: والإيمان هو اليقين. وأما القول باللسان فهو إيمان النساء، إلا إن كان خواطر تخطر له يعفى عنها ولا يلام عليها، فإن لم يعرفه فليسأل عنه العلماء العارفين.**

ويقوى اليقين ويحسن بأسباب :

منها - وهو الأصل والذي عليه المدار - أن يصغي العبد بقلبه وأذنه إلى استماع الآيات والأخبار الدالة على جلال الله تعالى وكماله وعظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والأمر، والسلطان والقهر، وعلى صدق الرسل وكمالهم وما أيدوا به من المعجزات، وما حل بمعانديهم من أنواع العقوبات وما ورد في اليوم الآخر من إثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين .

وإلى كون هذا الأمر كافياً في إفادة اليقين الإشارةُ يقوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت : ٥١].

السبب الثاني أن ينظر بعين الإعتبار في ملكوت السماوات والأرض، وما بث الله فيهما من عجائب المصنوعات وبدائع المكونات .

وإلى إفادته اليقين الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣].

السبب الثالث أن يعمل على مقتضى ما آمن به ظاهراً وباطناً، ويُشمِّر في ذلك ويبذل الاستطاعة فيما هنالك . وإلى إفادته الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت : ٦٩].

ومن ثمرات اليقين السكون إلى وعد الله ، والثقة بضمان الله[1] ، والإقبال بِكُنْهِ الهمة على الله[2] ، وترك ما من شأنه أن يُشغِل عن الله تعالى ، والرجوع في كل حال إلى الله واستفراغ الطاقة في ابتغاء مرضاة الله .

وعلى الجملة فاليقين أصل الإيمان وسائر المقامات الشريفة ، والأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة من فروعه وثمراته ، والأخلاق والأعمال تابعة لليقين قوة وضعفاً ، وصحة وسقماً .

قال لقمان عليه السلام : لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل العبد إلا بقدر يقينه ، ولا يُقصِّر عامل حتى ينقص يقينه ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : ((اليقينُ الإيمان كله)) .

---

(١) قال رضي الله عنه : أي لا يشك في أمر الرزق .

(٢) قال رضي الله عنه : إذا وجدت الهمة انبسطت في البدن ، فقوي البدن بسبب ذلك ويقوى الروح . قال : من لا يقين له يبقى كسلان فلا يقدر يعمل . واليقين هو الإيمان الثابت ، ومن له بعض فهم يفهم ذلك ، ومن ضعف فهمه يحتاج إلى بعض تفصيل أكثر من هذا .

وأهل الإيمان في اليقين على ثلاث درجات : الأولى - وهي درجة أصحاب اليمين[١] - التصديقُ الجازم مع إمكان التشكك والتزلزل لو جاء ما يقتضيه ، ويعبر عنها بالإيمان .

الدرجة الثانية - وهي درجة المقربين - استيلاءُ الإيمان على القلب ، وثباته فيه حتى لا يجوز النقيض ، بل لا يتصور وجوده فضلاً عن إمكانه ، وفي هذه الدرجة يصير الغيب كأنه شهادة ويعبر عنها باليقين[٢] .

الدرجة الثالثة - وهي درجة النبيين وكُمَّل ورثتهم من الصديقين - أن يصير الغيب شهادة ويُعَبَّرُ عنها بالكشف والعيان[٣] .

---

(١) قال رضي الله عنه : **وهم عامة المؤمنين .**

(٢) قال رضي الله عنه : **هذا يكون لبعض الناس في بعض الأوقات .**

(٣) قال رضي الله عنه : **وذلك في بعض الأمور لا كلها . ومثال اليقين في عدم تطرق الشك إليه : كرجل معروف أنه ابن فلان ، فقال له رجل : إنك لست بابنه ، وأنكر نسبه . ومثال الآخر : كمن ينكره مع تطرق الإحتمال إليه ، بأن وُلد في بلد ونشأ فيها ولم يعرف لأبيه المنسوب إليه وصول إلى تلك البلد ، أو عرف ولكن احتمل أن يكون غيره .**

وبين أهل كل درجة في درجتهم تفاوت بعيد ، وكلٌّ فاضل والبعض أفضل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك يا أخي بإصلاح النية وإخلاصها وتفقدها والتفكر فيها قبل الدخول في العمل(١)، فإنها أساس العمل، والأعمال تابعة لها حسناً وقبحاً

---

(١) قال رضي الله عنه : كل مسألة مستقلة وحدها ، لو شرحناها مع قلة علمنا لبلغ كالأصل - أي الكتاب - لأن المقصود بها بالخصوص كان عالماً وكان منطوياً فينا حتى مات ، حتى إنّا نقول له : إنك أخ . فيقول : بل أردتك شيخي . قال رضي الله عنه : ورأيته مرة في المدينة المشرفة ، كأني قابضٌ عليه وأقول له : امْضِ بنا نتحاكم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ومرة قال رضي الله عنه : قلت له : امْضِ معي أحاكمك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال رضي الله عنه : ولم أعلم لذلك سبباً .

قال الأحسائي : يعني الذي ألَّف له هذه الرسالة ، وهو ابن عم والدة سيدنا - وهو السيد أحمد بن هاشم الحبشي - وما أَلَّفَها له إلا لمعرفته بصدقه واعتقاده كما ذَكَرَ عنه . وقوله : (في المدينة) يعني كأني وإياه في المدينة . وقوله : (كأني قابض عليه) ، ومرة قال : (قابض بتلابيبه) ، وذلك أني جلست مع هذا الرجل بعدما اجتمعنا معه بحضرة جَدِّهِ الشيخ أحمد الحبشي ، ضحى جمعة من أيام شوال ١١١٥هـ ، وجلسنا معه وأحد أولاد سيدنا عبدالله في الشعب قاصدين زيارة الشيخ أحمد بن عيسى ، مجلساً فسيحاً ، وحكى لنا بما كان بينه وبين سيدنا من الألفة والمحبة والقرابة ، وذَكَر أنه لما كَتَبَ سيدنا لنسخه=

وصحةً وفساداً. وقد قال ﷺ : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)) فعليك أن لا تقول قولاً ، ولا تعمل عملاً ، ولا تعزم على أمر ، إلا وتكون ناوياً بذلك التقربَ إلى الله ، وابتغاء الثواب الذي رتبه سبحانه على الأمر المنويِّ من باب المِنَّة والفضل .

واعلم أنه لا يصح التقرب إلى الله إلا بما شرعه على لسان رسوله من الفرائض والنوافل ، وقد تؤثر النية الصادقة في الأمر المباح فيصير قربة لله من

=الشيخ محمد بن علوي السقاف بمكة يسأله إلباس الخرقة ، وكان هذا الرجل إذ ذاك في صحبته . قال : فسِرْتُ معه إلى المدينة ، فلما كان الشيخ محمد في المواجهة إزاء الضريح الشريف حصل عليه اندهاش وغَيْبة ، حتى سال منه العرق إلى الارض ، فلما سُرِّي عنه أمرني بإحضار دواة وقرطاس ، وقال : أُكتُبْ للسيد عبدالله ، فأملى عليَّ كتابه وأرسله مع الخرقة إليه ، وقال له في كتابه : إن رسول الله ﷺ أمرني بإلباسك الخرقة ، فاتفق أن وصل ذلك إليه يوم وفاة السيد محمد بمكة ، ولما أرسل بالخرقة والكتاب إليه جَعَلَت الغبطة وأقول في نفسي : يرسل إليه بالخرقة إلى تريم ونحن عنده ما يعطيناها . فلهذا رأى سيدنا في رؤياه أنه قابض بتلابيبه يطلب منه المحاكمة ، وهو لا يخلو من لبس وأخذ وتلقين ، ولكن الشأن كل الشأن في الخرقة التي أرسلها لسيدنا بأمر رسول الله ﷺ ، وإشارة فيها إلى أنه خليفته .

حيث أن للوسائل حكم المقاصد ، كمن ينوي بأكله التقوي على طاعة الله ، وبإتيانه أهله التسبب في حصول ولد يعبد الله .

ويُشترط لصدق النية أن لا يُكَذِّبها العمل ، فمن يطلب العلم مثلاً ويزعم أن نيته في تحصيله أن يعمل ويعلِّم ، فإن لم يفعل ذلك عند التمكن منه فنِيَّتُهُ غير صادقة ، وكمن يطلب الدنيا ويزعم أنه إنما يطلبها لأجل الاستغناء عن الناس ، والتصدق على المحتاجين ، وصلة الأقربين ، فإن لم يفعل ذلك عند القدرة عليه فلا أثر لنيته .

والنية لا تؤثر في المعاصي شيئاً ، كما أن التطهير لا أثر له في نَجِسِ العين ، فمن وافق إنساناً على غِيبةِ مسلم وادَّعى أنه يقصد بذلك إدخال السرور على قلبه فهو أحد المغتابَين[1] ، ومن سكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وادعى أنه ينوي بسكوته التوقِّي عن كسر قلب المباشِر فهو شريكه في الإثم ، وإذا تعلقت النية الخبيثة بالعمل الطيب أفسدته وصيرته خبيثاً ، كمن يعمل الصالحات وينوي بذلك تحصيل المال والجاه[2] .

---

(١) قال ﷺ : أو استحيى منه وجعل الحياء عذراً فهو مغتاب أيضاً .

(٢) قال ﷺ : وفي ذلك ردٌّ على من يتعاطى ذلك من الدَّرَسة وطلاب العلم في هذا الزمان ، كما ترى من بيعهم عبادتهم من الصلاة بالأُجرة ، وقراءة القرآن=

فاجتهد يا أخي أن تكون نيتك في طاعتك مقصورة على ابتغاء وجه الله تعالى ، وانْوِ بما تتعاطاه من المباحات الاستعانة على طاعة الله تعالى.

واعلم أنه يُتصور أن يجتمع في العمل الواحد نيات كثيرة ، ويكون للعامل بكل نية منها ثواب تام[1].

=طول السنة بالأجرة ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله على وجهه ، ومحق ذِكْرَهُ ، وأثبت اسمه في النار)) . فليتعذر البائع دينه وعباداته بطمع الدنيا عن قول رسول الله ﷺ بما يقتضيه هوى نفسه وطبعه الفاسد ، ويغتر بدعوى أنه عمل صالحاً بنية فاسدة أبطلته ، لحديث : ((إنما الأعمال بالنيات)) فللعمل حكم النية ، انظر قوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] وهي النية الصالحة ، فإذا أفسَدْت العمل بنية طمع دنياوي ، فماذا يناله من عملك ؟!

(١) قال رضي الله عنه : هذا إذا حَسُنَت نيته ، فمن يعرف النية ؟ والغالب أن أهل الزمان لا تصح لواحدهم نية واحدة ، لغلبة الجهل وحب الدنيا عليهم ، وإنما ذاك مع الصدق إذا صح أنها باعث لا مع الدعوى .

مثاله من الطاعات أن ينوي بقراءة القرآن مناجاة الله تعالى ، فإن القارئ مناج ربه ، وينوي استخراج العلوم من القرآن فإنه معدنها ، وينوي نفع نفسه والسامعين ، إلى غير ذلك من النيات الصالحة الحسنة[1] .

ومثاله من المباحات أن تنوي بالأكل امتثال أمر ربك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وتنوي به التقوّي على طاعة الله تعالى ، وتنوي به التسبُّب في استخراج الشكر منك لربك إذ يقول سبحانه : ﴿ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ١٥] فَقِس على هذين المثالَيْن ما عداهما من الطاعات والمباحات ، واستكثر من صالح النيات جهدك .

ثم إن النية تطلق ويراد بها أحد معنيين :

الأول : أن النية عبارة عن غرضك الذي حملك على العزم والعمل والقول ، وتكون النية بهذا الإعتبار في الأكثر خيراً من العمل إن كان خيراً ،

---

(١) قال الأحسائي : **المستمع بالقصد ، والسامع اتفاقاً .**

وشراً منه إن كان شراً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((نية المؤمن خير من عمله)) [1] فانظر كيف خص المؤمن بالذِّكْر !

والمعنى الثاني : أن النية عبارة عن قصدك فعل الشيء وعزمك عليه . وهذه النية لا تكون خيراً من العمل ، ولكن لا يخلو الإنسان عند عزمه على فعل شيء من إحدى ثلاث حالات :

الأولى : أن يعزم ويعمل .

والثانية : أن يعزم ولا يعمل مع القدرة على العمل [2] . وحكم هذه الحالة والتي قبلها قد أتى مبيناً فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات)) ، ثم بيَّن ذلك بقوله : ((فمن همَّ بحسنة فلم يعمَلْها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن همَّ بها

---

(١) قال رضي الله عنه : لأن أعمال القلوب أبلغ من أعمال الجوارح ، لأنه قد يحصل الثواب على النية وإن لم يقترن بها عمل ولا عكس ، وكذا القول في ضده كما فصله الحديث المذكور .

(٢) قال رضي الله عنه : ففي الخير إن تركه إن كان عاجزاً عن ذلك ولم يتمكن وقد علم الله صدقه . وفي الشر قال : أي إن منعه الخوف من الله مع القدرة عليها فإن منعه العجز فعلى حسب نيته .

فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة)) .

الحالة الثالثة : أن يعزم على فعل أمر لا يستطيع فعله ، فيصير يقول : لو استطعتُ عَمِلتُ ، فله نية ما للعامل وعليه ما عليه . والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ((الناس أربعة : رجل آتاه الله علماً ومالاً فهو يعمل في ماله بعلمه ، فيقول آخر لو آتاني الله مثل ما آتاه عملتُ مثل عمله ، فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله بجهله فيقول آخر : لو آتاني الله مثل ما آتاه عملتُ مثل عمله فهما في الوِزْرِ سواء)) .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك يا أخي بمراقبة الله تعالى في حركاتك وسكناتك ولحظاتك وطرفاتك وخطراتك وإراداتك وسائر حالاتك، واستشعر قربه منك[١]، واعلم أنه ناظرٌ إليك ومطلعٌ عليك، لا يخفى عليه منك خافية ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] وهو معك أينما كنت، بالعلم والإحاطة والإقتدار، ويدلُّك مع الهداية والإعانة والحفظ إن كنتَ من الأبرار[٢]، فاستحي من مولاك حق الحياء، واجتَهِدْ أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك، واعبُدْهُ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ومتى رأيت من نفسك تكاسلاً عن طاعته، أو ميلاً إلى معصيته، فَذَكِّرها بأنَّ الله يسمعك

---

(١) قال رضي الله عنه: أي استشعر في نفسك اطلاعه عليك من غير أن تعتقد تكييفاً.

(٢) قال رضي الله عنه: معيَّةٌ بعد معية، أي معية معنوية.

ويراك ويعلم سرك ونجواك[1]، فإن لم يُفِدْها هذا الذِّكْر لقصور معرفتها بجلال الله تعالى ؛ فاذْكُر لها مكان المَلَكَين الكريمَين اللذين يكتبان الحسنات والسيئات واتل عليها : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق: ١٧-١٨]، فإن لم تتأثر بهذا التذكير فَذَكِّرها قرب الموت وأنه أقرب غائب يُنتظر ، وخوِّفها بهجومه على غِرَّة ، وأنه متى نزل بها وهي على حالة غير مرضية تنقلب بخسرانٍ لا آخر له ، فإن لم ينفَعهَا هذا التخويف ، فاذكُر لها ما وعد الله به من أطاعه من الثواب العظيم ، وما توعَّد به من عصاه من العذاب الأليم ، وقل لها : يا نفسُ ، ما بعد الموت من مُستعتَب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، فاختاري - لنفسكِ إن شئتِ - طاعةً تكون عاقبتها الفوز والرضوان والخلود في فسيح الجنان ، والنظر إلى وجه الله الكريم المنان ، وإن شئتِ ، معصيةً يكون آخرها الخزي والهوان والسخط والحرمان والحبس بين طبقات النيران ، فعالِجْ نفسك

---

(١) قال رضي الله عنه : لعلها بذلك تنزجر ، والمعالجة قبل ذلك بأن يوعظها وينهاها عند طلبها ما لا ينبغي والمداواة بعد . فلعله لا يقدر على ذلك فلو امتنع من قبل كان أحسن .

بهذه الأذكار عند تقاعدها عن الطاعة وركونها إلى المعصية ، فإنها من الأدوية النافعة لأمراض القلوب[١] .

ثم إنه إن ثار من قلبك - عند استشعارك أن الله يراك - حياءٌ منه يمنعك عن مخالفته ويحملك على التشمير في طاعته ؛ فعندك شيء من حقائق المراقبة .

واعلم أن المراقبة من أشرف المقامات وأرفع المنازل وأعلى الدرجات ، وهي مقام الإحسان المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[٢] فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) وكل واحد من المؤمنين يؤمن بأنه اللهُ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ويعلم أن الله معه أينما كان لا يخفى عليه شيء من حركاته وسكناته ، ولكن الشأن في دوام هذا المشهد ، وحصول ثمراته التي أقلها أن لا يعمل فيما بينه وبين الله عملاً يستحي أن يراه عليه رجل من الصالحين ، وهذا عزيز ، وما وراءه أعز منه إلى

---

(١) قال رضي الله عنه : هذا الخ .. وإلا فاستشعار المراقبة هو المطلوب . وعالجها أي : بأحدها إن كفاها فذاك ، وإن تمردت فداوها بالآخر ، وهكذا دواء بعد دواء .

(٢) قال رضي الله عنه : وهي أن تتذكر أن الله يراه وهو ناظر إليه ، حتى يجدَّ في الطاعة ويُعرِض عن المعصية .

أن يصير العبد في آخر الأمر مستغرقاً بالله تعالى ، وفانياً بـه عمـا سـواه ، قـد غاب عن الخلق بشهود الحق ، والتَحَقَ بمقعد صدق عند مليك مقتدر[١] .

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : أي هذا نـادر ، ولكـن المطلـوب أن يكـون كـذلك في أكـثر الأوقات . قال : وكل أحد لو سألته قال ذلك ، ولكن المشهد قليل .

فَصْلٌ

وعليك يا أخي بإصلاح سريرتك حتى تصير خيراً من علانيتك الصالحة، وذلك لأن السريرة موضع نظر الحق[1]، والعلانية مطمح نظر الخلق، وما ذكر الله تعالى السر والعَلَن في كتابه إلا وبدأ بذِكْر السر[2]. وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: ((اللّٰهُمَّ اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة))، ومتى صلحت السريرة صلحت العلانية لا محالة، فإنَّ الظاهر أبداً يكون تبعاً للباطن صلاحاً وفساداً. قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجسد مُضغة إذا صَلُحَت صَلُحَ بها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد، ألا وهي القلب)).

---

(١) قال رضي الله عنه: أي يكون جانب السريرة أرجح. قال: والسريرة ما خَفِيَ من أمر القلب.

(٢) قال رضي الله عنه: نبَّهَكَ سبحانه عليه لتُشَمِّر لإصلاحه، وذلك لأن السر معاملة بين العبد وبين الله، والعلانية بينه وبين الخلق. فينبغي أن يجعل صلاح السريرة لذلك أكثر من صلاح العلانية، ومن ادَّعى صلاح السريرة مع فساد ظاهره فهو كذاب، فإن ادعى ذلك مع صلاح ظاهره فهو مدَّعي.

واعلـم أن من ادَّعى أنَّ له سريرة عامرة ، وكان قـد خَـرَّبَ علانيتـه بـترك الطاعات الظاهرة فهو مدَّعٍ كذاب ، ومن اجتهد في إصلاح علانيته بتحسين زيِّه وهيئته وتقويم لسانه ووزن حركاته وسكناته في قعوده وقيامه ومشيه وتَرَكَ باطنَه مشحوناً بخبائث الأخلاق ورذائل الطباع ، فهو من أهل التصنُّع والرياء المُعرضِين عن المولى .

فإياك يا أخي أن تستر شيئاً لو ظهر للناس كنتَ تستحي من ظهـوره حيـاء ينشأ من خوف الإستقباح[1] .

قال بعض العارفين : لا يكون الصوفي صـوفياً حـتى يكـون بحيـث لـو طِيفَ بجميع ما في باطنه على طَبَقٍ في السوق ما استحيا من ظهـور شيء منـه ؛ فإن لم تقدر أن تجعل سريرتك خيراً من علانيتـك فـلا أقـل مـن أن تُسَـوِّي بينهمـا ، فيكـون امتثالـك لأمـر الله واجتنابـك لنهيـه وتعظيمـك لحرماتـه

---

(١) قال رضي الله عنه : وقد تكـون أشـياء غـير مسـتقبحة ، ولكـن مـن شـأنه أن يُستحيا منه ، كحالة قضاء الحاجة ، وما يكون بينه وبين أهله ، ولا في ذلك هتك للمروءة ولا كراهة في شرع ولا طبع . أو كما قـال ، وهـو محـترز قـوله : استحياءً ينشأ من خوف الإستقباح .

ومسارعتك في مرضاته في الخلاء والملأ على حَدٍّ سواء . وهذه أول قدم يضـعها العبد في طريق المعرفة الخاصة فاعلم ذلك . وبالله التوفيق[١] .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : أي فتجعل مثلاً صلاتك في بيتك وبين الناس على حالة واحدة من غير مراعاة .

فَصْلٌ

وعليك بعمارة أوقاتك بوظائف العبادات ، حتى لا تمرّ ساعة من ليل أو نهار إلا وتكون لك فيها وظيفة من الخير تستغرقها بها ، فبذلك تظهر بركات الأوقات ، وتحصل فائدة العمر ، ويدوم الإقبال على الله تعالى ، وينبغي أن تجعل لما تتعاطاه من العادات كالأكل والشرب والسعي للمعاش أوقاتاً تخصُّها .

واعلم أنه لا يستقيم مع الإهمال حال ، ولا يصلح مع الإغفال بال . قال حجة الإسلام - نفع الله به - : ينبغي أن تُوَزِّعَ أوقاتك ، وترتِّبَ أَورَادَك ، وتُعَيِّنَ لكل وقت شغلاً لا تتعداه ولا تُؤْثر فيه سواه ، وأما من ترك نفسه مهملاً سدىً إهمال البهائم يشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق ؛ فتمضي أكثر أوقاته ضائعة ، وأوقاتك عُمرُك ، وعُمرُك رأس مالك ، وعليه أصل تجارتك ، وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى ، فكل نَفَسٍ من أنفاسك جوهرة لا قيمة له ، إذ لا عِوَض له وإذا فات فلا عَوْد له[1] . انتهى .

---

(١) قال رضي الله عنه : أي إذا عَمِلتَ بطاعة الله . ومرة قال : لأنك كان يمكنك أن تقول فيه : لا إله إلا الله ، يعني : فتنفعك في الآخرة أكثر ، وخيرٌ لك من نفع الجوهرة في الدنيا .

ولا ينبغي أن تستغرق جميع أوقاتك بـوِرْدٍ واحـد وإن كان أفضـل الأوراد مثلاً ، فتفوتك بذلك بركات تعدد الأوراد والتنقل فيها ، فإنَّ لـكل ورد أثـراً في القلب ونوراً ومدداً ومكانة من الله ليست لغيره .

وأيضاً إذا تَنَقَّلتَ من ورد إلى ورد أَمِنتَ بذلك من السآمة والكسل ، ومن الضجر والملل ، قال ابن عطاء الله الشاذلي رحمه الله تعالى : لمَّا عَلِم الحق منك وجود الملل لوَّن لك الطاعات .

واعلم أن للأوراد أثراً كبيراً في تنوير القلب وضبط الجوارح ، ولكـن لا يظهر ويتأكد إلا عند المواظبة والتكرار وفعل كل ورد منها في وقت يخصه .

فإن لم تكـن ممن يستغرق جميع ساعات ليله ونهـاره بوظـائف الخـيرات ؛ فاجعل لك أوراداً تواظب عليها في أوقات مخصوصة ، وتقضـيها مهمـا فاتتـك لتعتاد النفس المحافظة عليها ، ومتى أَيِسَتْ منك النفس أنك لا تسمح بـترك أورادك حتى تتداركها بالقضاء متى فاتت ؛ بادرت إلى فعلها في أوقاتهـا ، وقـد قال سيدي الشيخ عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه : من لم يكـن له ورد فهـو قـرد . وقال بعض العارفين : الواردات من حيث الأوراد ، فمـن لـم يكـن له ورد في ظاهره لم يكن له وارد في سرائره .

وعليك بالقصد ولزوم الوسط من كل أمر ، وخذ مـن الأعمـال مـا تطيـق المداومة عليه . قـال رسـول الله ﷺ : ((أحـبُّ الأعمـال إلى الله أَدْوَمُهـا وإن

قَلَّ))، وقال عليه السلام : ((خذوا من الأعمالِ ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا)) ، ومن شأن الشيطان - لعنه الله - أن يزيِّن للمريد في مبدأ إرادته الإستكثار من الطاعات والإفراط فيها ، وغرضه من ذلك أن يرده على عَقِبه بترك فعل الخير أصلاً ، أو فعله على غير الوجه الذي ينبغي ، ولا يبالي اللعين بأيهما دهاه . ثم إنَّ الأوراد تكون في الأكثر صلاة نفل أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو ذِكْراً أو فكراً .

ونحن نذكر نبذة من الآداب التي يحتاج إليها العامل بهذه الوظائف الدينية فنقول :

ينبغي أن يكون لك ورد من صلاة النفل زائد على النوافل الواردة ، تُعَيِّن له وقتاً وتضبطه بعدد تطيق المداومة عليه ، وقد كان من السلف الصالح رحمهم الله تعالى مَن وِرْدُه في اليوم والليلة ألف ركعة مثل الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما ، ومنهم من ورده خمسمائة ركعة ، ومنهم من ورده ثلثمائة ركعة ، إلى غير ذلك[1] .

---

(١) قال رضي الله عنه : هذا غير النوافل المؤقتة ، وهذا في حق المتفرغ للعبادة لا في حق المحترف والمشتغل ، فإنَّ هذا إذا أتى بالنوافل المشروعة فذلك منه كثير . أو في حق رجل فارغ إذا لم يشتغل بالعبادة جلس بَطَّالاً أو في لَهْو . ومن=

واعلم أن للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة ، ولا يكون للصلاة عند الله تعالى قيمة حتى تقيم صورتها وحقيقتها كما ينبغي .

فأما صورتها فهي الأركان والآداب الظاهرة من القيام والقراءة والركوع والسجود والتسبيح ونحوها .

وأما حقيقتها فهي الحضور مع الله ، وإخلاص النية والقصد لله ، والإقبال بكُنه الهمة على الله تعالى ، وجمع القلب عليه ، وأن يكون فكرك مقصوراً على صلاتك فلا تحدِّث نفسك بغيرها ، وتكون متأدباً بآداب المناجاة مع الله تعالى .

قال عليه الصلاة والسلام : ((إنما المصلي مناجٍ ربه)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إذا قام العبد إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه)) .

ولا ينبغي أن تشتغل بنفل مطلق في وقت نفلٍ وَرَدَ في السنة المطهرة مِن فِعْلِ رسول الله ﷺ أو قوله حتى تأتي على العدد الأكمل منه .

فمن ذلك عدد الركعات التي وردت قبل المكتوبات وبعدها وشهرتها تغني عن ذِكْرِها .

=ذلك صلاة الضحى وهي صلاة مباركة ، وهي مجربة لسعة الرزق ، وكونها ثمان أفضل ، إلا أن يصلي عند الشروق أربعاً وبعد ربع النهار ثمان .

ومن ذلك صلاة الوتر وهي صلاة ثابتة مؤكدة ، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوبها ، وقال رسول الله ﷺ : ((إن الله وِترٌ يحب الوتر فأَوتِروا يا أهل القرآن)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((الوتر حق ومن لم يُوتر فليس منا)) وأكثرها إحدى عشرة ركعة، وأقل ما ينبغي أن يقتصر عليه ثلاث ركعات .

وفِعْلها من آخر الليل لمن له عادة راسخة في القيام من آخره أفضل . قال عليه الصلاة والسلام : ((اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً)) ، ومن لم تكن له عادة في القيام ففعلها بعد صلاة العشاء أولى له .

ومن ذلك صلاة الضحى وهي صلاة مباركة كثيرة النفع ، وأكثرها ثمان ركعات ، وقيل اثنتا عشرة وقد ورد ، وأقلها ركعتان ، وأفضل أوقاتها أن تُصَلَّى إذا أضحى النهار ومضى قريب من رُبعِهِ ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((يُصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأَمْرٍ بالمعروف صدقة ، ونَهْيٍ عن المنكر صدقة ، ويجزيه من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى)) ، فلو لم يرد في فضل هذه الصلاة إلا هذا الحديث الصحيح لكفى .

ومن ذلك الصلاة بين المغرب والعشاء ، وأكثرها عشرون ركعة ، وأوسطها ست ركعات ، قال رسول الله ﷺ : ((من صلى بين العشائين عشرين بنى الله له بيتاً في الجنة)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((من صلى بعد

المغرب ست ركعات لا يتكلم فيما بينهن بشيء عَدلْن له عبادة اثنتي عشرة سنة)).

ومن السُنَّة إحياء ما بين العشائين ، وقد ورد في فضله أخبار وآثار ، وحسبك من ذلك أن أحمد بن أبي الحواري شاور شيخه أبا سليمان رحمهما الله تعالى في أن يصوم النهار أو يُحيي ما بين العشائين ، فقال : اجمع بينهما ، فقال : لا أستطيع ، لأني متى صمت أشتغل بالإفطار في هذا الوقت ، فقال له : إذا لم تستطع أن تجمع بينهما فدع صيام النهار واحي ما بين العشائين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما دخل رسول الله ﷺ بيتي بعد العشاء الآخرة إلا صلى أربعاً أو ستاً ، وقال عليه السلام : ((أربع ركعات بعد العشاء ، كمثلهن من ليلة القدر)).

وعليك بصلاة الليل فقد قال عليه السلام : ((أفضل الصدقة بعد المكتوبة صلاة الليل)) ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على العلانية)) . وقد ورد أن صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم

إلى ربكـم ، ومكفـرة للسـيئات ومنهـاة عـن الإثـم ومطـردة لـلداء عـن الجسد)) [١].

واعلم أن من صلى بعد العشاء فقد قام من الليل . وقد كان بعض السلف يصلي ورده من أول الليل ، ولكن في القيام بعد النوم إرغام للشيطان ومجاهدة للنفس وسر عجيب ، وهو التهجد الذي أمر به الله ورسوله في : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وفي المأثور: إن الله يعجب من العبد إذا قام من على فراشه وبين أهلـه إلى صلاته ويباهي به ملائكته ويقبل عليه بوجهه الكريم .

واعلم أنه يَقْبُح بطالب الآخرة أن لا يكون له قيام بالليل . كيف والمريد لا يزال طالباً للمزيد متعرضاً للنفحات على دوام الأوقات .

وقد قال ﷺ : ((إن في الليل لساعة لا يوافقهـا عبـد مسـلم يسـأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة)) أخرجه مسلم .

وفي بعض كتب الله المنزلة : كذب من ادعى محبتي فـإذا جَنَّـه الليـل نـام عني ، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه .

---

(١) قال رضي الله عنه : إنَّ كُثرَهُ يورث مرضاً في الجسد ، ينبغي أن يأخـذ منـه بالوسـط كالطعام .

وقال الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي رحمه الله: جُمِع الخير كله في الليل وما عُقِدت لولي ولاية إلا بالليل.

وقال سيدي العيدروس عبد الله بن أبي بكر: من أراد الصفاء الرباني فعليه بالانكسار في جوف الليل.

وقال رسول الله ﷺ: ((ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من داع فأستجيبَ له، هل من مستغفر فأغفرَ له، هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، حتى يطلع الفجر)). ولو لم يرد في الحث على قيام الليل غير هذا الحديث لكفى. كيف والكتاب والسنة طافحان بالترغيب فيه والحث عليه.

وللعارفين بالله في القيام بالليل منازلات شريفة[1] وأذواق لطيفة، يجدونها في قلوبهم من نعيم القرب من الله، ولذة الأنس به، وطيب المناجاة والمحادثة مع الله، حتى قال بعضهم: إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم

---

(١) قال رضي الله عنه: أي أحوال تتنزل في قلوبهم.

لفي عيش طيب . وقال آخر: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم[١] ، وقال آخر : منذ أربعين سنة ما غَمَّني شيء إلا طلوعِ الفجر .

وهذا النعيم لا يكون إلا بعد تجرع المرارات ، وتحمل المشقات في القيام ، كما قال عتبة الغلام : كابدتُ قيام الليل عشرين سنة ، وتَنَعَّمتُ به عشرين سنة أخرى .

فإن قلت : ماذا أقرأ في صلاتي بالليل ؟ وكم ركعات ينبغي أن أصلي ؟ فاعلم أن رسول الله ﷺ لم يواظب في تهجده على قراءة شيء مخصوص ، ومن الحَسَن أن تتبع القرآن ، فتقرأه شيئاً فشيئاً في قيامك حتى تختم في شهر أو أقل أو أكثر حسب نشاطك[٢] .

---

(١) قال رضي الله عنه : **إن أهل اللهو يقطعون الليل كله بِلَهْوِهِم وهم مستغرقين به ، فكذلك يشتغل هؤلاء بما هم فيه .**

(٢) قال رضي الله عنه : **إن كان يحفظ بالغيب وإلا في المصحف ، ويكون هناك في الليل - أظنه قال : سراج - فيقرأ في المصحف ، وإذا ركع وضعه وهذا لا يبطل الصلاة .**

وأما عدد الركعات ؛ فأكثر ما روي من قيام رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة ، وورد الاقتصار على تسع وسبع ، وأكثر ما ورد عنه ﷺ المواظبة عليه إحدى عشرة ركعة .

ويتلخص من مجموع الأحاديث أنه ينبغي لك ويستحب إذا قمت من النوم أن تمسح النوم عن وجهك بيدك وتقول :

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، وتقرأ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] إلى آخر السورة ، ثم تستاك وتتوضأ وضوءاً كاملاً ، ثم تصلي ركعتين خفيفتين ، ثم تصلي بعدهما ثمان ركعات ، تطولهن ، تسلم من كل ركعتين إن شئتَ أو من كل أربع أو تجمعهن بتسليمة واحدة ، فكل ذلك قد ورد ، ثم إن رأيتَ أنه بقي عندك نشاط فتَنَفَّل ما بدا لك ، ثم صَلِّ ثلاث ركعات بنية الوتر(١) بتسليمة أو

---

(١) قال رضي الله عنه **: هذا مختصر ما يحتاج إليه ، وما زاد عليه فهو في المطولات . فينبغي أن يأخذ بمختصره ذلك ، ومن زاد عليه فقد دخل بحراً ما له ساحل ، لأن العلم قد طول وعرض ، وأصله أمر دون ذلك ، وأكثر ما طول به فضول وتفاريع لا يحتاج إليها ، والمناسب لكل زمان كلام علمائه ، لأن الله يُنطق علماء كل زمان بما يناسبه ، يرون أحوالهم وما يرغبون فيه وما يلابسونه ، فيتكلمون لهم بحسب ذلك .**

تسليمتين ، وتقرأ في الأولى : سبح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية : قل يا أيها الكافرون ، وفي الثالثة : الإخلاص والمعوذتين ، ولا تحسب أن الوتر هو إحدى عشرة شيءٌ وهذه الركعات المذكورة في هذا السياق شيءٌ آخر ؛ كلاَّ ، إنه لم يُرو عن قيام رسول الله ﷺ غير ما قصصناه عليك فاعلم ذلك والله سميع عليم .

* * * * *

فَصْلٌ

وينبغي أن يكون لك ورد من تلاوة الكتاب العزيز تداوم على قراءته في كل يوم وليلة ، وأدنى ذلك أن تقتصر على جزء ، فيكون لك في كل شهر ختمة ، وأعلى ذلك أن تختم في كل ثلاثة أيام .

واعلم أنَّ لقراءة القرآن فضلاً عظيماً ، وأثراً في تنوير القلب كبيراً . قال رسول الله ﷺ : ((أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن)) .

وقال علي كرم الله وجهه : ((من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه وهو خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات)) .

وإياك أن يكون همك في تلاوتك مقصوراً على الإكثار منها دون تدبُّرٍ وترتيل .

وعليك - إذا تَلوتَ - بالتدبر والفهم ، واستعن على ذلك بالترتيل والترسل ، وأحضر في قلبك عظمة المتكلم سبحانه ، وأنك بين يديه تقرأ عليه كتابه الذي أمرك فيه ونهاك ووعظك ووصاك ، وكن عند قراءة آيات التوحيد

والتمجيد ممتلئاً بالإجلال والتعظيم، وعند قراءة آيات الوعد والوعيد ممتلئاً بالرَّغَب والرَّهَب، وعند قراءة آيات الأوامر والزواجر شاكراً معترفاً بالتقصير أو مستغفراً عازماً على التشمير.

واعلم أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه تُستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم، ومن فُتِح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم نوره[1] واتسع علمه وصار لا يَمَل من قراءته ليلاً ولا نهاراً، لأنه قد وجد فيه مقصوده وظفر منه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق.

قال الشيخ أبو مدين ﷺ: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد.

وعليك بالمحافظة على قراءة السور والآيات التي ورد الحث عليها في السُّنَّة في بعض الأوقات. فمن ذلك أن تقرأ كل ليلة قبل أن تنام آلم السجدة، وتبارك الملك[2]، وسورة الواقعة، وآمن الرسول إلى آخر السورة، وسورة الدخان

---

(١) قال ﷺ: لكن القراءة على هذا الوجه عزيزة إذا قدم نظافة القلب من أَكْل الحلال والزهد في الدنيا وغير ذلك، ولكن يأخذ بقدر ما يمكنه.

(٢) قال ﷺ: إن قرأ عند النوم، وإلا لا يخلي الليلة عن قراءتهما، فالميسور لا يسقط بالمعسور حسب هذه الأزمنة. والنوم إنما هو في الغفلة أو يقظة ما=

ليلة الإثنين والجمعة ، وسورة الكهف يوم الجمعة وليلتها[1] ، وإن أمكنك أن تقرأ المنجيات السبع كل ليلة فذلك من الفضائل العظيمة .

ومن ذلك أن تقرأ إذا أصبحت وإذا أمسيت أوائل الحديد وخواتيم الحشر ، والإخلاص والمعوذتين (ثلاثاً ثلاثاً) ، وكذلك تقرأ الإخلاص والمعوذتين عند النوم مع آية الكرسي وقل يا أيها الكافرون ، واجعلها آخر ما تقول ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * * * *

=فيها فائدة . وهاتان الحالتان متقاربتان كتقارب السبابة والوسطى . قال : لو قرأ السجدة وسورة الملك في الركعتين اللتين بعد العشاء كان أفضل ، وحصل له سنة قراءتهما حينئذ .

(١) قال رضي الله عنه : وقراءة الواقعة بين أذان العشاء والصلاة اختيار بعضهم .

قال الأحسائي : وعمل سيدنا عليه ، فيخرج من البيت كل ليلة إلى صلاة العشاء ، وهو يقرأها فيختمها عند دخوله المسجد ، فتقام الصلاة فيتقدم يصلي بالجماعة ، وهكذا دأبه كل ليلة غالباً .

فَصْلٌ

وينبغي أن يكون لك ورد من قراءة العلم النافع ، وهو الذي يزيد في معرفتك بذات الله وأقواله وصفاته وأفعاله وآلائه ، وتعرف به ما أمرك به من طاعته ونهاك عنه من معصيته ، ويورثك زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة ، ويُبَصِّرُك بعيوب نفسك وآفات عملك ومكائد عدوك .

وهذا العلم مبثوث في الكتاب والسنة وكتب الأئمة ، وقد جمعه الإمام الغزالي في كتبه العظيمة القدر ، الكبيرة الخطر ، عند من له بصيرة في الدين ورسوخ في العلم وكمال في اليقين ، فواظِب على مطالعتها إن كانت لك همة في سلوك الطريق ورغبة في الوصول إلى مراتب التحقيق ، وقد انفَرَدَت الكتب الغزالية من بين كتب المحققين من الصوفية بالجمع والتحرير وحصول التأثير الكثير في الزمن القصير .

وعليك بالإكثار من قراءة كتب الحديث والتفسير ، ومن مطالعة كتب القوم عامة ، فإن ذلك فَتْحٌ عام وسلوك تام كما قال بعض العارفين .

ولكن ينبغي لك أن تحترز عما يشتمل من رسائلهم على الأمور الغامضة والحقائق المجردة ، وهذه الأشياء توجد في أكثر مؤلفات الشيخ ابن عربي ، وفي شيء من رسائل الإمام الغزالي كالمعراج والمضنون به . وقد ذكر الشيخ زروق

في (تأسيس القواعد) قاعدة في التحذير من الكتب التي تجري هذا المجرى فراجعها إن شئت ، ولم يذكر في جملتها مؤلفات الشيخ عبد الكريم الكيلاني ، لأنه متأخر ، ومؤلفاته عن آخرها مما ينبغي الاحتراز عنها إيثاراً للسلامة .

فإن قال قائل : لا بأس عليَّ في مطالعة هذه الكتب ،لأني آخذ ما أفهمه وأُسَلِّم لما لا أفهمه لقائله ، قيل له : قد أَنصَفتَ ، ونحن إنما نخشى عليك مما تفهمه أن تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل ، كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا في زندقة وإلحاد ، وقالوا بالحلول والاتحاد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * * * *

فَصْلٌ

وينبغي أن يكون لك ورد من ذِكْرِ الله تعالى تحده بوقت أو تحصره بعدد، وحينئذ فلا بأس بالسبحة لضبط العدد[١].

واعلم أن الذِّكْر ركن الطريق، ومفتاح التحقيق، وسلاح المريدين، ومنشور الولاية، كما قال بعض العارفين.

وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١].

---

(١) قال رضي الله عنه: **الوقت كساعة زمانية، ويقال أنها تسع ألف من قول الله الله، ومن قال في اليوم والليلة من ذلك ووزعت على أنفاسه فيهما يخص كل نَفَسٍ مرة واحدة من المجموع والعدد كألف مثلاً. قال والسبحة الأصل فيها ما ورد من الأمر بالعد، من حديث: ((اعتدوا بالأصابع فإنهن مستنطقات))، وفيها أثر: كان عند أبي هريرة خيط فيه خمسمائة عقدة يعد بها ورده، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي معها حجارة تعد بها. ثم تفرعت السبح وتنوعت إلى أنواع كثيرة.**

وقال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإنْ ذَكَرَني في نفسه ذَكَرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)) . وقال عليه السلام : ((يقول الله تعالى : أنا جليس من ذكرني)) ، وقال عليه السلام : ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى ، قال : ذِكْرُ الله)) .

وللذِّكر ثمرات ونتائج يجدها من واظب عليه بوصف الأدب والحضور ، أقلها أن يجد فيه من الحلاوة واللذة ما يستحقر في جنبه كل ما يعرفه من اللذات الدنيوية والملاهي[1] . وأعلاها أن يفنَى بالمذكور عن الذاكر وعما سواه[2] .

ومن قعد وهو على طهارة في خلوة مستقبل القبلة ساكن الأطراف مطرق الرأس ، ثم ذَكَر الله بقلب حاضر وأدب وافر ، رأى للذِّكْر في قلبه أثراً

---

(١) قال رضي الله عنه : **يكون ذلك بعد المجاهدة وتصفية القلب .**

(٢) قال رضي الله عنه : **وفي هذه الحالة يتصور له ما يفزعه إن كان ضعيفاً ، ولهذا ما يُدخِلون الخلوة إلا من معه قوة قلب وثبات جأش ، بحيث لو ورد عليه من يقابله لم يهب .**

ظاهراً . فإن دام على ذلك أشرقت عليه أنوار القرب وانكشفت له أسرار الغيب[١] .

وأفضل الذِّكْرِ ما كان بالقلب واللسان ، وذِكْر القلب أن يكون حاضراً فيه معنى الذكر الذي يجري على اللسان كالتقديس والتوحيد عند التسبيح والتهليل[٢] .

---

(١) قال رضي الله عنه : هذا قد ظهر لبعض أهل الخصوص ، ولكن اليوم لا عاد عان الإنسان حتى أعضاؤه ، فلو ظهر له هل يملك تغير عقله ؟! فليأخذ على الذِّكْر على هذا فهو الأصل والذي درج عليه الصحابة . قال : وآداب الذِّكْر المذكورة إذا أتى به كذلك من حال الأدب ، فربما ظهر له أشياء لا يعرفها مفزعة أو مهولة ، لأنه لا يألف مثلها ، وأكثر ما يكون لمن يدخل الخلوة بغير شيخ أو غير ممتثل بل بنفسه ، وقد يخرجون بسبب ذلك من الخلوة . وهذه الآداب أوائل خلوة أهل الطريق . والخلوة خلوتان : خاصة وعامة . فالعامة : وهي العزلة عن الناس . والخاصة : هي ما يكون بأمر شيخ مُرَبِّي أو بنفسه إن كان نجيباً ، و من شرائطها : الإغتسال عند دخولها ، والصيام ، وأن لا يدخل عنده إلا من يحتاج إليه ، وأن لا يكثر الكلام والمداومة على الذِّكْر .

(٢) قال رضي الله عنه : ومن معناه أن يجري اللفظ على لسانه وعلى قلبه أيضاً .

والأفضل للذاكر من الإسرار والجهر بالذِّكْر والقراءة الأصلح منهما لقلبه[١]، والذِّكْر هو الورد الدائم المستمر، فاجتَهِدْ أن لا يزال لسانك رطباً منه في كلِ حال، إلا في وقت ورد لا يمكن الجمع بينه وبين الذِّكْر كالقراءة والتفكر، ويكون في هذه العبادات وغيرها من القربات ذاكراً لله تعالى بالمعنى الأعم، ولا تقتصر على نوع واحد من الذِّكْر، بل ينبغي أن يكون لك من كل نوعٍ ورد[٢].

وعليك بالمحافظة على الأذكار والأدعية الواردة في أدبار الصلوات، وعند الصباح والمساء، والنوم واليقظة، إلى غير ذلك من الأوقات والأحوال المتعاقبة، فما سنَّها رسول الله ﷺ لأمته إلا لتكون سبباً لهم إلى الفوز بالخير

---

(١) قال رضي الله عنه: فلينظر لنفسه إن خاف من رياء وعجب وأذى مسلم؛ أسرَّ، وإلا جهر.

(٢) قال رضي الله عنه: المراد بالورد: أن تجعل له وقتاً لا تتعداه، أو عدداً معروفاً فتواظب عليه، حتى تعتاده النفس ويظهر عليك بواسطته النور. قال: والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ في آخر الزمان أنفع الأذكار، وليجعل له من ورد الصباح والمساء ما تيسر، ويواظب عليهما في كل أوقاته.

والنجاة من الشر الواقعَين في ذلك الوقت والحال . فمن أهملها ثم بعد ذلك ناله مكروه أو حيل بينه وبين محبوبه فلا يلومنَّ إلا نفسه[١] .

ومن أراد العمل بما ذكرناه فعليه بمطالعة كتاب الأذكار للإمام النووي ، رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً .

ومن آكد ما ورد في أدبار الصلوات وأفضله أن تقول بعد كل مكتوبة : اللّهُمَّ أعني على ذِكْرِك وشكرك وحُسنِ عبادتك ، وتسبح ثلاثاً وثلاثين ، وتحمد كذلك ، وتُكَبِّر كذلك ، وتختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقل هذه الكلمة بزيادة : ((يحيي ويميت)) عشر مرات ، وأنت ثانٍ رجلك وقبل أن تتكلم بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب .

ومن ذلك أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت : سبحان الله وبحمده (مائة) وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كذلك ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم (مائة مرة) .

---

(١) قال رضي الله عنه : لأن الله أطلعه على أسرار الغيوب ، وهو مخبرٌ لهم بذلك ، وهم مُقَلِّدوه ونعم المُقَلَّد ، وينبغي الأخذ بما يقوله .

واجعل لك ورداً من الصلاة على رسول الله ﷺ ، فإنها وصلة بينك وبين نبي الله ﷺ ، وباب يفيض عليك منه المدد بواسطته من حضرته عليه الصلاة والسلام ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : ((من صلى عليَّ مرةً صلى الله عليه بها عشراً)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أَحَبُّكم إليَّ وأقربُكُم مني مجلساً يوم القيامة أكثركم علي صلاة)) [1] ، وقد أمر الله بها في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، فامتثل واستكثر منها ولا تستقلل ، واجمع بينها وبين السلام وصلِّ على آله معه .

وأكثر منها في ليلة الجمعة ويومها خصوصاً ، لقوله عليه السلام : ((أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر)) ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم والحمد لله رب العالمين .

* * * * *

---

(١) قال رضي الله عنه : **عن بعضهم أقل الإكثار ثلاثمائة .**

فَصْلٌ

وينبغي أن يكون لك ورد من التفكر[1] في كل يوم وليلة ، تعيِّن له ساعة أو ساعات ، وأحسن الأوقات للتفكر أفرغها وأصفاها وأجدرها في حضور القلب جوف الليل .

واعلم أن صلاح الدنيا والدين موقوف على صحة التفكر ، ومن أعطي حظه منه أخذ بحظ وافر من كل خير، وقد ورد : ((تَفَكُّر ساعة خير من عبادة سنة)) .

وقال علي كرم الله وجهه : لا عبادة كالتفكُّر ، وقال بعض العارفين رحمهم الله : الفكرة سراج القلب ، فإذا ذهبت فلا إضاءة له .

ومجاري الفِكْر كثيرة ، فمنها - وهو أشرفها - أن تتفكر في عجائب مصنوعات الله الباهرة ، وآثار قدرته الظاهرة والباطنة ، وما بث من الآيات في ملكوت الأرض والسماوات .

---

(١) قال رضي الله عنه : يتفكر هل هو في طاعة ؟ وكيف يفعلها ؟ أو هل هو مقارف معصية ؟ فيجتنبها ، وكيف تحصيل معيشته ؟ هل هو من وجهها أم لا ؟ وفي الآخرة ، هل هو مستعد لها أم لا ؟ ومن أراد يعمل عبادة على وجهها لا بد له من التفكر قبلها وفيها وبعدها .

وهذا التفكر يزيد في معرفتك بذات الله وصفاته وأسمائه، وقد حث الله عليه بقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: ١٠١]، وأنت من عجائب المصنوعات في نفسك. قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في آلاء الله وأياديه التي أوصلها إليك، ونِعَمَه التي أسبغها عليك، قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٦٩ ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: ٥٣].

وثمرة هذا التفكر امتلاء القلب بمحبة الله، والاشتغال بشكره باطناً وظاهراً كما يحبه ويرضاه.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في إحاطة علم الله بك، ونظره إليك، واطلاعه عليك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ [ق: ١٦] [١]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤ ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى:

---

(١) قال رضي الله عنه: أي مجرى الطعام والشراب.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية [المجادلة: ٧] . وهذا التفكر ثمرته أن تستحي من الله أن يراكِ حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك .

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في تقصيرك في عبادة مولاك ، وتعرضك لسخطه بإتيانك ما عنه نهاك . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانفطار: ٦] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانشقاق: ٦] (١) . وهذا التفكر يزيد في خوفك من الله، ويحملك على لوم نفسك وتوبيخها ، ومجانبة التقصير وملازمة التشمير .

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في هذه الحياة الدنيا ، وكثرة أشغالها ووبالها ، وسرعة زوالها ، وفي الآخرة ونعيمها ودوامها . قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ

---

(١) قال رضي الله عنه : أي مجتهداً .

كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وهذا التفكر يثمر لك الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في قرب نزول الموت، وحصول الحسرة والندامة بعد الفوت[1].

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ﴾ [المنافقون: ٩-١١]. وفائدة هذا التفكر قصر الأمل وإصلاح العمل وإعداد الزاد ليوم المعاد.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في الأخلاق والأعمال التي وصف الله بها أولياءه وأعداءه، وفيما أعد للفريقين في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، وقال

---

(١) قال رضي الله عنه: **أي فوات الإختيار.**

تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨ ﴾ [السجدة : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ إلى آخر السورة [الليل : ٥-٢١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال : ٢-٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية [النور : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٧-٦٨] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧١-٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ٧-١٠] .

وثمرة هذا التفكر محبة السعداء ، وحمل النفس على اتباعهم والعمل بأعمالهم والتخلق بأخلاقهم ، وبغض الأشقياء ، وحمل النفس على اجتناب أعمالهم وأخلاقهم . وإن ذهبنا نتتبع مجاري الفكر خرجنا عن مقصودنا من الإيجاز وفيما أشرنا إليه كفاية للعاقل .

وينبغي أن تستحضر عند كل نوع من التفكر ما يناسبه من الآيات والأخبار والآثار ، وقد أشرنا إلى ذلك عند كل نوع بذكر شيء من الآيات المناسبة له(١) .

وإياك والتفكر في ذات الله تعالى وصفاته من حيث تطلُّب الماهية وتعقُّل الكيفية ، فقلما ولع بذلك أحد إلا وهوى في مهاوي التعطيل ، أو تورط في تورطات التشبيه ، وقد روي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : ((تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في ذات الله، فإنكم لن تقدروه حق قدره)) . فهذا ما قصدنا ذِكْره من آداب هذه الوظائف .

ومقصود الأوراد وروحها إنما هو الحضور مع الله فيها فعليك به ، ولن تصل إليه ما لم تسلك طريقه ، وهي فعل الأعمال الظاهرة مع تكلف الحضور مع الله فيها ، فإن واظبتَ على هذا غَشِيَتكَ أنوار القرب وفاضَت

---

(١) قال رضي الله عنه : **أي تتفكر في هذه الآيات حتى يحصل لك العلم بها ، وتتمكن من العمل بها ، وفيها أوصاف أولياء الله وأعدائه .**

عليك علوم المعرفة ، فعند ذلك يقبل قلبك على الله تعالى بكليته ، ويصير الحضور مع الله سبحانه سجيّة له وخُلُقاً راسخاً ، فتصير تتكلف الحضور مع الخلق عند الحاجة إليه . وربما لم تقدر عليه ، وعن هذه الحالة تنشأ الغَيبة والاستغراق والفناء عما سوى الله تعالى إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله ، وأصل ذلك كله المواظبة على الأعمال الظاهرة والمحافظة عليها مع تكلف الحضور مع الله فيها . واحذر أن تترك العمل بورد مخافة أن لا تدوم عليه، فإن ذلك من الحماقة(١) .

وينبغي أن لا تعمل في كل وقت بحسب النشاط والفراغ ، بل ينبغي أن تسمي شيئاً تزيد عليه عند النشاط ولا تنقص منه عند الكسل .

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات ، والمحافظةُ على العبادات ، والمداومة على الطاعات ، دأب الأنبياء والأولياء في بداياتهم ونهاياتهم ، لأنهم أعرف الخلق بالله ، فلا جرم كانوا أَعبَدَهم وأَطْوَعَهم وأخشاهم له عز وجل ، فإن إقبال العبد على ربه وعبادته له على قدر محبته له ، والمحبة تابعة للمعرفة ، فكلما كان العبد أعرف بالله كان أشد حباً له وأكثر عبادة . فإن شَغَلك جَمْعُك للدنيا واتباعك للهوى عن اتخاذ الأوراد وملازمة العبادات ، فاجتهد أن تجعل

---

(١) قال رضي الله عنه : **بل اعمل والله يعينك ، إلا إنك لا تفرط في الكثرة ، بل بقدر ما تدوم عليه من أول الأمر ، حتى لا تعود تَمَل بعد ذلك .**

لربك ساعة من أول نهارك وساعة من آخره تشتغل فيهما بالتسبيح والاستغفار وغير ذلك من أنواع الطاعات ، فقد روي عن الله تعالى أنه قال : ((ابن آدم اجعل لي ساعة من أول نهارك وساعة من آخره أَكْفِكَ ما بين ذلك)) .

وورد أن صحيفة العبد إذا عُرِضَت على الله عز وجل[1] من آخر كل يوم فإن كان في أولها وفي آخرها خير يقول الله تعالى للمَلَك : أمح ما بين ذلك ، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

* * * * *

(١) قال رضي الله عنه : أي يصعد بها الملائكة بعد صلاة المغرب وركعتيه وبعد الزوال . وإنهما ترفعان مع عمل النهار وطلب المبادرة بهما لذلك .

فَصْلٌ

وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما ، فإنهما دين الله القويم وصراطه المستقيم ، من أخذ بهما سَلِم وغَنِم ورَشَد وعُصِم، ومن حاد عنهما ضَلَّ ونَدِم وحَادَ وقُصِم ، فاجعلهما حاكمَين عليك ومتصرفَين فيك ، وارجع إليهما في كل أمرك ممتثلاً لوصية الله ووصية رسوله .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء : ٥٩] ، ومعنى قوله : فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة .

وقال رسول الله ﷺ : ((أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي)) .

فإن سَرَّكَ أن تكون على الهدى سالكاً للمَحَجَّة البيضاء التي لا عِوج فيها ولا أمتاً ؛ فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة ، فخذ ما وافق وَدَعْ ما خالَف ، واعمل على الإحتياط ، واتبع الأحسن أبداً ، ولا تبتدع في الدين ، ولا تتبع غير سبيل المؤمنين فتخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وإياك ومحدثات الأمور ومختلفات الآراء[١] فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) ، وقال عليه السلام : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) .

والبدع ثلاث : **بدعة حسنة** ، وهي ما رآه أئمة الهدى مما يوافق الكتاب والسنة ، من حيث إيثار الأصلح والأنفع والأحسن ، وذلك كجَمْع القرآن في مصحف لأبي بكر ، ونَصْب الديوان وصلاة التراويح لعمر ، وترتيب المصحف والأذان الأول يوم الجمعة لعثمان ، وأحكام قتال البغاة لعلي رضي الله عنه[٢] وعن الخلفاء الأربعة .

والثانية : **بدعة مذمومة** على لسان الزهد والورع والقناعة فقط ، وذلك كالتوسع في الملابس والمآكل والمساكن المباحة[٣] .

والثالثة : **بدعة مذمومة مطلقاً** ، وهي ما خالف نصوص الكتاب والسنة أو خرق إجماع الأمة ، وقد وقع من هذا النوع للمبتدعة كثير في الأصول ،

---

(١) قال رضي الله عنه : **لأن هذا شان المبتدعة ، يأتون بأشياء لا أصل لها في كتاب ولا سنة .**

(٢) قال رضي الله عنه : **لأنه أول من قاتلهم .**

(٣) قال رضي الله عنه : **لأن هذا لم يكن من فعل السلف الأول .**

وقلَّ وقوعه في الفروع[1]، وكل من لم يبالغ في التمسك بالكتاب والسنة، ولم يبذل وسعه في متابعة الرسول، وهو مع ذلك يدعي أن له مكانة من الله تعالى؛ فلا تلتفت إليه ولا تعرِّج عليه، وإن طار في الهواء ومشى على الماء وطويت له المسافات وخرقت له العادات، فإن ذلك يقع كثيراً للشياطين والسحرة والكهان والعَرَّافين والمنَجِّمين وغيرهم من الضُّلال، ولا يُخرِج مثلَ ذلك عن كونه استدراجاً وتلبيساً إلى كونه كرامة وتأييداً إلا وجودُ الاستقامة فيمن ظهر عليه، وهذا المغرور وأمثاله إنما يُلَبِّسون على الغوغاء والسفلة الذين يعبدون الله على شك، وأما أولو العقول والألباب فقد علموا أن تفاوت المؤمنين في القرب من الله على حسب تفاوتهم في متابعة الرسول، وأنه كلما كانت المتابعة أكمل؛ كان القرب من الله أتم، وكانت المعرفة به أجل.

وقد قصد أبو يزيد البسطامي إلى زيارة رجل يوصَف بالولاية، فقعد له في المسجد، فلما خرج حضرته نُخامة فرمى بها في حائط المسجد، فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال: كيف يُؤمَن على أسرار الله من لم يُحسِن المحافظة على آداب الشريعة. وقال الجنيد رحمه الله: كل الطرق مسدودة إلا على من اقتفى

---

(١) قال رضي الله عنه: **كل الناس في خطر إلا من عفا الله عنه ورحمه، لأن الناس قَلَّت رغبتهم في الدين، وضعفت فيه قواهم.**

أثر الرسول ﷺ. وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ﷺ ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليها .

واعلم أنه لا يستقل بعرض جميع أموره التي تقع له في ظاهره وباطنه على الكتاب والسنة كل أحد ، فإن ذلك مخصوص بالعلماء الراسخين ، فإن عجزت عن شيء من ذلك ؛ فعليك بالرجوع إلى من أَمَرَكَ اللهُ بالرجوع إليه في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣] ، وأهل الذِّكْر هم العلماء بالله وبدينه ، العاملون بعلمهم ابتغاء وجه الله تعالى الزاهدون في الدنيا الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى ، الداعون إلى الله على بصيرة ، المكاشَفون بأسرار الله .

وقد عَزَّ على بسيط الأرض وجودُ واحد من هؤلاء ، حتى لقد زعم جماعة من الأكابر أنهم مفقودون ، والحق أنهم موجودون ولكن قد سترهم الله برداء الغَيْرة ، وضرب عليهم سُرادقات الإخفاء ، لغفلة الخاصة وإعراض العامة ، فمن طلبهم بصدقٍ وَجَدَّ في ذلك لم يُعوِزْه - إن شاء الله تعالى - وجود واحد منهم ، فالصدق سيف لا يوضع على شيء إلا قطعه ، والأرض لا تخلو من قائم لله بحجة . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله)) .

أولئك نجوم الأرض وحُمَّال الأمانة ونُوَّاب المصطفى وورثة الأنبيـاء ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج (الفرقة الناجية) ، وهي المعروفة بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة ، وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأنت إذا نَظَرْتَ بِفَهْمٍ مستقيم عن قلب سليم في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان ، وطالَعْتَ سِيَر السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، عَلِمتَ وتحقَّقتَ أنَّ الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية ، نسبة إلى الشيخ (أبي الحسن الأشعري)[1] رحمه الله ، فقد رتَّب قواعد عقيدة أهل الحق وحرَّر أدلتها ، وهي العقيدة التي أَجمَعَت عليها الصحابة ومَن بعدهم من خيار التابعين ، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان ، وهي عقيدة جملة أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القُشَيري في أول رسالته .

---

(١) قال رضي الله عنه : وهو من ذرية أبي موسى الأشعري الصحابي رضي الله عنه . وكان على رأس المائة الثالثة ، وحُكِيَ أنه المجدد لذلك القرن .

وهي بحمد الله عقيدتنا ، وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي ، وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا[١]، وكان الإمام المهاجر إلى الله جد السادة المذكورين سيدي : (أحمد بن عيسى بن محمد بن علي ابن الإمام جعفر الصادق) رضي الله عنهم لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء[٢] واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها ولم يزل - نفع الله تعالى به - يتنقل في الأرض[٣]، حتى أتى أرض (حضرموت) فأقام بها إلى أن توفي ، فبارك الله في عقبه ، حتى اشتهر منهم الجم الغفير[٤] بالعلم والعبادة والولاية

---

(١) قال رضي الله عنه : **ويُعرف هذا بالتتبع ، إذا تتبع سيرهم وعقائدهم يجدهم كذلك . قال : وكان ظهور أبي الحسن الأشعري في وقت الشيخ أحمد بن عيسى وكان على عقيدة أسلافه .**

(٢) قال رضي الله عنه : **في البصرة وكانت وطنه ، فخرج منها في زمن القرامطة سنة ٣١٧ هـ، وكانت وفاته ٣٤٥ هـ وقبر في الحُسَيِّسَة .**

(٣) قال رضي الله عنه : **لأنه خرج من البصرة ، وهي من العراق ، حتى إنه مَرَّ بمكة ولم يَتَأَتَّ له ما قصد .**

(٤) قال رضي الله عنه : **أي على ما دلت عليه سيرهم وأقوالهم وما ذَكَره عنهم المترجمون ، وإلا فالعقائد في القلوب ، لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وحده . قال : ومذهب الصوفية أول من أظهره واشتهر به الإمام جعفر الصادق ، وله=**

والمعرفة ، ولم يعرض لهم ما عرض لجماعات من أهل البيت النبوي ، من انتحال البدع واتباع الأهواء المضلة ببركات نية هذا الإمام المؤتمن وفراره بدينه من مواضع الفتن ، فالله تعالى يجزيه عنا أفضل ما جزى والداً عن ولده ، ويرفع درجته مع آبائه الكرام في عليين ، ويُلحقنا بهم في خير وعافية غير مُبَدِّلين ولا مفتونين إنه أرحم الراحمين(١) . والماتريدية كالأشعرية في جميع ما تقدم(٢) .

وينبغي لكل مؤمن أن يُحَصِّن مُعتقدَه بحفظ عقيدة من عقائد الأئمة المُجمَع على جلالتهم ورسوخهم في العلم . ولا أحسب مبتغي ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشُّبَه ، سالمة من الأشياء الموهمة مثل عقيدة

=فيه كتاب يسمى : ((التعرف)) وهو مشروح . وكنا سمعناه ، إلا أنَّ فيه كلام في دقائق العقائد فتركناه لذلك .

(١) قال الأحسائي : وسمعت سيدنا غير مرة يقول : اثنان لهما أكبر المنة على آل أبي علوي : الشيخ أحمد بن عيسى خرج بهم من الفتن والبدع وسلَّمهم من ذلك ، والفقيه المقدم حيث كانوا حاملين السلاح فَتَفَقَّرَ وكسر السيف ، وقال : الفقر خير . فسَلَّمَهم من العمومية وحمل السلاح .

(٢) قال ﷺ هم جماعة من الحنفية ، وهم كالأشعرية ، إلا في مجالس قريبة اختلفوا فيها ، لكن الإختلاف لفظي .

الإمام الغزالي ﷺ التي أوردها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الإحياء، فعليك بها، فإن تشوَّفتَ إلى مزيد فانظر في الرسالة القدسية التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور.

ولا تتوغل في علم الكلام، ولا تُكثِر من الخوض فيه لمجرد طلب التحقيق في المعرفة، فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم، ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسلوك طريقه؛ وهي التزام التقوى ظاهراً وباطناً، وتدبر الآيات والأخبار، والنظر في ملكوت السماوات والأرض على قصد الاعتبار، وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافاتها بحُسْن الرياضة، وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذِّكْر والفِكْر، والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر. فهذا سبيل التحصيل إن سلكتَهُ عثرتَ - إن شاء الله تعالى - على المطلوب، وظفرت بالأمر المرغوب، والصوفية إنما جاهدوا نفوسهم وبالغوا في رياضتها وقطعوها عن عاداتها ومألوفاتها لعلمهم بتوقف حصول كمال المعرفة على ذلك، وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقق بمقام العبودية الذي هو بغية العارفين وأمنية المحققين رضي الله عنهم أجمعين.

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بأداء الفرائض واجتناب المحارم والإكثار من النوافل . فإنك إن فعلت ذلك مخلصاً لوجه الله الكريم حَصَلت على غاية القرب من الله ، وخُلِعَت عليك خلعة المحبة التي تصير عندها جميع حركاتك وسكناتك لله وبالله ، وهي خلعة الولاية بل خلعة الخلافة ، وقد أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله فيما يرويه عن ربه إن الله تعالى قال : ((ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يُبصِر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددتُ في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ، ولا بد له من الموت)) .

فانظر - رحمك الله - إلى ما انطوى عليه هذا الحديث القدسي من الأسرار والمعارف ، وتأمل ما أَومَأَ إليه من الدقائق واللطائف ، وما وصل هذا العبد الموفَّق إلى هذه المرتبة العظيمة التي صار فيها ما يحبه محبوباً لله وما يكرهه مكروهاً عند الله ؛ إلا بأداء ما فرضه عليه والإكثار من النوافل ابتغاء الزلفى لديه ، فالسباق السباق ؛ إن كانت لك همة في الوصول إلى مراتب

الكمال ورغبة في بلوغ درجات الرجال ، فقد وَضَحَ لك الطريق وبدا لك شعاع التحقيق .

واعلم أن الله قد جعل بفضله ورحمته في النوافل جبراً لما يقع من الخلل في الفرائض ، ولكن لا يُجبر خلل الفريضة إلا بنفل من نوعها كالصلاة بالصلاة ، والصيام بالصيام ، والفرض هو الأصل والنفل تابع له ، والذي يؤدي الفرائض ويجتنب المحارم ولا يتنفل أحسن حالاً ممن يتعاطى النوافل ويقع في إهمال بعض الفرائض ، فإياك أن تُعرِض عن شيء من الفرائض اشتغالاً بشيء من النوافل فتأثم بترك الفريضة ، ولا يتقبل الله منك النافلة وتقع في ذلك مثل من يشتغل بتحصيل العلم الذي هو في حقه فضيلة ويترك الاشتغال بتحصيل ما هو عليه من العلم فريضة في ظاهره وباطنه ، ومن يقعد عن الكسب مع القدرة عليه اشتغالاً بنوافل العبادات ويترك عياله يتكففون الناس ، فقس على هاتين الصورتين ما عداهما مما في معناهما .

واعلم أنك لا تصل إلى القيام بامتثال ما فرض الله عليك من طاعته واجتناب ما حرَّم الله عليك من معصيته وإلى العمل بما شرع لك من النوافل التي تقربك إليه زلفى إلا بالعلم ، فعليك بطلبه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) .

وبالعلم تعرف كون الواجب واجباً والمندوب مندوباً والمحرم محرماً ، وتعرف كيف تؤدي الواجب وتفعل المندوب وتترك المحرم ، فإذن لا بد لك من العلم ولا غنى لك عنه ، والعمل به مدار سعادتك في الدنيا والآخرة .

واعلم أن من عَبَدَ اللهَ بغير علم كان الضرر العائد عليه بسبب عبادته أكثر من النفع الحاصل له بها ، وكم من عابد قد أتعب نفسه في العبادة وهو مع ذلك مصرٌّ على معصيةٍ يرى أنها طاعة أو أنها غير معصية .

وقد حكى الشيخ العارف بالله محمد بن عربي في باب الوصايا من الفتوحات عن رجل من أهل المغرب أنه كان كثير الاجتهاد في العبادة ، وأنه اشترى أَتَاناً ولم يستعملها في شيء ، فسأله إنسان عن سبب إمساكها ، قال : ما أمسَكْتُها إلا لأحصن بها فرجي ! وكان لا يعلم تحريم إتيان البهائم ، فلما عرَّفه بتحريمه أشفق وبكى بكاءً شديداً . انتهت الحكاية بمعناها .

والعلم الواجب على كل مسلم هو أن يعلم وجوب جميع الفرائض التي فرضهن الله عليه وتحريم جميع المحرمات التي حرمهن الله عليه .

وأما العلم بكيفية فعل الشيء الواجب فلا يجب إلا عند إرادة مباشرته ، فمن بَلَغَ أو أَسْلَمَ في شهر المحرم مثلاً كان الواجب عليه فوراً أن يتعلم معنى الشهادتين وينطق بهما ، ويتعلم وجوب الصلوات الخمس وما يجب من معرفة أركانها وأحكامها ، ومن الواجب عليه أن يعرف وجوب الصوم

والزكاة والحج وغيرها من الواجبات العينية ، ويعرف تحريم الزنا وشرب الخمر وأخذ أموال الناس بالباطل وغيرها من المحرمات الشرعية ، ولكن لا يجب عليه أن يتعلم كيفية الصيام والحج إلا عند مجيء رمضان وإرادة الحج ، ولا كيفية الزكاة إلا حتى يملك مالاً يُزكَّى ويجيء وقت إخراج الزكاة والله أعلم .

والمحرمات والواجبات العينية معروفة بين المسلمين لا تكاد تخفى ، وإنما المهم معرفة الأحكام .

نعم ولا يكفي إلا أن يتلقى جميع ذلك من عالِم يخشى الله ويدين بالحق . والعامة تخطئ وتصيب ، فإياك أن تفعل ما يفعلونه وتترك ما يتركونه اقتداء بهم ، فإن الاقتداء لا يصح إلا بالعلماء العاملين ، وقد عزَّ اليوم عالِمٌ يعمل بعلمه . فإذا رأيت العالِم في هذا الزمان يفعل شيئاً أو يتركه مما يُجهل كونه حقاً أو باطلاً ، فلا تكتفي بمجرد رؤيته في الفعل أو الترك حتى تسأله عن وجه ذلك في الشرع وحكمه من الدين ، ولا يحتاج المسلم في تحصيل ما هو فرض عليه من العلم إلى طول مدة ، ولا يكاد تلحقه مشقة في ذلك لسهولته ، ويكفي الطالب الفَطِن في تعلم ذلك أن يجلس مع العالِم المُتقِن ساعة أو ساعتين من زمان . وقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب على منبره فسأله أن يعلمه مما علمه الله ، فنزل عن منبره فعَلَّمَه ثم صعد المنبر فأتم خطبته .

وعلى الجملة فمن أراد أن يَسلَم ويغنم فعليه أن لا يدخل في شيء ولا يقيم على فعل شيء قد دخل فيه حتى يعلم ما حُكْم الله في ذلك الشيء من الوجوب أو الندب أو الإباحة أو التحريم ، فجميع الأشياء لا تخلو عن أحد هذه الأمور الأربعة، والأشبه أن هذا الأمر واجب على كل مسلم .

ثم إن المؤمنين ينقسمون إلى عموم وخصوص ، فالعموم قد يقعون في ترك الواجبات وفعل المحرمات ، وأحسنهم من يبادر بالتوبة والاستغفار ، ولا يحرصون على فعل النوافل وينهمكون في المباحات ، وأما الخصوص فيؤدون الواجبات ويتركون المحرمات بكل حال ، ويحافظون على فعل المندوبات ويقتصرون من المباحات على ما يكون وسيلة إلى القيام بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وبالله التوفيق .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بلزوم النظافة ظاهراً وباطناً، فإنَّ من كَمُلَت نظافته صار بروحه وسريرته مَلَكاً روحانياً ، وإن كان بجسمه وصورته بشراً جسمانيّاً . وقد قال رسول الله ﷺ: ((بُني الدين على النظافة)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إنَّ الله نظيف يحب النظافة)) .

وتحصل النظافة الباطنة بتزكية النفس عن رذائل الأخلاق ؛ كالكِبْر والرياء والحسد وحب الدنيا وأخواتها ، وتحليتها بمكارم الأخلاق ؛ كالتواضع والحياء والإخلاص والسخاء وأخواتها .

وحقائق هذه الأخلاق وطريق الخلاص من رذائلها وسبيل التحصيل لفضائلها قد جمعه الإمام الغزالي في الشطر الثاني من الإحياء فعليك بمعرفة ذلك واستعماله .

وأما النظافة الظاهرة فتحصل بترك المخالفات وفعل الموافقات .

فمن زيَّنَ ظاهره بملازمة الأعمال الصالحة ، وعَمَر باطنه بالتخلق بالأخلاق المحمودة ، فقد كَمُلَت نظافته ؛ وإلا فله نصيب منها بقدر بُعده عن منكرات الأخلاق والأعمال وقُربه من محاسنها .

ومن أقسام النظافة الظاهرة ما أرشد إليه الشرع من أخذ الفضلات وإزالة الأدناس ، والتطهر من الأحداث والأنجاس .

فمن ذلك : إزالة شعر العانة ، ونتف الإبط أو حلقه ، وقص الشارب ، وتقليم الظفر ، ويستحب أن يبتدئ من سبابة اليمنى إلى خنصرها ومن خنصر اليسرى إلى إبهامها ويختم بإبهام اليمنى ، وأما الرِّجْلان فيبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كالتخليل في الوضوء ، ويُكره تأخير فعل هذه الأشياء عن كل أربعين يوماً .

ومن ذلك إزالة الأوساخ التي تجتمع في معاطف البدن وأغواره بالماء ، وما يجتمع من الرَّمَص على العينين ، ومن القذر في المنخرين ، ومن الطعام بين الأسنان بالخلال .

وعليك تنظيف فمك بالسواك ، وكونه من الأراك أولى ، ويتأكد عند إرادة الدخول في العبادات ، وتنظيف ثيابك بالماء كلما تدنست من غير إفراط وتشبه بالمترفين .

ومن السنة التابعة للنظافة : دهن شعر اللحية ، وترجيلها بالمشط ، وكذا كل شعر يقصد تبقيته ، والاكتحال بالإثمد في كل عين ثلاثاً ، وكان عليه السلام يكتحل في كل ليلة كذلك ، واستعمال الطيب والإكثار منه فإنه يستر الروائح الكريهة الثائرة من الإنسان وغيره ، ويتأكد عند حضور الجمعة وسائر

جموع الإسلام ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه ويكثر منه ، وربما رُئي بريق الطيب على مفرق رأسه وذلك ليُستَنَّ به ، وإلا فقد كان عليه السلام له طيب في جسده يستغني به عن الطيب ، حتى أنَّهم كانوا يجمعون عرقه فيتطيبون به ، ويستحب أن يتطيب الرجل بما يَظهر ريحه ويَخفى لونه والمرأة بضد ذلك .

وعليك بالإحتراز عن النجاسات كلها ، فإذا أصابك شيء منها مع الرطوبة فبادر بغسله ، وإذا أصابتك جنابة فبادر بالاغتسال في الحال، فإن الجُنُب مطرود عن حضرة الله ، ولذلك حَرُم عليه اللُّبْثُ في المسجد وتلاوة القرآن .

وقد ورد أن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه جُنُب ، وإذا ذهبت الملائكة جاءت الشياطين من كل ناحية .

واحذر أن تأكل أو تنام وأنت جنب فتتعرض بذلك لآفات عديدة ، فإن عجزتَ عن الإغتسال في الحال فلا تَعجز عن غسل الفرج والوضوء .

وعليك بتجديد الوضوء لكل فريضة ، واجتهد أن لا تَزالَ على طهارة ، وجدد الوضوء كلما أحدَثْتَ ؛ فإن الوضوء سلاح المؤمن ، ومتى كان السلاح حاضراً لم يتجاسر العدو على الدنوِّ منك ، وقد جاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه يسأله أن يعلمه الكيمياء ، فأمره الشيخ أن يقيم عنده سنة ، وشَرَطَ عليه أن يتوضأ كلما أحدث ويصلي ركعتين ، ووعده التعليم بعد ذلك ،

فلما كَمُلت السنة ذهب ذلك الرجل إلى بئر يستقي منها ماء ، فطلع الدلو مملوءاً ذهباً أو فضة ، فصبّه في البئر ؛ زهداً فيه وجاء إلى الشيخ فأخبره ، فقال له الشيخ : قد صرت الآن كلك كيمياء ، ونصَّبَه داعياً إلى الله تعالى .

وعليك بصلاة ركعتين كلما توضأت . فإن لم تقدر أن تداوم على الطهارة فاجتهد أن لا تدعها عند الجلوس في المسجد وقراءة القرآن والعلم والقعود للذكر ونحو ذلك من العبادات .

وإذا توضأت أو اغتسلت فاحذر أن تقتصر على الفرض من ذلك ، بل ينبغي أن تحافظ على السنن والآداب على نحو ما بلغك من غسله ووضوئه عليه الصلاة والسلام .

وينبغي أن تغتسل في بعض الأوقات بنية النظافة وإن لم تصبك جنابة ، وقد ورد الحث في السنة على الاغتسال يوم الجمعة لحاضريها ، فعليك به وهو كاف في التنظيف ، لكن في بعض الأوقات وفي حق بعض الأشخاص .

وإذا فرغْتَ من الوضوء وكذا الغسل فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالمحافظة على آداب السنة ظاهراً وباطناً وعادة وعبادة تكمُل لك المتابعة ، ويتم لك الاقتداء برسول الله ﷺ رسول الرحمة ونبي الهدى .

وإن سَرَّك أن تكون من الصديقين فلا تدخل في شيء من العادات - فضلاً عن العبادات - حتى تبحث وتنظر هل دخل فيه رسول الله ﷺ أو أحد من الصحابة الأئمة ، فإن لم تجدهم دخلوا فيه مع القدرة على ذلك فأَمسِك عنه وإن شملته الإباحة ، فإنهم ما أمسكوا عنه إلا لخير علموه في تركه ، وإن رأيتهم دخلوا فيه فاعرف أولاً كيفية دخولهم فيه واقتد بهم في ذلك ، وقد أمسك بعض العلماء عن أكل البطيخ وقال : قد بَلَغَني أنه عليه الصلاة والسلام أكله ، ولكن لم يبلُغْني كيفية تناوله له فلذلك أتركه .

وقد تقدم فيما قبل هذا الفصل ويأتي فيما بعده إن شاء الله تعالى نبذة من الآداب التي تتأكد المحافظة عليها في العبادات .

ونذكر الآن في هذا الفصل نبذة من الآداب التي ينبغي المحافظة عليها في العادات فنقول :

اعلم أنَّ من حافظ في عاداته على الآداب النبوية حفظه الله من التعدي إلى ما وراءها من الأعمال والأخلاق الردية ، وحصل على المصالح والمنافع

الدينية والدنيوية التي جعلها الله بحكمته في تلك الأمور العادية ، ومن سرَّه أن تكمُل له الحرية والطهارة من أدناس الحظوظ البشرية ؛ فليجعل حركاته وسكناته في ظاهره وباطنه مضبوطةً بالقانون الشرعي ، تابعةً لإشارة الشرع والعقل ، وكيفما وقع ذم العادات على لسان الصوفية فالمقصود به الدخول فيها على مقتضى الشهوة والهوى ، والاسترسال معها دون محافظة على الآداب الشرعية .

وقد قال حجة الإسلام في (الأربعين الأصل) بعد أن حث على متابعة الرسول ونبَّه على شيء من أسرارها : هذا كله في العادات ، وأما في العبادات فلا أعرف لتارك السنة وجهاً إلا كفراً خفياً أو حمقاً جلياً فاعرف ذلك .

واعلم أنه ينبغي لك أن تُصدِّر جميع أمورك باسم الله ، فإن نسيتَ أن تُسَمِّي في أول الأمر فقل - إذا تذكَّرتَ - : باسم الله في أوله وآخره .

واجتهد أن لا تدخل في شيء من العادات إلا بنية صالحة ؛ فإذا لبست ثوبك فانْوِ به ستر عورتك التي أمرك الله بسترها ، وابدأ باليمين في نحو القميص وأخِّرها في النزع ، وارفع إزارك وقميصك إلى نصف الساق ، فإن أَبَيْتَ فلا تجاوِزَنَّ الكعب ، وللمرأة إرسال ثوبها على الأرض من كل ناحية قريباً من ثلثي ذراع ، واجعل كُمَّ قميصك إلى الرسغ أو إلى أطراف الأصابع وإن زدت فلا تسرف ، وقد كان كم رسول الله ﷺ إلى الرُّسْغ ، وقطع عليٌّ

كُمَّ قميصٍ له إلى أطراف الأصابع ، ولا تتخذ من الملابس إلا ما تحتاج إلى لبسه ، ولا تَتَحَرَّ أنفَسَ الملبوس ولا أخشنه وتوسط في ذلك ، ولا تكشف عورتك ولا شيئاً منها لغير حاجة ، ومتى دعت الحاجة إلى كشف شيء منها فقل عنده : بسم الله الذي لا إله إلا هو . وقل إذا لبست ثوبك : ((الحمد لله الذي كساني هذا ورَزَقَنِيه من غير حولٍ مني ولا قوة)) .

ومن السنة لبس العمامة ، وليس من السنة توسيع الأكمام وكبر العمائم .

وعليك أن لا تنطق إلا بخير ، وكل كلام لا يحل النطق به يحرم عليك الاستماع إليه ، وإذا تكلمت فرتل كلامك ورتبه ، واصغ إلى حديث من حدثك ولا تقطعن على أحد كلامه إلا إن كان من الكلام الذي يسخط الله كالغِيبة ، واحذر المداخلة في الكلام ، ولا تُظهِر لمن حدَّثَك حَديثاً تعرفه أنك تعرفه ؛ فإنَّ ذلك مما يوحش الجليس ، وإذا حدثك إنسان بكلام أو حكى لك حكاية على غير الوجه المنقول فلا تقل له : ليس كما تقول ولكنه كذا وكذا ، فإن تعلق ذلك بأمر الدين فعرفه الصواب برفق .

وإياك والخوضَ فيما لا يعنيك وإكثارَ الحلف بالله ، ولا تحلف به تعالى إلا صادقاً عند الحاجة ، واحذر الكذب بجميع أنواعه فإنه مناقض للإيمان .

وإياك والغِيبةَ والنميمة والإكثارَ من المزاح ، واجتنب سائر الكلام القبيح ، وأمسك عن رديء الكلام كما تُمسِك عن مذمومه ، وتفكر فيما تقول قبل أن تقول فإن كان خيراً فقل ، وإلا فاصمت .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذِكْر الله أو أَمْر بمعروف أو نَهْي عن منكر)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((رحم الله امرءاً قال خيراً فَغَنِم ، أو سكت عن شر فسَلِم)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة ما يُلقي لها بالاً يهوي بها أبعد من الثريا)) .

وعليك أن لا تنقُل قدميك إلا إلى خير أو في حاجة ، وإذا مشَيتَ فلا تستعجل ، ولا تختال في مشيتك ولا تتبختر فتسقط بذلك من عين الله ، ولا تكره أن يُمشَى أمامك ، ولا تحب أن يوطأ عقبك ويمشى خلفك فإن ذلك من أخلاق المتكبرين ، ولا تُكثر الالتفات وأنت تمشي ، ولا تقف في طريقك لمجرد الفضول ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا مشى يتقلَّع كأنما ينحط من صَبَب ، وإذا نودي من ورائه وقف ولم يلتفت .

وعليك إذا جلست بالتحفظ على عورتك ، واجلس مستقبلاً القبلة على هيئة الخشوع والوقار ، ولا تُكثر الاضطراب والتحرك والقيام من مجلسك .

وإياك والإكثار من الحكّ والتمطط والتجشُّؤ والتثاؤب في وجوه الناس ، وإذا أخذك التثاؤب فضع يدك اليسرى على فيك .

وإياك وكثرة الضحك ؛ فإنه يميت القلب ، وإن استطعت أن تجعل ضحكك التبسم فافعل ، ولا تَقُم من مجلسك حتى تقول : ((سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)) ، فقد ورد أن من قال ذلك غُفر له ما كان في مجلسه ذلك .

وإذا أردت النوم فاضطجع على جنبك الأيمن مستقبلاً للقبلة ، تائباً من جميع الذنوب ، عازماً على قيام الليل قائلاً : باسمك اللّٰهُمَّ ربي وَضَعتُ جَنْبي وباسمك أرفعُه فاغفر لي ذنبي ، اللّٰهُمَّ قِني عذابَك يوم تجمع عبادك (ثلاثاً) ، استغفر الله العظيم الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاثاً) ، وقل : سبحان الله (ثلاثاً وثلاثين) مرة ، والحمد لله كذلك ، والله أكبر (أربعاً وثلاثين) .

وللنوم أذكار غير هذه فلا تغفل عنها .

ولا تَنَم إلا على طهارة ، وليأخذك النوم وأنت على ذِكْر الله تعالى ، ولا تتعود النوم على الفرش الوطيئة فيدعوك ذلك إلى كثرة النوم وترك القيام بالليل ، فيعظم حزنك وتحسرك إذا رأيت ما أعد الله للقائمين . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((يُحشر الناس في صعيد واحد ، فينادي مناد : أين الذين

كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((قالت أم سليمان بن داوود عليه السلام له : يا بني لا تكثر النوم بالليل ، فإن من يكثر النوم بالليل يأتي فقيراً يوم القيامة)) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله : إعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكون نومك فيها أكثر من ثمان ساعات ، فيكفيك إن عشتَ ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهي الثلث .

ومتى تَعَذَّر عليك في بعض المواضع الجمع بين التيامن والإستقبال ، فنم على يمينك واجتهد أن لا تستدبر القبلة ، وإذا قصدت باضطجاعك الإستراحة دون النوم فلا بأس أن تضطجع على الأيسر .

وفي النوم وقت القيلولة معونة على قيام الليل فعليك به .

واحذر أن تنام بعد صلاة الصبح فإنه يمنع الرزق ، أو بعد صلاة العصر فإنه يورث الجنون ، أو قبل صلاة العشاء فإنه يورث الأرق .

وإذا رأيت في منامك ما يسرُّك من الرؤيا ؛ فاحمد الله وأَوِّله بخير مناسب يكون كذلك ، وإذا رأيت ما يسوءك فتعوذ بالله من الشر واتفل عن يسارك

ثلاثاً ، وتحوَّل إلى جنبك الآخر ، ولا تُحدِّث بها أحداً فإنها لا تضرك ، وإذا قَصَّ عليك أحد الرؤيا فلا تُؤَوِّلها حتى يسأل منك ذلك أو تستأذنه فيه .

وإذا أكلت أو شربت فابدأ باسم الله واختم بالحمد لله ، وكُلْ واشربْ بيمينك ، وإذا قُدِّم إليك طعام فقل : اللّٰهُمَّ بارك لنا فيما رزقتنا وأطعمنا خيراً منه ، إلا أن يكون لَبَناً فقل : وَزِدْنا منه فإنه لا شيء خير منه كما ورد .

وعليك بغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، وبتصغير اللقمة ، وتدقيق المَضْغ ، ولا تمدَّنَّ يدك إلى الطعام حتى تبتلع ما في فمك ، وكُلْ من نواحي القصعة ولا تأكل من وسطها ، فإن البركة تنزل عليه ، وإذا سَقَطَت لقمتك فأَمِط ما بها من أذى ثم كُلْهَا ولا تَدَعْها للشيطان ، والعَق أصابعك والقصعة بعد الفراغ ، وكُل بالسبَّابة والوسطى والإبهام ، وإن احتجت إلى الاستعانة بالبقية في نحو الأرز فلا بأس .

وإذا أكلتَ مع غيرك فكُلْ مما يليك إلا الفاكهة ، ولا تكثر النظر إلى الحاضرين في حال أكْلِهم ، وتحدث معهم بما يناسب الحال ، ولا تتكلم والطعام في فمك ، وإن غلبك بصاق أو مخاط فَالْوِ برأسك عنهم أو قم إلى موضع آخر .

وإذا أكلتَ عند قوم فاثْنِ عليهم وادع لهم بخير وقل بعد الفراغ من الأكل : الحمد لله . اللّٰهُمَّ كما أطعمتني طيباً فاستعملني صالحاً ، الحمد لله الذي

أطعمني هذا الطعام ورَزَقَنِيه من غير حول مني ولا قوة . فمن قال ذلك غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ولا تتكلف الإدام لكل طعام ، ولا تَعِب طعاماً قط وإن كان رديئاً . ولا تجعل همتك أكل الطيبات وتناول الشهوات فتكون من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : ((شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم وإنما همتهم ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام)) .

وقال علي - كرم الله وجهه - : من كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منها .

واجتهد أن لا تُدخِل بطنك إلا حلالاً ؛ فإنَّ من أَكَلَ الحلال أربعين يوماً استنار قلبه ، وجَرَت منه ينابيع الحكمة على لسانه ، وأكرمه الله بالزهد في الدنيا ، وصفت سريرته ، وحسنت معاملته مع ربه ، ومن أكل الحرام والشبهات كان على الضد من ذلك كله .

وإياك والاتساع في الأكل وكثرة الشِّبَع ، فإنه من الحلال مبدأ كل شر . ومِن آفاته قسوة القلب وفساد الفطنة وتشويش الفكرة والكسل عن العبادة إلى غير ذلك من الآفات .

وسبيل الإقتصاد في الأكل أن تُمسِك عن الطعام وأنت تشتهيه ولا تتناوله حتى تشتهيه بشهوة صادقة .

وعلامة صدق الشهوة أن تشتهي كل طعام .

وإذا شربت الماء فمُصَّه ولا تَعُبَّه ، واشرب في ثلاثة أنفاس ، ولا تتنفس في الإناء ولا تشرب من ثُلْمَتِه ، ولا تشرب وأنت قائم ولا من فم السِّقَاء ، فإن لم تجد إناء فاشرب على يدك وقل بعد الشرب : الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا .

وإذا أَتَيتَ أهلك فقل : بسم الله ، اللّٰهُمَّ جنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا ، واستر نفسك وأهلك بثوبك .

وعليك بالسكينة والهدوء ، وإذا أحسَسْتَ بالإنزال فاقرأ في نفسك من غير أن تحرك لسانك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ الآية [الفرقان : ٥٤].

والأفضل للناسك من التزوج وتركه ما كان منهما أسلم لدينه وأصلح لقلبه وأجمع لفكره ، ويُكره كراهة شديدة لمن لا زوجة له أن يتفكر في شأن النساء التفكير الذي يحمل النفس على الميل إليهن ، ومن بُلي بذلك ولم يقدر

على قمعه بوظائف العبادات ؛ فعليه بالتزوج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه يكسر الشهوة .

وإذا قصدتَ بيت الخلاء لبول أو غائط فالبس نَعلَيْك واستر رأسك وقدِّم رِجْلَك اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ، وقل عند إرادة الدخول : ((بسم الله ، اللّهُمَّ إني أعوذ بك من الخُبثِ والخبائث)) ، وعند الخروج : ((غُفرانك ، الحمد لله الذي أَذْهَبَ عني الأذى وعافاني)) . ولا تذكر الله على تلك الحالة إلا بقلبك .

ولا تستصحب شيئاً مكتوباً عليه اسمه تعالى ؛ إجلالاً له ، ولا تعبث ولا تتكلم إلا لضرورة ولا ترفع من ثوبك إلا القَدْر الذي يُخشى عليه التنجس ، واستتر بحيث لا يراك شخص ، وابعد بحيث لا يُسمع منك صوت ولا يُشم لك رائحة ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ببول ولا بغائط ، وقد يتعذر فعل ذلك في بعض الأبنية فيُغتفر للمشقة ، ولا تَبُل في الماء الراكد وإن كان كثيراً ؛ إلا عند الحاجة ، ولا على الأرض الصلبة ولا في مهاب الريح ، كل ذلك احترازاً من البول الذي عامة عذاب القبر منه ، فعليك بالاستبراء منه جهدك من غير خروج إلى حد الوسوسة ، ويحصل بالتنحنح ونتر الذَّكَر وإمرار اليد على أسفله برفق ، واستنج بالحجر ثم بالماء ، فإن اقتصرت على أحدهما فالماء أفضل ، وقَدِّم القُبُل في الماء وأخِّره في الحَجَر ، وقل بعد الاستنجاء : ((اللّهُمَّ حصِّن فرجي من الفواحش وطهِّر قلبي من النفاق)) .

وعليك بالتيامن في كل شأنك إلا في غسل النجاسات وإزالة الأقذار والدخول في المواضع التي من شأنها الاستقذار ، فينبغي أن يفعل ذلك كله باليسار.

وإذا عطست فاخفض بها صوتك واستر فمك وقل : الحمد لله رب العالمين ، ولا تبصق إلا عن شمالك أو تحت قدمك اليسرى .

وعليك بشَدِّ أفواه الأسقية ، وتخمير الأواني ، وإغلاق باب المنزل لا سيما عند النوم وعند الخروج منه ، ولا تنم حتى تطفئ كل نار في البيت من سراج وغيره أو تواريها ، وإذا أصبح الإناء مكشوفاً أو السقاء مفتوحاً فلا تشرب الماء الذي فيه ولا تستعمله إلا فيما يستعمل فيه الماء المتنجس ، وهو طاهر ولكن في استعماله خطر ، وقد ذَكَر الشيخ ابن عربي في الفتوحات : أن في السنة ليلة مبهمة تنزل فيها الأدواء فلا تصادف إناء مكشوفاً ولا سقاءً محلولاً إلا دخلته ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بشد الأسقية وتخمير الآنية ، وإذا لم تجد ما تغطي به الإناء فاجعل عليه عوداً ، واذكر اسم الله عليه وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بطول المكث وكثرة الجلوس في المسجد بنيَّة الاعتكاف ؛ فإن المساجد بيوت الله وأحب البقاع إليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((المسجد بيت كل تقي)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)) ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] ، وعَدَّه عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فقال : ((ورجلٌ قلبه معلَّق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه)) ، ولكن عليك حال الجلوس فيه بالأدب والإحترام والإمساك عن فضول الكلام فضلاً عن المحظور منه والحرام ، فإن بدا لك التحدث بشيء من أمور الدنيا فابرز إلى خارج المسجد ، ولا تشتغل في المسجد إلا بالعبادة فقط ؛ لأنه لم يُبْنَ إلا ليُعبد الله فيه . قال الله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ ، إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور : ٣٦-٣٨].

وإذا دخلت المسجد فقَدِّم رجلك اليمنى وقل : ((بسم الله والصلاة على رسول الله اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك)) ، ولا تجلس حتى تصلي ركعتين ، فإن لم تتمكن من الصلاة فقل أربع مرات : ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) ، وإذا خرجت منه فقدِّم رجلك

اليسـرى وقل ما تَقَدَّم واجعل بدل ((أبـواب رحمتـك)) ((أبـواب فضـلك)) وزد : ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجنوده)) .

وإذا سمعت المؤذن فقل مثل ما يقول إلا في الحيعلتين فقل : ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) ، وفي التثويب صَدَقْتَ وبَررتَ ، فإذا فرغتَ من جوابه فصَلِّ على النبي ﷺ ثم قل : ((اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمـة آت سـيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)) .

وأكْثِر من الدعاء بـين الأذان والإقامـة ؛ لقـوله عليـه الصـلاة والسـلام : ((الدعاء بين الأذانين لا يُرَد)) ، ومن الدعاء الوارد في هـذا الوقـت ((اللَّهُمَّ إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة)) ، وقد ورد الحث في السـنة على هـذا الدعاء في غير هذا الوقت فعليك به فإنه من أجمع الأدعية وأفضلها .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالمبادرة بالصلاة أول الوقت بحيث لا يؤذِّن المؤذن لكل مكتوبة إلا وقد توضَّأتَ وحضرتَ في المسجد ، فإن لم تفعل ذلك فلا أقل من أن تأخذ في الاستعداد للصلاة من حين تسمع الأذان . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله)) .

وعليك بالمحافظة على السنن الراتبة التي أرشدك الشرع إلى فعلها قبل المكتوبات وبعدها ، واحذر أن تتساهل بترك شيء منها ، وما فاتك منها بعذر فبادر بقضائه .

وعليك بالخشوع في صلاتك ، وحضور القلب ، وتحسين القيام ، وترتيل القراءة وتدبرها ، وإتمام الركوع والسجود وسائر الأركان ، والمحافظة على السنن والآداب التي نَدَبَكَ الشرع إلى العمل بها في صلاتك ، والإحتراز عما يوجب نقصاً في الصلاة أو يفوت به وجود الكمال ؛ فإنك إذا فعلت ذلك خَرَجَت صلاتك بيضاء مُسفِرَة تقول : حَفِظَك اللهُ كما حَفِظْتَنِي ، وإلا خَرَجَت سوداء مظلمة تقول : ضَيَّعَك الله كما ضَيَّعتَني . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((ليس للمرء من صلاته إلا ما عَقَل منها)) . وقال الحسن البصري رحمه الله : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع .

والشيطان لعنه الله حريص على أن يُشغل المؤمن عن صلاته ، حتى إنه يفتح له عند قيامه إلى الصلاة أبواباً من الحوائج ويُذَكِّره أشياء من الأمور التي تهمه في دنياه لم تكن له قبل الصلاة على بال ، وقَصْد اللعين بذلك أن يُشغله في صلاته عن الإقبال على الله والحضور معه فيها ، وإذا لم يحصل له ذلك فاته الإقبال على الله ، وربما خرج من صلاته مأزوراً ، ولذلك استحب العلماء رحمهم الله للمصلي أن يقرأ عند إرادة الدخول في الصلاة : قل أعوذ برب الناس ؛ تحصناً من الشيطان الرجيم .

وينبغي أن لا تداوم في صلاتك على قراءة سورة مخصوصة بعد الفاتحة ، إلا إن ورد الشرع به ، وذلك كقراءة : (آلم السجدة ، وهل أتى على الإنسان) في صبح يوم الجمعة . واحذر أن تداوم في صلاتك على قراءة السور القصيرة كالكافرون والإخلاص والمعوذتين .

وإن كنت إماماً ، فالمصير إلى التخفيف المندوب إليه الإمام إلى حديث معاذ رضي الله عنه وهو أنه أَمَّ قوماً فأطال عليهم جدّاً ، فشكاه رجل منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له عليه الصلاة والسلام: ((أَفَتَّانٌ أنت يا معاذ ، اقرأ بسبح الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى)) .

ومَن نظر في كتب الأثر عرف ما قلناه ، وقد روي أنَّ آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالناس صلاة المغرب قرأ فيها بالمرسلات عرفاً . ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور : ٤٦] .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك إذا صَلَّيتَ خلف إمام أن تُحسِن المتابعة له ؛ فإنما جُعِل الإمامُ ليُؤتَمَّ به ، واحذر أن تقارنه في شيء من أفعال الصلاة، فضلاً عن أن تتقدم عليه . والذي ينبغي ، أن تجعل أفعالك في صلاتك تابعة لأفعاله بالأثر . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((الذي يخفض ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد الشيطان)) .

وعليك بالمبادرة إلى الصف الأول والمزاحمة عليه من غير إيذاء لأحد ، واحذر أن تتأخر عنه مع إمكان التقدم إليه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((لا يزال قوم يتأخرون)) - أي عن الصف الأول - ((حتى يؤخرهم الله)) أي عن فضله ورحمته . وقال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم)) ، وكان صلوات الله عليه وسلامه يستغفر لأهل الصف الأول ثلاثاً وللثاني مرة .

وعليك برصِّ الصفوف وتسويتها . فإن كنت إماماً كان الأمر منك بذلك آكد ، وهذا أمر مهمٌّ في الشرع وأكثر الناس غافلون عنه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على ذلك ويتولى فعله بنفسه ويقول : ((لَتُسَوُّن صفوفكم أو ليُخالِفَنَّ الله بين قلوبكم)) ، وكان يأمر بسدِّ الفُرَج ويقول : ((والذي نفسي

بيده إني لأرى الشيطان يدخل في خلل الصف كأنه الحذَف)) يعني الغنم الصغار .

وعليك بالمحافظة على فعل الصلوات الخمس مع الجماعة والمداومة على ذلك ؛ فإنَّ صلاة الجماعة تفضُل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما في الحديث الصحيح ، واحذر أن تدع الصلاة في الجماعة لغير عذر أو لعذر فاسد . ومهما جئتَ إلى موضع الجماعة فوجدتَها قد صُلِّيَت ، أو قعدتَ في بيتك تبتغي بذلك السلامة في دينك ؛ فينبغي أن تضم إليك من يصلي معك ؛ ليحصل لك ثواب الجماعة وتَسلَم من الوعيد والتهديد الوارد في حق تاركيها ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام : ((لَيَنتَهِينَّ أقوام عن ترك الجماعة أو لأُحَرِّقَنَّ عليهم بيوتهم)) ، وقوله عليه السلام : ((من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يُجِب فلا صلاة له)) ، وقول ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها - يعني صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به على عهد رسول الله ﷺ يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف ، يعني من الكِبَر .

وإذا كان هذا التشديد كله في ترك الجماعة فما ظنك به في ترك الجمعة التي هي فرض عين ، وقد قال رسول الله ﷺ: ((من ترك ثلاث جُمَعٍ تهاوناً طبع الله على قلبه)) ، فإذا وقع لك عذر في ترك جمعة أو جماعة فقدِّر أنَّ في الموضع الذي تقام فيه رجلاً يفرق دنانير على الحاضرين ، فإن نشطتَ للحضور ورغبت

فيه فعذرك غير صحيح واستحي من الله أن يكون غرض الدنيا أعز عليك مما عنده .

واعلم أن العذر الصادق غايته إسقاط الحرج ، وأما الثواب فلا يحصل إلا بالفعل ، (نعم) قد يحصل الثواب لمن تعذَّر عليه الحضور من كل وجه ، كالذي يكون عذره الإسهال المتواتر ، أو الحبس عدواناً ونحو ذلك ، أو لا يتعذر عليه الحضور ولكن يلحق بسببه لمسلم غيره مشقة شديدة، كالذي يكون عذره تمريض الضائع ونحوه ، فصاحب هذا العذر والذي قبله إن قارن عذرهم الحزن والتحسر على ترك الحضور حصل لهم الثواب .

ثم إن المؤمن الكامل لا يدع شيئاً مما يقربه إلى الله وإن كان له في تركه ألف عذر حتى يعلم أن تركه أحب إلى الله من فعله ، وهذا أقل ما يتفق ، ولذلك تحمَّل الكُمَّل من أهل الله في فعل ما يقربهم إلى الله أموراً تعجز عن حملها الجبال الرواسي . وأما من ضعف إيمانه وقَلَّ يقينه وقَصُرت معرفته بالله فلا يعول في ترك ما افترضه الله عليه إلا على سقوط الحرج ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف : ١٩].

وعليك بحمل كل من لك عليه ولاية من ولد وزوجة ومملوك على فعل الصلوات المكتوبة ، فإن امتنع أحد من هؤلاء من فعلها فعليك بوعظه وتخويفه ، فإن تمرَّد أو أصَرَّ على الترك فعليك بضربه وتعنيفه ، فإن إمتنع ولم

ينزجر عن الترك فعليك بمقاطعته ومدابرته ، فإنَّ تارك الصلاة شيطان بعيد عن رحمة الله ، متعرض لغضبه ولعنته ، تَحرُم موالاته وتجب معاداته على كل مسلم ، وكيف لا وقد قال رسول الله ﷺ : ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد أشرك)) ، وقد قال ﷺ : ((لا دين لمن لا صلاة له ، وإنما مثل الصلاة من الدين كمثل الرأس من الجسد)) .

وعليك بالتفرغ يوم الجمعة من جميع أشغال الدنيا ، واجعل هذا اليوم الشريف خالصاً لآخرتك ، فلا تشتغل فيه إلا بمحض الخير ومجرد الإقبال على الله ، وأحسن المراقبة لساعة الإجابة وهي ساعة تكون في كل يوم جمعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً ويستعيذه من شر إلا استجاب الله له .

وعليك بالبكور إلى الجمعة ولو أن تروح إليها قبل الزوال ، وبالقرب من المنبر ، والإنصات للخطبة ، واحذر أن تشتغل عنه بذِكْرٍ أو فِكْرٍ ، فضلاً عن اللغو وحديث النفس ، واستشعر في نفسك أنك مقصود بجميع ما تسمعه من الوعظ والوصية واقرأ بعد السلام وأنت ثانٍ رجليك وقبل أن تتكلم : الفاتحة والإخلاص والمعوذتين (سبعاً سبعاً) ، وقل أيضاً بعد الإنصراف من الصلاة : سبحان الله العظيم وبحمده (مائة مرة) ، ففي الخبر ما يدل على فضل ذلك وبالله التوفيق .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك إن كان لك مال تجب فيه الزكاة بإخراج زكاته طَيِّبَةً بها نفسك قاصداً بها وجه الله ، مبادراً بتمييزها وتفريقها عند حضور وقتها من غير تأخير ، فإن فعلت ذلك دَرَّت عليك البركات وتضاعفت عليك أنواع الخيرات وصار مالك في حرز حصين من جميع الآفات .

وعليك بتمييز الزكاة ثم بتفريقها ، واجتنب ما يفعله بعض أبناء الدنيا ، وذلك أن أحدهم لا يميز الزكاة عن ماله ، ولكن يصير كلما صادف مستحِقاً أعطاه قسطاً وحَسَبهُ حتى يستوفي القدر الواجب ، ولا تأكل من ثمرك وزرعك الذي يجيء نصاباً عند الحصاد بعد بدو صلاحِه حتى تعلم القدر الواجب منه جافاً .

وإن أردت أن تأكل من شجرات معينة ؛ فلا يجب عليك أن تعرف إلا القدر الواجب فيها فقط .

واعلم أن من يحتال في إسقاط الزكاة بهبة ونحوها ، أو يعطيها غير المستحقين مع العلم ، أو يفرقها على مقتضى الهوى ؛ كالذي يخص بإعطائها من يعود عليه منه نفع عاجل ، لا يخرج من الدنيا حتى يعذبه الله بماله ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٦] .

وإذا كان هذا حال من يُخرجها على غير الوجه المشروع ، فكيف يكون حال من لا يُخرج الزكاة رأساً ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ [البقرة : ١٦] .

وقد تقرر أن مانع الزكاة قرين تارك الصلاة في الشر ، وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة وسمَّاهم أهل الردة .

وعليك بإخراج زكاة الفطر عنك وعن كل من تلزمك نفقته ، وذلك إن استطعت .

وعليك بالإكثار من الصدقة ، وبالتصدق على الأرحام المحتاجين وأهل الخير المُقِلّين خصوصاً ، فإن الصدقة تزكو ويزيد ثوابها بوضعها في مثل هذه المواضع .

وعليك بالتصدق بما تحب وبما يعز عليك؛ لتنال البر . قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وبالإيثار على نفسك عند الحاجة ؛ لتصير من المفلحين . **وعليك** بالإسرار بالصدقة ؛ فإن صدقة السر تطفئ غضب الرب . وتتضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفاً ، وتَسلَم من طرق الرياء المفسد للأعمال ، ولا تدع أن تتصدق كل يوم بشيء وإن قلَّ وباكِر به ؛ فإن البلاء لا يتخطى الصدقة .

ولا تخيِّب سائلاً وقف ببابك ولو أن تعطيه تمرة فما دونها ، فإنه هدية الله إليك ، فإن لم تجد ما تعطيه فأحسِن ردَّه بلين من القول وجميل من الوعد ، وإذا أعطيت مسكيناً شيئاً فأظهِر له البِشْرَ والبشاشة ، واستشعر في نفسك أن له المنَّة عليك لقبوله منك عَرَضاً يسيراً حصل لك بسببه من الثواب حظ لو بذلت الدنيا بحذافيرها في مقابله لكنت رابحاً ، وقد ورد أن اللقمة الواحدة يصير ثوابها عند الله أعظم من جبل أحد ، ولا يمنعك من التصدق مخافة الفقر ، فإنَّ ترك التصدق هو الذي يجلب الفقر ، وأما التصدق فهو يجلب الغنى والسعة ، حتى إن الذي تُدْبِر عنه الدنيا لو أخذ يتصدق لعاد المدبر منها مقبلاً إليه وأمثاله معه .

واعلم أن للصدقة منافع عاجلة وآجلة ، فمن منافعها العاجلة أنها تزيد في الرزق والعمر ، وتدفع ميتة السوء ، وتجلب الصحة للجسم والبركة للمال ، ومن منافعها الآجلة أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وتكون ظلاً على رأس صاحبها يوم القيامة ، وستراً له من العذاب إلى غير ذلك من المنافع ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر : ١٣] .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالإكثار من أعمال البِر ، وخصوصاً في شهر رمضان ؛ فإن ثواب النافلة فيه يعدل ثواب الفريضة في غيره ، وأيضاً فإنه يحصل في رمضان من التيسير والنشاط في أعمال البر ما لا يحصل مثله ولا قريب منه في غيره من الشهور ؛ وذلك لأن النفس المتكاسلة عن البر مسجونة بالجوع والعطش ، والشياطين المثَبِّطة عن الخير مُصَفَّدة ، وأبواب النار مغلَّقة ، وأبواب الجنة مفتَّحة ، والمنادي ينادي كل ليلة بأمر الله : يا باغيَ الخير هَلُمَّ ويا باغي الشر أَقصِر .

وينبغي أن لا تعرِّج في هذا الشهر الشريف على غير عمل الآخرة ، ولا تدخل في شيء من أعمال الدنيا إلا إذا كان ضرورياً ، واجعل شغلك بأمر المعاش في غير رمضان وسيلة إلى الفراغ للعبادة فيه ، وخُصَّ العشر الأواخر منه بمزيد إقبال على الله ولزوم للعبادة ، وإن أمكنك أن لا تخرج من المسجد في هذه العشر إلا إلى ما لا بد منه فافعل .

وعليك بصلاة التراويح في كل ليلة من رمضان ، وقد جرت العادة في بعض البلاد بتخفيفها جداً حتى ربما وقع بسبب ذلك في ترك بعض الأركان فضلاً عن السنن ، والمعروف من فِعْلِ السلف توزيع القرآن من أوله إلى آخره على هذه الصلاة ، كل ليلة يقرؤون منه فيها شيئاً حتى يختموه في بعض الليالي

من آخر الشهر ، فإن أمكنك أن تقتدي بهم في ذلك فالغنيمة الغنيمة ، وإلا فلا أقل من إتمام أركان الصلاة والمحافظة على آدابها .

وأحسِن المراقبةَ لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وهي الليلة المباركة التي يُفرَق فيها كل أمر حكيم ، ومن كوشف بها رأى الأنوار ساطعة ، وأبواب السماء مفتحة والملائكة تصعد وتنزل ، وربما رأى الموجودات كلها ساجدة لله تعالى الذي خلقها . وجمهور العلماء على أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وفي الأوتار منها أرجى ، وقد كوشف بها بعض العارفين ليلة السابع عشر وإليه ذهب الحسن البصري ، وقال بعض العلماء : إنها أول ليلة من رمضان ، وذهب جماعة من الأكابر إلى أنها ليست ليلة مخصوصة ولكنها تنتقل في ليالي رمضان ، قالوا : والسر في ذلك أن يصير المؤمن في كل ليلة من هذا الشهر في غاية من الإقبال على الله تعالى وعلى طاعته رجاء أن يصادف هذه الليلة التي قد أُبهِمَت عليه والله أعلم .

وعليك بتعجيل الفطور عند تَيَقُّن الغروب وتأخير السحور ما لم تخش الوقوع في الشك ، وبتفطير الصائمين ولو على تمرات أو شربة من الماء ؛ فإن من فَطَّر صائماً كان له مثل أجره لا ينقص ذلك من أجره شيئاً ، واجتهِد أن لا تَفطُر ولا تُفَطِّر صائماً إلا على طعام حلال .

وعليك بالتقليل من الأكل وتناول الموجود من الحلال من غير إيثار للطيب الملائم ، فإن مقصود الصوم كسر الشهوة ، والاتساع في الأكل وقصد الطيبات لا يكسرها ولكنه يقويها ويهيجها .

وعليك بصيام الأيام التي ورد الشرع بالترغيب في صيامها كيوم عرفة لغير الحاج ، ويوم عاشوراء ، وتاسوعاء ، والست من شوال ، وابتدئ فيها من ثاني يوم العيد ؛ فإن ذلك أبلغ في رياضة النفس . **وعليك** بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فإن ذلك يعدل صيام الدهر . وإن تَحَرَّيتَ له الأيام البيض فهو أحسن ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يدع صيامها حضراً ولا سفراً . **وعليك** بالإكثار من الصوم مطلقاً ولا سيما في الأوقات الفاضلة كالأشهر الحرم والأيام الشريفة كالاثنين والخميس . **واعلم** أنَّ الصيام قطب الرياضة وأساس المجاهدة ، وقد ورد أن : ((الصوم نصف الصبر)) ، وقال رسول الله ﷺ : ((كل عمل ابن آدم يُضاعف له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف)) ، قال الله تعالى : ((إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي)) ، ((للصائم فرحتان فرحة عند فِطْرِهِ وفرحة عند لقاء ربه)) ، ((ولَخَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) ، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾ [الأحزاب : ٤] .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالمبادرة إلى أداء ما فرض الله عليك من الحج والعمرة عند الاستطاعة ، وإياك والتأخير بعد حصولها ، فربما عَجَزتَ أو متَّ بعد التمكن فيستقر الوجوب في ذمتك وتُعَد به مُقَصِّراً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((مَن لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ومات ولم يحج ، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً)) .

وعليك عند القدرة بالتطوع بالحج والعمرة كغيرهما من القربات ؛ فقد ورد عن الله تعالى أنه قال : ((إنَّ عبداً قد صحَّحتُ جسمه وأكثَرتُ ماله تأتي عليه خمسة أعوام ولا يغدو عليَّ لعبد سوء)) الحديث بمعناه.

وعليك عند إرادتك المسير إلى الحج بتعلم واجباته وسننه وأذكاره، وبتعلم أدلة القبلة ورُخَص السفر وآدابه وما يقال فيه من الأذكار ، ولا تجعل قصدك الحج مشتركاً بينه وبين التجارة ، بل ينبغي أن لا يصحبك شيء من متاع الدنيا إلا ما تقصد إنفاقه في مدة سفرك ، وإن كان ولا بد فاجتنب أخذ ما يشغلك عن أداء المناسك على وجهها وتعظيم شعائر الله كما ينبغي.

وعليك بزيارة رسول الله ﷺ ، فإنَّ زيارته عليه السلام بعد وفاته كزيارته في حياته ، وهو ﷺ حيٌّ في قبره وكذلك سائر الأنبياء ، ومن الجفاء أن تحج بيت الله وتترك زيارة حبيب الله لغير عذر ناجز .

واعلم أنك لو جئتَ على رأسك من أقصى بلاد الإسلام لزيارته ﷺ لم تقم بشكر نعمة الهداية التي أوصلها الله إليك على يده .

وعليك إذا أردت الشروع في أمر مهم كالسفر والزواج ونحوهما بمشاورة من تثق بمعرفته وأمانته من إخوانك ، ثم إذا صادَفَت إشارته ما في النفس ؛ فعليك بصلاة ركعتين من غير الفريضة بنية الاستخارة، وادع بعدهما بالدعاء المشهور ، قال عليه الصلاة والسلام: ((ما خاب من استخار وما ندم من استشار)) .

وعليك إذا نذرتَ لله نذراً من صلاة أو صدقة أو غير ذلك من القربات بالمبادرة بالوفاء به ، ولا تتعود الإكثار من النذر ؛ فإن الشيطان ربما أغراك بذلك ليوقعك في الإخلال .

وإذا حلَفتَ على فعل شيء ثم رأيت الخير في تركه ، أو على ترك شيء ثم رأيت الخير في فعله ، فكَفِّر عن يمينك وَأْتِ الذي هو خير .

واحـذر أن تحلف أو تشهد على مقتضى الظن وإن كان غالباً ، فضـلاً عـن الوهم والشك . وإذا أَخذتَ مال مسلم بيمينك فالواجب عليك رد مـا أخذتـه وتكفير يمينك ، وكفارتها إطعـام عشـرة مسـاكين لـكل مسـكين مـد ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فإن لم تجد فصيام ثلاثة أيام .

وإياك ثم إياك واليمين الفاجرة ، فإنها تـدع الديـار بَلاقِـع - أي خراباً - وتغمس صاحبها في نار جهنم .

والحذر كل الحذر من شهادة الزور ؛ فإنها من أكـبر الكبـائر ، وقـد قرنهـا عليه الصلاة والسلام بالإشراك بالله ، وإذا كان كتمان الشهادة مـن العظـائم فما الظن بافترائها . نسأل الله العافية والسلامة قبل حصول الندامة .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالورع عن المحرَّمات والشبُهات ؛ فإن الورع مِلاك الدين ، والذي عليه المدار عند العلماء العاملين . وقد قال رسول الله ﷺ: ((كل لحم نَبَتَ من سُحت فالنار أولى به)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)) .

واعلم أن الذي يتناول الحرام والشبهات قلَّ أن يُوفَّق لفعل العمل الصالح ، وإن وُفِّق له ظاهراً فلا بد أن يعرض له من الآفات الباطنة ما يفسده عليه كالعُجب والرياء .

وعلى كل حال فالذي يأكل الحرام عمله مردود عليه ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. وبيان ذلك أن الأعمال لا يُتصور فعلها إلا بحركات الجوارح ، وحركات الجوارح لا تُستطاع إلا بالقوة المكتسبة من الغذاء ، فإذا كان الغذاء خبيثاً كانت القوة والحركات المتولدة منه خبيثة ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يتقبل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز .

وروي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : ((من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يتقبل الله له صلاة ما دام عليه شيء منه)) ، وإذا كان هذا

حكم الثوب الذي عُشْر ثمنه من حرام فكيف يكون الحال لو كان كله كذلك! وإذا كان هذا في الملبوس الذي هو على ظاهر الجسد ، فما الظن به في الغذاء الذي يتخلل العروق والأوصال ويسري في سائر البدن ؟

واعلم أن المحرمات قسمان :

أحدهما شيء مُحَرَّم لِعَينهِ كالميتة والدم والخمر ونحو ذلك ، وهذا النوع لا يحل بوجه من الوجوه إلا عند الإضطرار وهو توقف بقاء النفس المحترمة على تناوله مع فقدان غيره .

والثاني حلال في نفسه كالحنطة والماء الطاهر ، ولكنه مملوك لغيرك فلا يزال مُحَرَّماً عليك حتى يصير إليك من وجه سائغ في الشرع كالبيع والهبة والإرث ونحو ذلك .

وأما الشبهات فهي درجات ، **فمنها** ما تُيُقِّن تحريمه وشُك في حِلِّه وهذه الشُّبَه حكمها حكم الحرام .

ومنها ما تُيُقِّنَ حِلُّه وشُكَّ في تحريمه وهذه الشُّبَه تَرْكها من الورع .

ومنها ما هو بين ذلك كالذي يُحتمل أن يكون حلالاً ويُحتمل أن يكون حراماً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) .

وإنما يُستدل على ورع الرجل بإحجامه عن الأمر المُشكِل حتى يتضح، ولا يكون العبد من المتقين حقاً حتى يترك الحلال المحض الذي يُخشى عند تناوله الوقوع في ما وراءه من الشبهات والحرام. وقد قال ﷺ: ((لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس))، وقالت الصحابة رضوان الله عليهم: كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام، وهذا أمر قد تُودِّع منه من زمان قديم، فمن لنا بورع يحجُزُنا عن الشبهات والمحرَّمات فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وعليك بمعرفة جميع ما حرَّم الله عليك لتجتنبه، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه.

واعلم أنه لا يُخشى على ذي دين من وقوعه في تناول المحرَّمات العينية، كأكل ما لا يحل أكله من الحيوانات، ولا في أخذ أموال الناس عدواناً وظلماً بالغصب والنهب والسرقة؛ فإن ذلك إنما يصدر غالباً من جبار عنيد أو شيطان مريد، وإنما دخل الاشتباه على أهل الدين من حيث إهمالهم النظر في ثلاثة أمور:

الأول: ترك التفتيش في موضعه، وبيان ذلك أن الناس ينقسمون بالنسبة إليك ثلاثة أشخاص:

(الأول) شخص معروف عندك بالخير والصلاح فكُلْ من طعامه وعامِلْـه إذا شئتَ ولا تسأل .

(والثاني) شخص مجهول عندك ولا تعرفه بخير ولا بشـر ، فإذا أردت أن تعامل هذا أو تقبل هديته فمن الورع أن تسأل ، ولكن برفق ؛ حتى إنـك لـو عرفت أنه ينكسر قلبه لذلك كان السكوت أفضل .

(والثالث) شخص معروف عندك بالظلم كالذي يعامل بالربـا ويجـازف في بيعه وشرائه ولا يبالي من أي جهة يصل إليه المال، فينبغي أن لا تعامل هذا رأساً ، وإن كان ولا بد فقدِّم التفتيش والسؤال ، وهذا كله مـن الـورع ؛ حـتى تعلم أن الحلال في يده نادر عزيز ، فعنـد ذلـك يجب عليـك الاحـتراز . وإذا وصَلَت إليك عين تعلم أو تظن بعلامة ظاهرة أنها حرام أو شبهة فلا تتوقـف عن ردها ، وإن وصلت إليك على يد أصلح الصالحين .

والأمر الثاني : عدم الإحتراز من المعاملات الفاسدة والمكروهة ، وطريـق الخلاص أن تجتنب جميع البيوع الفاسدة والمكروهة . فلا تَبِـع ولا تشـتري إلا بصيغة صحيحة ، ولا بأس بالمعاطاة في المحقَّرات ، واجتنب الغـش والكـذب والحلف على السلع ، ولا تكتم عيباً في سلعتك لو اطَّلَـع عليـه المشـتري لـم يشترها بذلك الثمن .

واحذر كل الحذر من المعاملة بالربا ؛ فإنه من الكبائر ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٨٨] ، وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده . وجملة القول في الربا : أنه يحرم بيع النقد بمثله كالفضة بالفضة ، والمطعوم بمثله كالحنطة بالحنطة ؛ إلا مِثْلاً بمثل يداً بيد ، فإن اختلف النوع كالذهب بالفضة والتمر بالحنطة جاز التفاضل ووجب التقابض في الحال ، ولا ربا في بيع الحيوان بالحيوان والثوب بالثوب والمطعوم بالنقد .

وإياك والإحتكار وهو أن تشتري طعاماً تعظم الحاجة إليه وتدخره بنية الغلاء .

والأمر الثالث : الإنهماك في شهوات الدنيا والتبسط في ملذوذاتها ، فعند ذلك يعسر الورع ويضيق الحلال ، فإنَّ هذا سَرَف والحلال لا يحتمل السرف ، وأما من غرضُه من الدنيا أخذ قدر الضرورة أو الحاجة فالورع ميسر له . قال حجة الإسلام نفع الله به : وإذا قنعت في السَّنَة بقميص خشن ، وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار ؛ لم يعْوزك من الحلال ما يكفيك ؛ فإن الحلال كثير ، وليس عليك أن تتيقن باطن الأمور ، بل عليك أن تحترز من كل ما تعلمه حراماً أو تظنه ظناً حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال انتهى .

وإذا حاك في نفسك شيء فمن الورع اجتنابه وإن أَحَلَّه ظاهر العلم ؛ فإنَّ الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك المفتون ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا خاص بمن له قلب مستنير، وفي جانب الكف دون الأخذ . ولا تحسب أن الورع خاص بالمطعوم والملبوس ، بل هو عام في جميع الأمور ، ولكن ينبغي لك إذا كان في يدك حلال وأحلُّ منه أو حلال وشبهة أن تقدِّم المطعوم بما كان أحلَّ أو أطيب ؛ فإنَّ المدار كله على الغذاء، وللطُّعمة من الحلال أثر كبير في تنوير القلب ونشاط الجوارح للعبادة ، وقد قال بعض السلف : كُلْ ما شئتَ فمثله تعمل . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى : أَطِبْ مطعمَك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار . فاعلم ذلك! وبالله التوفيق .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فإنه القطب الذي عليه مدار أمر الدين، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل المرسلين ، وقد انعقد على وجوبه إجماع المسلمين ، وتظاهرت نصوص الكتاب والسنة على الأمر به والتحذير من تركه . قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقد وصف الله المؤمنين في غير موضع من كتابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحَظَّهم في بعض المواضع على الإيمان ، وفي بعضها على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ﴾ الآية [الأنفال : ٢٥] .

وقال رسول الله ﷺ : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : ((والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)) .

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين ، واختُص الثواب بالقائمين به ، وإذا لم يقم به أحد عَمَّ الحرج كافة العالِمين به القادرين على إزالته .

والواجب عليك إذا رأيت من يترك معروفاً أو يفعل منكراً أن تعرِّفَه بكون ذلك معروفاً أو منكراً ، فإن لم يدَعْه فعليك بوعظه وتخويفه ، فإن لم ينزجر فعليك بتغييره وقهره بالضرب وكسر آلة اللهو المحرمة وإراقة الخمر ورد الأموال المغصوبة من يده إلى أربابها . وهذه الرتبة لا يستقل بها إلا مَن بذل نفسه لله ، أو كان مأذوناً له من جهة السلطان ، وأما الرتبتان الأولتان ؛ أعني التعريف والوعظ فلا يقصر عنهما إلا جاهل مخبِّط أو عالم مفرِّط .

واعلم أن الأمر بالمعروف واجب ، والنهي عن المحرَّم واجب ، والأمر بالمندوب والنهي عن المكروه مستحب .

وعليك إذا أمرتَ بمعروف أو نَهَيتَ عن منكر ولم يُسمع لـك ، بمفارقـة موضع المنكر وهجر مرتكبه حتى يفيء إلى أمر الله .

وعليك بكراهية المعاصي وكراهة المصـرِّين عليها وبغضهم في الله وهذا واجب كل مؤمن .

وإذا ظُلمت أو شُتمت فظهر عليك من الغضب وتَغَيُّر الوجه ووجدتَ من كراهية الفعل والفاعل ما لا يكون مثله ولا أعظم منه عند سماعك المنكر ومشاهدته ؛ فتحقق أنك ضعيف الإيمان ، وأنَّ عرضك ومالـك أعـز عليـك من دينك .

وإذا علمتَ وتحققتَ أنك إذا أمـرتَ بمعروف أو نَهَيـتَ عـن منكـر لا يُستمع لك ولا يُقبل منك ، أو علمت أنه يحصل عليك بسـببه ضرر ظـاهر في نفسك أو مالك جاز لك السكوت وصار الأمر والنهي بعد أن كان واجبـاً مـن الفضائل العظيمة الدالة من فاعلها على محبة الله وإيثاره على من سواه ، وأما إذا علمت أن المنكر يزيد بسبب النهي أو يتعدى الضرر إلى غيرك مـن المسـلمين فالسكوت حينئذ أولى وربما وجب .

وإياك والمداهنـة فإنهـا مـن الجـرائم ، وهي أن يكـون الحامـل لـك على السكوت الخوف من فوات مال أو جاه أو نفع يكون من قِبَل المباشر للمنكـر أو غيره من الفسقة .

وعليك إذا أمرت أو نهيت بالإخلاص لله تعالى ، والرفق وحسن السياسة وإظهار الشفقة ؛ فما اجتَمَعَت هذه الخصال في عبد مع كونه عاملاً بما أُمِر به مجتنباً لما نُهِيَ عنه إلا كان لكلامه صولةٌ وهيبةٌ في الصدور وَوَقْعٌ في القلوب وحلاوةٌ في الأسماع ، وقلَّ أن يُرَدَّ عليه مع هذا كلامه ، وكل من تحقق بمراقبة الله والتوكل عليه وتخلَّق بالرحمة على عباده لم يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكر حتى يزيله أو يحال بينه وبين ذلك بما لا قدرة له على دفعه .

وإياك والتجسُّس وهو طلب الوقوف على عورات المسلمين ومعاصيهم المستورة ، قال عليه السلام : ((من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته)) .

(واعلم) أن المعصية إذا سُتِرت لم تضر إلَّا مرتكبها ، فإذا ظهرت ولم تَغَيَّر عمَّ ضررها . (وعليك) إذا تفاحش ظهور المعاصي والمنكرات في موضع أنت فيه وأَيِستَ من قبول الحق ؛ بالعزلة فإن فيها السلامة ، أو بالهجرة إلى موضع آخر وهي أولى ، فإنَّ العذاب إذا نزل على موضع يعم الخبيث والطيب ويكون للمؤمن الذي لم يقصِّر في نصرة دين الله كفارة ورحمة ، ولغيره عقاباً ونقمة والله أعلم .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالعدل في رعيتك الخاصة والعامة وكمال الحفظ والتفقد لها ؛ فإنَّ الله تعالى سائلك عنها ، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته . وأعني برعيتك الخاصة : جوارحَك السبع وهي اللسان والسمع والبصر والبطن والفرج واليد والرِّجل ، فإنَّ هذه الجوارح رعية استرعاك الله إياها ، وأمانة ائتمنك عليها ، فعليك بكفها عن معصيته واستعمالها في طاعته ؛ فإن الله تعالى إنما خلقها لك لتطيعه بها ، وهي من أجَلِّ نِعم الله عليك ، وشكرُها أن تطيعه سبحانه بها ، وأن لا تعصيه بشيء منها ، فإن تركتَ ذلك ولم تفعله فقد بدَّلتَ نعمة الله كفراً ، ولولا أن الله تعالى سخَّر لك هذه الجوارح وجَبَلَها على طاعتك لكُنتَ لا تستطيع أن تعصي الله بشيء منها ، وكل جارحة منها تقول لك بلسان حالها إذا أردتَ أن تعمل بها معصية : يا عبد الله اتق الله ولا تُكرِهني على فِعلِ ما حرَّم الله عليَّ ، فإذا عصيتَ الله بها ترجع إلى الله وتقول : قد نهيتُه يا رب فلم يسمع ، وأنا بريئة مما صنع ، وسوف تقف بين يدي الله تعالى فتنطق جوارحك شاهدة لك بما عملت بها من خير ، وعليك بما عملت بها من شر في يوم ﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى : ٤٧] ، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

وأعني برعيتك العامة من جعل الله لك عليه ولاية من ولد وزوجة ومملوك فكل هؤلاء من رعيتك ، والواجب عليك إرشادهم إلى القيام بما فرض الله عليهم من طاعته وما حرَّم عليهم من معصيته ، واحذر أن تسامحهم في ترك واجب أو ارتكاب محرَّم ، وادعُهم إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدار الآخرة ، وأحسِن أَدَبَهم ولا تغرس في قلوبهم حب الدنيا وشهواتها ، فتكون بذلك مسيئاً إليهم ، وقد ورد أنَّ أهل الإنسان وولده يتعلَّقون به بين يدي الله ، ويقولون : يا ربنا إن هذا لم يُعرِّفنا ما أوجَبْتَ علينا من حقك فاقتصَّ لنا منه .

وعليك بمعاملتهم بالعدل والفضل ، أما العدل فهو أن توفِّيهم حقوقهم التي أوجبها الله لهم عليك من النفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف ، ومن العدل الواجب أن تردع بعضهم عن ظلم بعض وتقتص لمظلومهم من ظالمهم ، وفي الحديث : ((إن العبد يُكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته)) يعني فيجور عليهم .

وأمَّا الفضل فهو أن لا تستقصي عليهم في طلب الحقوق التي أوجبها الله لك عليهم ، وأن ترفق بهم وتخالقهم بالأخلاق الكريمة ، وتباسطهم في بعض الأوقات من غير إثم بقدر ما تزول الوحشة والتنفير وتبقى الهيبة والتوقير .

وعليك بالعفو عن مسيئهم والصفح عن جانيهم ، واجعلهم باطناً في حل مما اختلسوه من مالك ، فإنك سوف تجد ذلك في كفة حسناتك ، فلا ينبغي أن

يكون حظك منهم الثواب وحظهم منك العقاب . وقد سُئل رسول الله ﷺ : كم يُغْفَرُ للرقيق في كل يوم ؟ قال : ((سبعون زلة)) .

وهذه المسامحة إنما هي في حقوقك ، وإما في حقوق الله فلا وجه لها .

وخُص النساء من أهل بيتك بمزيد حفظ وتفقد فإنهن ناقصات عقل ودين ، وعلِّمْهُنَّ أحكام الحيض وفرائض الغسل والوضوء والصلاة والصيام وحقوق الأزواج وما يجري مجرى ذلك .

وقد تتسع رعية بعض العباد كالسلاطين والعلماء ، وكل راع مسؤول عن رعيته . قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل : ٩٠] ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((اللّهُمَّ مَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فَرَفَقَ بهم فارفق به ، ومَن شَقَّ عليهم فاشقق عليه)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((ما من والٍ يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة)) الحديث .

وعليك ببر الوالدين فإنه من أوجب الواجبات وإياك وعقوقهما ؛ فإنه من أكبر الكبائر قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ الآية والتي بعدها [الإسراء : ٢٣-٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾ [لقمان : ١٤] ، فانظر كيف قَرَنَ الأمر بالإحسان إليهما بتوحيده ، وشكرهما بشكره ، فعليك بابتغاء مرضاتهما وامتثال أمرهما ما لم يكن معصية ، واجتناب

نهيهما ما لم يكن طاعة واجبة ، وبإيثارهما على نفسك وتقديم مهماتهما على مهماتك .

ومن العقوق أن تؤذيهما بقطع ما تستطيع إيصاله من المعروف إليهما ، فكيف بتقطيب الوجه والانتهار لهما، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((يوجد ريح الجنة من مسيرة ألف عام ولا يجده عاقٌّ ولا قاطعُ رَحِم ولا شيخٌ زانٍ ولا مسبلٌ إزاره خُيَلاء ، إنما الكبرياء لله رب العالمين)) .

وقال عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى : ((من أصبح مُرضياً لوالديه مُسخِطاً لي فأنا عنه راض ، ومن أصبح مسخطاً لوالديه مرضياً لي فأنا عنه ساخط)) .

وينبغي للوالد أن يُعِين ولده على برِّه بعد الاستقصاء عليه في طلب الحقوق ، ولا سيما في هذا الزمان الذي عَزَّ فيه وجود البِر وعَمَّ فيه وجود الشر ، وصار الوالد يَعُدُّ أَبَرَّ أولاده من لم يسيء إليه منهم ، وقد قال رسول الله ﷺ: ((رحم الله والداً أعان ولده على بره)) .

وعليك بصلة الرحم الأقرب فالأقرب ، وبالإحسان إلى الجيران الأدنى باباً فالأدنى . قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ الآية [النساء: ٣٦] .

وقد أمر الله بالإحسان إلى القرابة في مواضع عديدة من كتابه العزيز، قال رسول الله ﷺ: ((الصدقة على القرابة صدقة وصلة))، وقال عليه السلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَصِل رَحِمَه))، وفي حديث آخر: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم جاره))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى خشيت أنه سيورِّثه)).

ولا تتم صلة الأرحام والإحسان إلى الجيران إلا بكف الأذى عنهم واحتمال الأذى منهم وبذل المعروف حسب الاستطاعة لهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل الذي إذا قُطِعت رحمه وَصَلَها))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((وطِّنوا أنفسكم على أن تُحسِنوا إذا أحسن الناس، ولا تسيئوا إذا أساءوا)). وبالله التوفيق.

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالحب في الله والبغض في الله ، فإنه من أوثق عُرَى الإيمان . وقال رسول الله ﷺ : ((أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى)) ، فإذا أحببتَ العبد المطيع لله لكونه مطيعاً ، أو أبغضتَ العاصي لله لكونه عاصياً لا لغرض آخر ؛ فأنت ممن يحب في الله ويبغض في الله حقيقة ، وإذا لم تجد في نفسك محبة لأهل الخير لخيرهم وكراهة لأهل الشر لشرهم ؛ فاعلم أنك ضعيف الإيمان .

وعليك بمصاحبة الأخيار واعتزال الأشرار ومجالسة الصالحين ومجانبة الظالمين . قال عليه الصلاة والسلام : ((المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِل)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء)) .

واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل به ، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حب الشر وحب العمل به ، وأيضاً فإن من خالط قوماً وعاشرهم أحبهم ضرورةً سواء كانوا أخياراً أو أشراراً ، والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة .

وعليك بالرحمة لعباد الله والشفقة على خلق الله ، وكن رحيماً شفيقاً أَلوفاً مألوفاً ، واحذر أن تكون فظاً غليظاً أو فاحشاً جافياً ، قال عليه الصلاة والسلام : ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن لا يَرحَم لا يُرحَم)) ، وقال عليه السلام : ((المؤمن أَلوفٌ مألوفٌ ، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤلَف)) .

وعليك بتعليم الجاهلين وإرشاد الضَّالين وتذكير الغافلين ، واحذر أن تَدَع ذلك قائلاً : إنما يُعلِّم ويُذكِّر من يعمل بعلمه وأنا لست كذلك ، أو إني لست بأهل للإرشاد لأنه من أخلاق الأكابر ، وهذا كله تلبيس من الشيطان ؛ فإن التعليم والتذكير من جملة العمل بالعلم ، والأكابر ما صاروا أكابر إلا بفضل الله والعمل بطاعته وإرشادهم عباد الله إلى سبيل الله ، وإذا لم تكن أهلاً فليس لك طريق إلى حصول الأهلية إلا فعل الخير والدعاء إليه ، وإنما الشؤم في الدعوى والدعاء إلى غير الحقّ .

وعليك بجَبْرِ قلوب المنكسرين ، وملاطفة الضعفاء والمساكين ، ومواساة المقِلِّين ، والتيسير على المعسرين ، وإقراض المستقرضين ، وفي الحديث : أن ثواب القرض يزيد على ثواب الصدقة بثمانية أضعاف ؛ وذلك أن القرض لا يأخذه إلا محتاج .

وعليك بتعزية من نَزَلَت به مصيبة ، قال عليه السلام : ((من عَزَّى مصاباً - أي صَبَّره - كان له مثل أجره)) .

وإياك والشماتة بأحد من المسلمين ، وهي أن تفرح بما ينزل به من المصائب . قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تُظهِر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك))، واحذر أن تُعيِّر مسلماً بذنب وقع فيه ، فإنَّ من عيَّر مسلماً بذنب لم يمت حتى يُبتلى بمثل ما عَيَّره به .

وعليك بالتفريج عن المكروبين ، وقضاء حوائج المحتاجين ، وستر عورات المذنبين ، قال عليه الصلاة والسلام : ((من يَسَّر على معسر يَسَّر الله عليه ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبة من كُرَب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)).

وعليك بإماطة الأذى عن طريق المسلمين ؛ فإن ذلك من شُعَب الإيمان ، وفي الحديث قال النبي ﷺ : ((رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في غصن شوك قطعه من طريق المسلمين)).

وعليك برحمة اليتيم والمسح على رأسه . قال عليه السلام : ((من مسح على رأس يتيم كتب الله له بكل شعرة مَرَّت عليها يده عشر حسنات)) ، واجتَهِد في إدخال السرور على قلوب المؤمنين بكل وجه أمكنك ما لم يكن إثماً .

وعليك بالشفاعة لكل من سألك أن تشفع له في حاجة إلى من لك عنده جاه ؛ فإن الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله ، وإذا تَوَجَّه على عبد شيء من الحدود الشرعية كحد الزنا والسرقة فاحذر أن تشفع له ؛ فإن الشفاعة في الحدود غير جائزة ، وإذا شفعتَ شفاعة فأُهدِيت لك بسببها هدية فلا تقبلها فإنها رُشا .

وعليك بالتبسم في وجوه المؤمنين ، وطلاقة الوجه وإظهار البِشْر لهم ، وطيب الكلام معهم ، ولين الجانب وخفض الجناح لهم .

قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٨] ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلق)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((الكلمة الطيبة صدقة)) ومن المأثور : إذا التقى المسلمان فتصافحا قُسمت بينهما مائة رحمة ، تسعة وتسعون منها لأكثرهما بِشْراً .

واحذر أن تهجر مسلماً لحظ نفسك ، فإن اقتضت المصلحة الدينية هَجْرَهُ ، فلا تَهْجُرْهُ فوق ثلاثة أيام . فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((من هَجَر أخاه فوق ثلاث أدخله الله النار إلا أن يتداركه الله برحمته)) . ومحل هذا إذا كان الهجر للتأديب ، فأما إذا كان لإتيانه باطلاً أو تَرْكِه حقاً فلا آخر له إلا برجوعه إلى الحق .

وعليك بإظهار الفرح والاستبشار بكل ما يتجدد للمسلمين من المسارِّ، كنزول الأمطار، ورخاء الأسعار، وظهورهم على الباغين والكفار.

وعليك بالحزن والإغتمام بسبب ما ينزل بهم من البلايا كالوباء والغلاء والفتن، وتوجه إلى الله في أن يكشف ذلك عنهم مع التسليم لقضائه وقدره. وقد قال رسول الله ﷺ: ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)). وقال صلوات الله عليه: ((مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وعليك إذا أسدى إليك مسلم معروفاً بقبوله منه وشكره ومكافأته عليه، فإن لم تقدر عليها أو كان ممن توحشه المكافأة فعليك بالدعاء له. وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((لو أُهدي إليَّ ذراع أو كراع لقَبِلت، ولو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجَبْتُ))، وقال: ((من اصطنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدروا على ذلك فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه))، وقال عليه السلام: ((من قال لمن أسدى إليه معروفاً: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء)).

وإياك أن تكسر قلب مسلم بردِّ صنيعته عليه، وأنت تعلم أن الواصل إليك على يده إنما هو من الله حقيقة، وإنما هو واسطة مُسَخَّر مقهور، وفي

الحديث : ((من أتاه شيء من غير مسألة ولا استشراف نَفسٍ فردَّه فإنما يـردّه على الله)).

وفي الردِّ آفة عظيمة وهي أن العامة مجبولون على تعظيم من يـرد صِـلاتهم عليهم ، فربما كان الحامل لبعض النُّسَّاك على الرد التظاهر بالزهد ؛ حرصاً منه على حصول المنزلة عندهم ، ومن ههنا كان بعض المحققين يأخـذ مـن أيـدي الناس ظاهراً ثم يتصدق به سراً .

وقد يجب الرد في مسائل ، وقد يندب :

(منها) أن يُحمل إليك ما تعلم أو تظن بعلامة أنه حرام ، أو تُحمل إليـك صدقة واجبة على ظن أنك من أهلها وأنت لست كذلك .

(ومنها) أن يكون المُسدي إليك ظالماً مُصِـرّاً على الظلم ، وتخشـى إذا قبِلتَ معروفه أنَّ قلبك يميل إليه ، أو تداهنه في الديـن ، أو يغلـب على ظنـك أنك متى قبلت شيئا يصير بحيث لا يَقبَل منك ما تُلقيه إليه من الحق .

(ومنها) أن تعلم من حال إنسان أنه يقصد بِصِلَتِهِ إضلالك عـن سـبيل الله بمساعدته على باطل أو ترك حق ، ومن هـذا القبيـل مـا يأخـذه القـاضي والعامل وغيرهما من ولاة الأمور من الخصمين أو أحدهما إذا ترافعـا إليهـم ،

وهذا هو الرشا المحرَّم ، وله تتمات مذكورة في مواضعها فعليك بالرد في جميع هذه المسائل المذكورة .

واحذر أن تدعو على نفسك أو على ولدك أو على مالك أو على أحد من المسلمين وإن ظلمك ؛ فإنَّ من دعا على من ظَلَمَه فقد انتصر . وفي الخبر : ((لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة إجابة)) .

وإياك أن تؤذي مسلماً أو تسبه بغير حق ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((مَن آذى مسلماً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله)) ، وقال عليه السلام : ((سِبَابُ المؤمن فسوقٌ وقتاله كفر)) .

واحذر أن تلعن مسلماً أو بهيمة أو جماداً أو شخصاً بعينه وإن كان كافراً ؛ إلا إن تحقَّقتَ أنه مات على الكفر كفرعون وأبي جهل ، أو عَلمتَ أنَّ رحمة الله لا تناله بحال كإبليس . وقد ورد أن اللعنة إذا خَرَجَت من العبد تصعد نحو السماء فتغلق دونها أبوابها ثم تنزل إلى الأرض فتغلق دونها أبوابها ، ثم تجيء إلى الملعون فإن وجدت فيه مَسَاغاً وإلا رَجَعَت على قائلها .

وعليك بالتأليف بين قلوب المؤمنين وتحبيب بعضهم إلى بعضهم بإظهار المحاسن وستر القبائح .

وعليك بإصلاح ذاتِ بينِهم ، فإن في الإصلاح فضلاً يزيد على فضل النفل من الصلاة والصيام ، ولا سيما بين الوالد وولده والقريب وقرابته . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وإياك وإفساد ذاتِ البَين بالنميمة والغيبة ونحوهما مما يوجب التنافر والتدابر ؛ فإن ذلك عند الله تعالى عظيم .

أما النميمة فهي أن تنقل كلام إنسان لإنسان تقصد بذلك الإفساد بينهما . وقد قال ﷺ : ((لا يدخل الجنة نمَّام)) ، وقال عليه السلام : ((أبغضكم إلى الله تعالى المشَّاؤون بين الأحبة بالنميمة المُفَرِّقون بين الإخوان)) .

وأما الغيبة فهي أن تذكر إنساناً في غَيبته بما يكرهه لو كان حاضراً تقصد بذلك تنقيصه ، وسواء حصل التفهيم بالنطق أو الإشارة أو الكتابة . وقد قال رسول الله ﷺ : ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) ، وقال عليه السلام : ((الغِيبة أشد من الزنا)) . وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مُصِرّاً عليها فهو أول من يدخل النار .

وإياك والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ، ولا سيما ظلم العباد ، فإنه الظلم الذي لا يتركه الله . وقد قال رسول الله ﷺ : ((إنّ المفلس مِن أمتي مَن يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة ويأتي وقد ضَرَب هذا وشَتَم هذا وأَخَذ مال هذا ،

فيَأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فَنِيت حسناته أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحت على سيئاته ثم يُقذف به في النار)) ، فإن وَقَعْتَ في ظلم أحد فبادِر بالخروج منه بالتمكين من القصاص إن كان من المظالم النفسية ، وبطلب الإحلال إن كان من المظالم العِرْضية ، وبرد ما أخذتَه إن كان من المظالم المالية ، وفي الحديث : ((من كانت عليه لأخيه مَظلَمة فليستحلَّ منه قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم ، إنما هي الحسنات والسيئات)) ، فإن تعذر عليك رد بعض المظالم حتى لم يمكن بحال ؛ فعليك بصدق اللجأ إلى الله تعالى ، والإفتقار والإضطرار في أن يرضي عنك خصمك ، وبالإكثار لمن ظلمته من الدعاء والاستغفار .

وعليك بالذبِّ عن دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم في غَيبتهم وحضورهم كما تذب عن نفسك في ذلك كله ، فإنَّ من نصر مسلماً نصره الله ، ومن خذل مسلماً خذله الله .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالنصح لكل مسلم ، وغايته أن لا تكتم عنه شيئاً ترى في إظهاره له حصولاً على خير أو نجاة من شر . قال رسول الله ﷺ ((الدين النصيحة)) .

ومن النُّصح أن تكون لكل مسلم في غَيبته كما تكون له في حضوره ، وأن لا تُظهِر له من المودة بلسانك فوق ما يُضمِره قلبك ، ومنه إذا استشارك مسلم في شيء وعَرفتَ أن الصواب في خلاف ما يميل إليه أن تخبره به .

ومما يدل على خلاف النصح الحسد للمسلمين على ما آتاهم الله من فضله ، وأصله أن يَشُقَّ عليك إنعام الله تعالى على عبد من عبيده بنعمة في دينه أو دنياه ، وغايته أن تتمنى زوال النعمة عنه ، وقد ورد أن : ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)) ، والحاسد معترض على الله في ملكه وتدبيره ، وكأنه يقول بلسان حاله : يا رب إنك وضَعتَ النعمة في غير موضعها . ولا بأس بالغبطة وهي أن ترى نعمة من الله على عبد من عبيده فتطلب منه سبحانه مثلها .

وعليك إذا أثنى عليك أحد بكراهية الثناء بقلبك ، ثم إن أثنى عليك بما فيك فقل : الحمد لله الذي أظهر الجميل وستر القبيح ، وإن أثنى عليك بما

ليس فيك فقل كما قال بعض السلف : اللّٰهُمَّ لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيراً مما يظنون .

وأما أنت فلا تُثني على أحد إلا إن عَلِمتَ أنه يزداد بثنائك نشاطه في الخير ، أو كان فاضلاً لا يُعرف فضله فأثنيتَ عليه للتعريف بفضله ، بشرط السلامة من الكذب في جهتك ، ومن الإغترار في جهة من تثني عليه .

وعليك إذا أردت أن تنصح إنساناً في أمر بلغك عنه بالخلوة به ، والتلطف له في القول له ، ولا تَعدِل إلى التصريح مع إمكان التفهيم بالتلميح ، فإن قال لك : مَن بَلَّغك عني هذا ؟ فلا تخبره كي لا تثير العداوة بينه وبينه ، ثم إن قَبِل منك فاحمد الله واشكر له ، وإن لم يقبل فارجع على نفسك باللوم ، وقل لها : يا نفس السوء مِن قِبَلكِ أُتيتُ ، فانظري لعلكِ لم تقومي بشرائط النصح وآدابه .

وإذا ائتمنك إنسان على شيء فعليك بحفظه أشد مما تحفظه لو كان ملكاً لك .

وعليك بأداء الأمانة ، وإياك والخيانة فيها وقد قال رسول الله ﷺ : ((لا إيمان لمن لا أمانة له)) ، وقال عليه السلام : ((ثلاث متعلقات بالعرش : النعمة تقول : اللّٰهُمَّ إني بك فلا أُكفَر ، والرَّحِم تقول : اللّٰهُمَّ إني بك فلا أُقطَع ، والأمانة تقول : اللّٰهُمَّ إني بك فلا أخان)) .

وعليك بصدق الحديث وبالوفاء بما عاهَدْتَ عليه ووعَدْتَ به ، فإنَّ نقض العهود والخُلف في الوعود من أمارات النفاق ، وفي الحديث : ((آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان)) ، وفي رواية : ((وإذا عاهد غَدَر وإذا خاصَمَ فَجَر)) .

وعليك بالحذر من المِراء والجِدال ، فإنهما يُوغِران الصدور ويُوحِشان القلوب ويولِّدان العداوة والبغضاء ، فإن ماراك أو جادلك مُحق فعليك بالقبول منه ؛ لأن الحق أحقُّ أن يتبع ، أو مبطل فعليك بالإعراض عنه ؛ لأنه جاهل والله تعالى يقول : ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وعليك بترك المزاح رأساً ، فإن مزحت نادراً على نيةِ تطييب قلبِ مسلمٍ فلا تقُل إلا حقاً ، قال رسول الله ﷺ : ((لا تُمار أخاك ولا تمازحه ولا تعِده موعدةً فتخلفه)) .

وعليك بإجلال المسلمين وتوقيرهم لا سيما أهل الفضل منهم كالعلماء والصلحاء والشرفاء ومن له شَيبة في الإسلام .

وإياك أن تُروِّع أحداً من المسلمين أو تخيفه أو تستهزئ به أو تسخر منه أو تنظر إليه بعين الإستحقار ، فإنَّ هذا كله من الأخلاق المشؤومة والأفعال المذمومة . وقد قال رسول الله ﷺ : ((بحسب امرئ من الشر أن يَحقِر أخاه المسلم)) .

وعليك بالتواضع فإنه من أخلاق المؤمنين .

وإياك والتكبر ، فإن الله لا يحب المتكبرين ، ومن تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ، قال رسول الله ﷺ : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر)) ، وقال عليه السلام : ((الكِبْر بَطَرُ الحق)) يعني : رَدّه ، و((غَمْط الناس)) يعني : احتقارهم .

ومَن نظر إلى نفسه بعين التعظيم وإلى غيره بعين الإستصغار فهو من المتكبرين .

وللمتواضعين والمستكبرين أَمَارات تميز بعضهم عن بعض ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾.

فمِن أَمارات التواضع حُبُّ الخمول وكراهية الشهرة وقبول الحق ممن جاء به من شريف أو وضيع .

ومنها محبة الفقراء ومخالطتهم ومجالستهم .

ومنها كمال القيام بحقوق الإخوان حسب الإمكان ، مع شكر مَن قام منهم بحقه وعُذْر من قَصَّر .

ومِن أَمارات التكبر محبة التصَدُّر في المجالس والمحافل والتقَدُّم على الأقران ، وتزكية النفس والثناء عليها ، والتشدق في الكلام والتبجُّح بالآباء ،

والإختيال والتبختر في المشية ، وترك الوفـاء بحقـوق الإخـوان مـع مطـالبتهم بالحقوق .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بإقراء السلام على كل من تعرفه ومن لا تعرفه من المسلمين ، وإذا سَلَّمتَ على أحد منهم فلم يَرُدَّ عليك فلا تسيء به الظن ، وقل : لعله لم يسمع أو لعله رَدَّ فلم أسمعه .

وإذا دخلت بيتك فسَلِّم على أهلك ، وإذا دخلت مسجداً أو بيتاً وليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا لقيت مسلماً فاجتهِد أن تبدأه بالسلام قبل أن يُسَلِّم عليك . قيل لرسول الله ﷺ : ((إذا لَقِيَ المسلمُ المسلمَ فأيهما يبدأ بالسلام ؟ قال : أوْلاهما بالله)) ، وفي الحديث : ((يسلِّم الراكبُ على الماشي ، والقائمُ على القاعد ، والصغيرُ على الكبير ، والقليلُ على الكثير)) .

وعليك بتشميت العاطس إذا حمد ، فإن لم يحمد فذَكِّره بقولك : الحمد لله . ولا تدخل على بيت غيرك حتى تستأذن أولاً ، فإن استأذنت ثلاثاً فلم يُؤذن لك فلا تُعِد الاستئذان، وإذا ناداك مسلم فأجبه بالتلبية .

وإذا دعاك إلى طعامه فلا تترك الإجابة إلا لعذر شرعي ، وإذا أقسم عليك أن تفعل شيئاً أو تتركه فبِرَّ قسمه ما لم يكن فيه معصية لله . ولا تسأل أحداً

بالله شيئاً ، وإن سُئلت بالله شيئاً فإياك أن تمنع ، قال رسول الله ﷺ : ((ملعون من سُئل بالله فلم يَعط)) .

وعليك بعيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، وبزيارة إخوانك المسلمين في الله كلما اشتقت إليهم ، وبمصافحتهم عند اللقاء ، وسؤالهم عن أحوالهم ، والسؤال عمن غاب منهم ؛ فإن كان مريضاً عُدتَه ، وإن كان في شغل أَعَنتَه إن استطعت وإلا دَعَوتَ له .

وعليك بحسن الظن بجميع المسلمين ، واحذر أن تسيء الظن بأحد منهم ، قال عليه الصلاة والسلام : ((خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله)) .

وغاية حسن الظن بالمسلمين أن لا تعتقد الشر في شيء من أفعالهم وأقوالهم وأنت تجد له محملاً في الخير ، فإن لم تجد له محملاً في الخير كالمعاصي فنهاية حسن الظن بمرتكبيها أن تنهاهم عنها وتظن بهم أنَّ إيمانهم يحملهم على الانتهاء عنها وترك الإصرار عليها بالتوبة منها .

وغاية سوء الظن بالمسلمين أن تعتقد السوء في أفعالهم وأقوالهم التي ظاهرها الخير ، (ومثال ذلك) أن ترى مسلماً يُكثر الصلاة والصدقة والتلاوة فتظن به أنه ما فعل ذلك إلا مرائياً للناس وحرصاً على المال والجاه ،

وهذا الظن الفاسد لا يصدُر إلا من ذي طَويَّة خبيثة ، وهو من أخلاق المنافقين ، وقد قال الله تعالى في وصفهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ، أي يرمونهم بالرياء . وقال ﷺ: ((أكثروا من ذِكْر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون)) .

وعليك بالإكثار من الدعاء والإستغفار لنفسك ولوالديك وقرابتك وأصحابك خصوصاً ، ولسائر المسلمين عموماً ، فإنَّ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب . وقال ﷺ : ((دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب : دعوة المظلوم ، ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب)) .

وقال عليه السلام : ((إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال المَلَك : آمين ولك بمثله)) ، وقال ميمون بن مهران رحمه الله : من استغفر لوالديه بعد كل مكتوبة فقد قام بالشكر لهما الذي أمره الله به في قوله : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وورد أنَّ من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعاً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب دعاؤهم ، وبهم يُرزق العباد ويُمطرون وهذا وصف الأولياء .

واعلم أنَّ حقوق المسلم على المسلم كثيرة ، فإذا أردت القيام بها على وجهها ؛ فعامل المسلمين في غَيبتهم وحضورهم بما تحب أن يعاملوك به ، وجاهِد نفسك ووطِّن قلبك على أن تحب لهم من الخير ما تحب لنفسك ، وتكره لهم من الشر ما تكره لنفسك . وقد قال رسول الله ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) ، وقال رسول الله ﷺ : ((المسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)) ، ((وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) .

وقال يحي بن معاذ رحمه الله : إذا لم تستطع أن تنفع المسلمين فلا تضرهم ، وإذا لم تستطع أن تَسُرَّهم فلا تَسؤْهم ، وإذا لم تستطع أن تُفرِحَهم فلا تَغُمَّهُم ، وإذا لم تستطع أن تمدحهم فلا تذمهم . وقال سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : كن مع الحق كَأَنْ لا خلق ، وكن مع الخلق كَأَنْ لا نَفْس ، وقال بعض السلف : الناس مُبتلى ومُعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واشكروا الله على العافية . والحمد لله رب العالمين .

* * * * *

فصل

وعليك بالتوبة من كل ذنب سواء كان صغيراً أو كبيراً ، ظاهراً أو باطناً ؛ فإنَّ التوبة أول قَدَم يضعها العبد في طريق السلوك وهي أساس جميع المقامات ، والله يحب التوابين . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور : ٢٢٢] ، وقال رسول الله ﷺ : ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)) ... الحديث .

واعلم أن التوبة لا تصح بدون ترك الذنب ، والندم على فعله ، والعزم على أن لا تعود إليه ما عشت .

وللتائب الصادق علامات منها رقة القلب وكثرة البكاء ولزوم الموافقة وهجر قرناء السوء ومواطِن المخالفة .

وإياك والإصرار ، وهو أن تُذنِبَ ثم لا تتوب على الفور ، والواجب على كل مؤمن أن يحترز من المعاصي صغائرها وكبائرها كما يحترز من النيران المحرقة والمياه المغرقة والسموم القاتلة ، ولا يفعل الذنب ولا يقصده ، ولا يتحدث به قبل وقوعه ، ولا يفرح به بعد الوقوع ، فإذا وقع فيه كان الواجب عليه ستره وكراهته والمبادرة بالتوبة منه في الحال .

وعليك بتجديد التوبة في كل حين ، فإنَّ الذنوب كثيرة ، والعبد لا يخلو في ظاهره وباطنه من معاصٍ عديدة وإن حسنت حالته واستقامت طريقته ودامت طاعته، وحسبك أن رسول الله ﷺ كان مع عصمته وكماله المطلق يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في كل يوم أكثر من سبعين مرة .

وعليك بالإكثار من الاستغفار آناء الليل وآناءَ النهار ولا سيما عند الأسحار، وقد قال رسول الله ﷺ : ((مَن لَزِمَ الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضِيقٍ مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب)) .

وأكثِر أن تقول : رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، فقد كانوا يعدون لرسول الله ﷺ من هذا الذكر المبارك في المجلس الواحد قريباً من مائة مرة .

وعليك بدعوة ذي النون عليه السلام وهي : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فقد ورد أنها اسم الله الأعظم ، وأنه لا يقولها مهموم ولا مغموم إلا فرج الله عنه قال الله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] .

وعليك بالرجاء والخوف ، فإنهما من أشرف ثمرات اليقين ، وقد وصف الله بهما عباده السابقين فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧] ، وقال رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ((أنا عند ظن عبدي بي فلْيظنَّ بي ما يشاء)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : قال الله تعالى: ((وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أَمْنَيْنِ ولا خَوفَين ، إن هو أمِنَني في الدنيا أَخَفْتُه يوم أبعث عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادي)) .

وأصل الرجاء معرفة القلب بسعة رحمة الله وَجُوده وعظيم فضله وإحسانه وجميل وعده لمن عمل بطاعته ، فيتولد من هذه المعرفة حالة فرح تسمى الرجاء ، وثمرته المقصودة منه كثرة المسارعة في الخيرات ، وشدة المحافظة على الطاعات فإنَّ الطاعة هي السبيل الموصلة إلى رضوان الله وجنته .

وأما الخوف فأصله معرفة القلب بجلال الله تعالى وقهره وغناه عن جميع خلقه وشديد عقابه وأليم عذابه اللّذَينِ تَوعَّد بهما من عصاه وخالف أمره ، فيتولد من هذه المعرفة حالة وجَلٍ تسمى الخوف ، وثمرته المقصودة منه ترك المعاصي وشدة الاحتراز منها ، فإنَّ المعصية هي الطريق الموصلة إلى سخط الله ودار عقوبته .

وكل رجاء وكل خوف لا يحملان على فعل الموافقات وترك المخالفات معدودان عند أرباب البصائر من التُّرَّهات والتهويسات التي لا حاصل لها ولا طائل تحتها ، فإنَّ من رجا شيئاً طَلَبَه ، ومن خاف شيئاً هَرَبَ منه لا محالة .

واعلم أن الناس ثلاثة : (عبدٌ) قد أناب إلى ربه واطمأنت نفسه به وانقشعت ظلمات شهواته بإشراق أنوار قربه ، فلم تَبقَ له لذة إلاَّ في مناجاته ، ولا راحة إلا في معاملته ، فصار رجاؤه شوقاً ومحبة ، وخوفه تعظيماً وهيبة .

(وعبدٌ) لا يأمن على نفسه من التقاعد عن المأمورات والركون إلى المحظورات، والذي ينبغي لهذا العبد استواء الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحَي الطائر ، وفي الحديث: ((لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)) ، وهذا حال أكثر المؤمنين .

(وعبدٌ) قد غلب عليه التخليط واستولى عليه التفريط ، فاللائق به غلبة الخوف عليه لينزجر عن المعاصي ؛ إلا عند الموت فينبغي أن يكون رجاؤه غالباً على خوفه لقوله عليه الصلاة والسلام : ((لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)) .

وعليك إذا تكلمت في الرجاء مع العامة بالإقتصار على ذِكْر الرجاء المقيَّد ، وهو أن تذكر الوعد الجميل والثواب الجزيل المتوقف على فعل الحسنات و ترك السيئات .

واحذر أن تخوض معهم في الرجاء المطلق ، وذلك مثل أن تقول : العبد يذنب والرب يغفر ، ولولا الذنوب لم يظهر عفو الله وحلمه ، وما ذنوب الأولين والآخرين في سعة رحمة الله إلا كنقطة في بحر لجّيٍّ ونحو ذلك . وهذا الكلام حق ولكنه يضر بالعامة ، وربما أغراهم بركوب المعاصي فتكون أنت السبب في ذلك ، وما كل حق يقال ، ولكل مقام رجال .

وإياك والقنوطَ من رحمة الله والأمنَ من مكر الله ، فإنهما من كبائر الذنوب ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر : ٥٦] ، وقال : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

والقنوط عبارة عن تمحُّض الخوف حتى لا يبقى للرجاء وجودٌ ألبتة .

والأمن عبارة عن تجرد الرجاء حتى لا يبقى للخوف وجود بحال .

فالقانِط والآمِن جاهلان بالله ، واقعان لا محالة في ترك الطاعة وفعل المعاصي ؛ فإن القانط يترك الطاعة لأنه يرى أنها لا تنفعه ، والآمِن يرتكب المعصية بظنه أنها لا تضره . نعوذ بالله من دَرْك الشقاء وسوء القضاء .

وإياك وأماني المغفرة القاطعةَ عنها ، وهي ما تسمعه على لسان طائفة من المغترين من قولهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وهو غنيٌّ عنا وعن أعمالنا ، وخزائنه مملوءة بالخير ، ورحمته وَسِعَت كل شيء، مع إصرارهم

على فعل المعاصي وترك الأعمال الصالحة ، وكأنهم يقولون بلسان أحوالهم إن الطاعات لا تنفع وإن المعاصي لا تضر ؛ وهذا بهتان عظيم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ﴾ [النجم : ٣١] ، وقال رسول الله ﷺ : ((الكَيِّسُ مَن دَانَ نفسه وعَمِل لما بعد الموت ، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني)) .

ولو أنك قلت لواحد من هؤلاء المغرورين : اقعد عن الكَسْب والتجارة والله تعالى يأتيك برزقك لَسخِر منك ، وقال : ما رأينا شيئاً يجيء إلا بالسعي والطلب ، بل بالكدِّ والنصَب، مع أن الله تعالى قد تكفل له بالدنيا ولم يتكفل له بالآخرة ، فهل ذلك إلا انعكاس وانتكاس على أُمِّ الرأس !

وقد قال الحسن البصري رحمه الله : إنَّ أماني المغفرة قد لَعِبَت بأقوامٍ حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ، يعني من الأعمال الصالحة ، قال رحمه الله : إن المؤمن جمع إحساناً وخوفاً ، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً ، فالمؤمن لا يصبح إلا خائفاً ، ولا يمسي إلا خائفاً ، يعمل ويقول :لعلي أنجو ! والمنافق يترك العمل ويقول سواد الناس كثير وسوف يغفر لي . انتهى .

وقد كان الأنبياء والأولياء مع كمال معرفتهم بالله وحسن ظنهم به وصلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم أو عدمها بالكلية في غاية من الخوف والإشفاق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالصبر فإنه مِلاك الأمر، ولا بد لك منه ما دُمتَ في هـذه الدار، وهو من الأخلاق الكريمة والفضائل العظيمة، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال رسول الله ﷺ: ((الصبر أمير جنود المؤمن))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((في الصبر على ما تكره خير كثير))، وفي وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: ((واعلم أنَّ النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)).

واعلم أن السعادة موقوفة على حصول القُرْب من الله، وحصوله موقوف على اتباع الحق واجتناب الباطل أبداً، والنفس مجبولة بأصل فطرتها على كراهية الحق والميل إلى الباطل، فلا يزال مَن هَمُّه تحصيل السعادة في حاجة إلى الصبر؛ تارةً بحمل النفس على اتباع الحق، وأخرى بحملها على اجتناب الباطل.

والصبر على أربعة أقسام:

(أولها) الصبر على الطاعات ، ويحصل باطناً بالإخلاص وحضور القلب فيها ، وظاهراً بلزومها والدوام عليها والدخول فيها بنشاط والإتيان بها على الوجه المشروع . ويبعث على هذا الصبر ذِكْرُ ما وعد الله على فعل الطاعات من الثواب عاجلاً وآجلاً ، ومن لزم الصبر على هذا الوجه وصل إلى مقام القرب ، وهناك يجد في الطاعات من الحلاوة واللذة والأنس ما لا يوصف ، وينبغي لمن حصل له هذا الأمر أن لا يسكن إليه دون الله .

(وثانيها) الصبر عن المعاصي ويحصل ظاهراً باجتنابها والبعد عن مظانها ، وباطناً بترك تحدث النفس بها وميلها إليها ؛ لأن أول الذنب خَطْرة . وأما تَذَكُّر الذنوب السالفة ، فإن كان يحصل به خوف أو ندم فهو حسن وإلا فتركه أحسن ، ويبعث على هذا الصبر تذكر ما توعد الله به على المعاصي من العقاب عاجلاً وآجلاً ، ومن واظب على الصبر على هذا الوجه أكرمه الله بوجود الأَنَفَة من المعاصي كلها حتى يصير دخول النار أهون عليه من ارتكاب أدناها .

(وثالثها) الصبر على المكاره وهي نوعان :

(الأول) ما يحصل من الله بلا واسطة كالأمراض والآفات وذهاب الأموال وموت الأعزة من الأقارب والأصحاب ، ويحصل باطناً بترك الجَزَع وهو التبرُّم والتضجر ، وظاهراً بترك الشكوى إلى الخلق ، ولا يناقضه وصف

العلة للطبيب وفيضان العين عند المصيبة ، نعم يناقضه لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة ونحو ذلك .

ويبعث على هذا الصبر العِلْمُ بأن الجزع مؤلم في نفسه وهو مع ذلك مُفَوِّتٌ للثواب وموجب للعقاب ، وأن الشكوى إلى من لا يستطيع أن ينفع نفسه ولا أن يكشف عنها ضراً من الحماقة وهذه صفة كل مخلوق ، ومع ذلك فالشكوى دالة على عدم الاكتفاء بالله الذي بيده ملكوت كل شيء ، وذِكْر ما في الصبر على المصائب والعاهات والفاقات من الثواب ، وأنَّ الله تعالى أعلم بما يصلح له من نفسه . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٧] .

ومن لزم الصبر على هذا الوجه ذَوَّقَهُ الله حلاوة التسليم ، وروَّحه بروح الرضا ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذِكْر الرضا فيما بعد .

(والنوع الثاني) من المكاره ما يكون مِن قِبَل الخَلْق من الأذى في النفس أو العِرض أو المال .

ويحصل كمال الصبر على ذلك بكف النفس عن بغض المؤذي إن كان مسلماً ، وعن حبِّ الشر له ، وكف اللسان عن الدعاء عليه وترك المؤاخذة له

رأساً ؛ إما حلماً واحتمالاً أو عفواً وصفحاً ، اكتفاءً بنصرة الله في الأوَّل ورغبةً في ثوابه في الثاني .

ويبعث على هذا الصبر العلمُ بما ورد في فضل كظم الغيظ واحتمال الأذى والعفو عن الناس ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((من كظم غيظاً ولو شاء أن يُنفِذَه لنفذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً)) . وقال عليه السلام : ((ينادي منادٍ يوم القيامة ليقم من أجره على الله فيقوم العافُون عن الناس)) .

ومن لزم الصبر على هذا الوجه أكرمه الله بحُسْن الخُلُق وهو رأس الفضائل ومِلاك الكمالات .

وقال ﷺ : ((لاشيء أثقل في الميزان من حسن الخلق ، وإنَّ العبد لَيبلغ بحسن خُلُقه درجة صاحب الصلاة والصيام)) .

وقال عليه السلام : ((أحبُّكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خُلُقاً)) .

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى : حُسْن الخُلُق بَسْطُ الوجه وبَذْلُ المعروف وكف الأذى .

وقال الإمام الغزالي نفع الله به : حسن الخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الجميلة بسهولة .

(ورابعها) الصبر عن الشهوات وهي كل ما تميل النفس إليه من مباحات الدنيا ، ويحصل كمال الصبر عنها بكف النفس باطناً عن التفكير فيها والميل إليها ، وظاهراً بكفها عن طلبها والتعريج عليها ، ويبعث على هذا الصبر العلمُ بما في طلب الشهوات وتناولها من الشغل عن الله وعن عبادته ، ومن التعرض للوقوع في الشبهات والمحرَّمات ، ومن هَيَجَان الحرص على الدنيا وحب البقاء فيها والتمتع بشهواتها ، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : تَرْك شهوةٍ واحدة أنفع للقلب من عبادة سنة ، ومن أدمن الصبر عن الشهوات أكرمه الله بإخراج حبها من قلبه حتى يصير يقول كما قال بعض العارفين : أشتهي أن أشتهي لأترك ما أشتهي فلا أجد ما أشتهي ، وبالله التوفيق .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالشكر لله على ما أنعم به عليك، وما بك من نعمة في ظاهرك وباطنك ودينك ودنياك إلا وهي من الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ولله عليك من النعم ما تعجز عن عدِّه وإحصائه فضلاً عن القيام بشكره ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ولو أن الفقير المريض من الموحدين تفكَّر فيما لله عليه من النِّعَم لشغله أداء شكره عن مكابدة الصبر، فعليك ببذل الاستطاعة في شكر ربك، ثم بالاعتراف بالعجز عن القيام بما يجب عليك من شكره.

واعلم أن الشكر سببٌ لإبقاء النعم الموجودة ووسيلة إلى حصول النعم المفقودة. قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، والله تعالى أكرم من أن ينزع نِعَمَه عن شاكر. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، أي بترك الشكر عليها، وقد أمر الله عباده بشكره في عدة مواضع من كتابه، قال الله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ [سبأ: ١٥]، وقال عليه الصلاة

والسلام : ((ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً)) ، وقال عليه السلام : ((الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر)) .

واعلم أنه كما يجب عليك أن تشكر الله على النعم الخاصة بك كالعلم والصحة، كذلك يجب عليك أن تشكره على النعم العامة كإرسال الرسل وإنزال الكتب ورفع السماء وبسط الأرض .

وأصل الشكر معرفة القلب بالنعم ، وأنها من الله وحده لم يصل إليه شيء منها بحوله وقوته بل بفضل الله ورحمته . وغاية الشكر أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك ، فإن لم تطعه بها فقد تركتَ الشكر عليها ، وإن عصيتَه بها فقد وقعتَ في الكفران ، وعنده تتبدل النعم بالنقم ، ومن بَقِيَت عليه نعمة مع عصيانه لله بها فهو مُستدرَج . قال الله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم : ٤٤] ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

وفي الحديث : ((إن الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ)) .

ومن الشكر كثرة الثناء على الله ، والفرح بالنِّعَم من حيث أنها وسيلة إلى نيل القُرب من الله ، أو من حيث أنها دالة على عناية الله بعبده .

ومن الشكر تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة ، يروى عن الله أنه قال لبعض أنبيائه : إذا سُقتُ إليك حبة مسوَّسة فاعلم أني قد ذكرتك بها فاشكرني عليها .

ومن الشكر التحدث بالنعم من غير خروج إلى ما يوهم تزكية النفس في الدينيات والتبجح بالدنيا في الدنيويات ، والأعمال بالنيات والخير كله في الاقتداء بالسلف الصالح في جميع الحالات والله تعالى أعلم .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالزهد في الدنيا فإنه بشير السعادة ومَظهر العناية وعنوان الولاية ، وكما أن حب الدنيا رأس كل خطيئة كذلك يكون بغضها رأس كل طاعة وحسنة ، ويكفيك مُزَهِّداً في الدنيا أن الله تعالى سمَّاها في عدة مواضع من كتابه العزيز : ﴿ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

وقال الحسن رحمه الله تعالى : متاع الغرور كخُضْرة النبات ولُعبِ البنات ، وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله تعالى : متاع الغرور اسم للجيفة المنتنة ، وقد حصر الله تعالى الدنيا في اللهو واللعب اللذَّين لا يلتفت إليهما عاقل ولا يُعرِّج عليهما إلا كل غبي جاهل ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [الأنعام : ٣٢] إلى غير ذلك .

واعلم أن الزهد في الدنيا لأهله نعيم عاجل ، ولا يستطيعه إلا من شرح الله صدره بإشراق أنوار المعرفة واليقين ، قال ﷺ : ((إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح)) ، قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : ((نعم : التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود)) .

وقال ﷺ : ((الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)) .

وأصل الزهد معرفة القلب بحقارة الدنيا وخستها ، وأنها لو كانت تَزِن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها ، وأن من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر .

وثمرة هذه المعرفة المقصودة منها ترك المَيْل إلى الدنيا باطناً وترك التنعم بشهواتها ظاهراً .

وأدنى درجات الزهد أن لا يقع بسبب الدنيا في ركوب معصية ولا في ترك طاعة . وأعلى درجاته أن لا يتخذ من الدنيا شيئاً حتى يعلم أن أَخْذَه أحب إلى الله من تَرْكه ، وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة .

وللزاهد الصادق علامات منها : أن لا يفرح بالموجود ، ولا يحزن على المفقود من الدنيا ، ومنها أن لا يشغله طلب الدنيا والتمتع بها عما هو خير له عند ربه .

وعليك بإخراج حب الدينار والدرهم من قلبك حتى يصير عندك بمنزلة الحجر والمدر ، وبإخراج حب المنزلة عند الناس من قلبك حتى يستوي عندك

مدحهم وذمهم وإقبالهم وإدبارهم ؛ فإنَّ حب الجاه أضر على صاحبه من حب المال ، وكلاهما دالآَّن على الرغبة في الدنيا، وأصل حب الجاه حب التعظيم ، والعظمة من صفات الله فهو منازعة للربوبية ، وأما حب المال فإنما أصله حب التمتع بالشهوات وذلك من صفات البهائم . وقد قال عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى : ((العَظَمةُ إزاري والكِبْرياءُ ردائي فمن نَازَعَني واحداً منهما قذَفْتُه في النار)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((ما ذئبان جائعان أُرسِلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم)) .

وعليك بإيثار التقلل من الدنيا والإقتصار على ما لا بد منه من مَلابِسها ومَآكلها ومَناكِحِها ومَساكِنها وسائر أمتعتها .

وإياك أن تتسع في شهواتها وتدعي مع ذلكَ الزهد ، وتحتج لنفسك بالحجج الداحضة عند الله تعالى ، وتطلب لها التأويلات البعيدة عن الحق ، وإعراضُ رسول الله ﷺ والأنبياء قبله والأئمة بعده عن التنعم بالدنيا مع القدرة عليه من الحلال لا يخفى على من له أدنى معرفة بالعلم . وإذا لم تقدر على الزهد في الدنيا فما عليك أن تعترف بالرغبة فيها والحرص عليها ، ولستَ مأثوماً إلا على طلبها والتمتع بها على وجه محرم في الشرع ، والزهد مقام فوق ذلك .

وليت شعري لو أن الله تعالى فرض علينا التوسع في الدنيا فمِن أين لنا القدرة عليه في زمان عز فيه ما يواري العورة ويسد الجوعة من الحلال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالتوكل على الله، فإنَّ من توكل على الله كفاه وأغناه وتولاه ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] ، والتوكل من ثمرات صدق التوحيد وثباته في القلب واستيلائه عليه ، قال الله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ [المزمل: ٩] . فانظر كيف بدأ بإثبات الربوبية ثم بإثبات الانفراد بالإلهية ثم أمرنا بالتوكل عليه جل وعلا ، فلم يبق في تركه عذر للبَرِيَّة ، وقد أمر الله عباده بالتوكل عليه ورغَّبَهم فيه بقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١] ، وبقوله تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وقال رسول الله ﷺ : ((لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصاً وتروحُ بِطَاناً)).

واعلم أنَّ أصل التوكل على الله معرفة القلب بأنَّ الأمور كلها بيد الله ما ينفع منها وما يضر وما يسوء منها وما يسر ، وأنَّ الخلق لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، أو على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

ويُشترط لصحة التوكل أن لا تعصي الله بسببه ، وأن تجتنب ما نهاك عنه وتفعل ما أمرك به معتمداً في جميع ذلك عليه ومستعيناً به ومفوضاً إليه .

ولا يقدح في توكلك دخولك في شيء من الأسباب الدنيوية إذا كنت معتمداً على الله دونه .

نعم مَن صدق توكله ضَعُف دخوله في الأسباب الدنيوية، وأما التجرد عنها بالكلية فلا يحمد إلا في حق من دام إقباله على الله ، وطَهُر قلبه عن الالتفات إلى غير الله ، ولم يُضيِّع بسببه من هم عيال عليه من خلق الله، قال رسول الله ﷺ : ((كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول)) .

واعلم أن الادخار والتداوي من الأمراض لا يقدحان في أصل توكل من يعلم أن المغني والنافع والضار هو الله وحده ، وقد ادخر رسول الله ﷺ لعياله لبيان الجواز ، وأما هو ﷺ فما كان يدخر لنفسه شيئاً إلى غد ، وربما ادخر له غيره فنهاه عند الشعور به . ولما سُئل عليه الصلاة والسلام عن السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من أمته فقال : ((هم الذين لا يَستَرْقون ولا يَكتوون ولا يَتَطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون)) .

وللمتوكل الصادق ثلاث علامات :

(الأولى) أن لا يرجو غير الله ولا يخاف إلا الله، وعلامة ذلك أن لا يدع القول بالحق عند من يُرجى ويُخشى عادة من المخلوقين كالأمراء والسلاطين .

(والثانية) أن لا يدخل قلبه همّ الرزق ثقةً بضمان الله ، بحيث يكون سكون قلبه عند فقد ما يحتاج إليه كسكونه في حال وجوده وأشد .

(والثالثة) أن لا يضطرب قلبه في مظان الخوف علماً منه أن ما أَخطَأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه .

ومن هذا القبيل ما حُكي أن سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به كان يتكلم في القَدَر ، فسقطت عليه حية عظيمة ، ففزع الحاضرون فَرَقاً ، فالتفَّت على عنق الشيخ ودَخَلَت من أحد كُمَّيه وخَرَجَت من الآخر والشيخ نفع الله به ثابت لم يضطرب ولم يقطع كلامه .

وقيل لبعض الشيوخ وقد طُرح للسَّبُع ليأكله فلم يؤذه : في أي شيء كُنتَ تفكر حين طُرحت للسبع ؟ قال : في حكم سُؤْر السِّبَاع من العلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالحب في الله حتى يصير سبحانه أحب إليك مما سواه بل حتى لا يصير لك محبوب إلا إياه .

وسبب وجود الحب من جهة المحبوب إما وجود كمال فيه أو حصول نوال منه .

فإن كنتَ ممن يحب لأجل الكمال ؛ فالكمال والجمال والجلال لله وحده لا شريك له في شيء من ذلك ، وما يلوح على صفحات بعض الموجودات من معنى كمالٍ أو يبدو عليها من رَوْنَق جمالٍ فهو المُكَمِّل والمُجَمِّل لها سبحانه وتعالى ، بل هو المُوجِد لها والمخترع ، ولولا أنهُ أنعم عليها بالإيجاد لكانت مفقودة معدومة ، ولولا ما أفاض عليها من أنوار جمال صنعته لكانت قبيحة مشئومة .

وإن كنت ممن يحب لأجل النوال فلست ترى إحساناً ولا تشاهد امتناناً ولا ترى إكراماً ولا تبصر إنعاماً عليك وعلى سائر الخلق إلا والله تعالى هو المتفضل بجميع ذلك بمحض الجود والكرم ، فكم من خير قد أسداه إليك ! وكم من نعمة قد أنعم بها عليك ! فهو سيدك ومولاك الذي خلقك وهداك ، والذي له مماتك ومحياك ، والذي أطعمك وسقاك ، وكفلك ورباك وأسكنك

وآواك ، يرى القبيح منك فيستره ، وتستغفره منه فيغفره ، ويرى الجميل منك فيكثره ويظهره ، وتطيعه بتوفيقه ومعونته فيُنَوِّه باسمك في الغيوب ، ويقذف تعظيمك وحبك في القلوب ، وتعصيه بنعمته فلا يمنعه وجود العصيان عن إفاضة الإحسان ، فكيف ينبغي لك أن تحب غير هذا الإله الكريم ؟ أم كيف يحُسن منك أن تعصي هذا الرب الرحيم ؟

واعلم أن أصل المحبة المعرفة ، وثمرتها المشاهدة ، وأدنى درجاتها أن يكون حب الله تعالى هو الغالب على قلبك ، ومحك الصدق في ذلك أن لا تجيب أحب الخلق إليك إذا دعاك إلى ما يكون سخط الله في فعله كالمعاصي أو في تركه كالطاعات . وأعلى درجاتها أن لا يصير في قلبك حب لغير الله ألبتة . وهذا عزيز ودوامه أعز منه ، وعند دوامه تضمحل البشرية بالكلية ، وعنه ينشأ الاستغراق بالله الذي لا يبقي معه شعور بالوجود وأهله بحال .

واعلم أن محبة رسول الله ﷺ وسائر أنبياء الله وملائكته وعباده الصالحين وما يعين على طاعته كل ذلك من محبته تعالى . قال ﷺ : ((أحِبُّوا الله لما يَغذُوكم به من نِعَمِه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي)) ، وقال عليه الصلاة والسلام عن الله : ((وَجَبَت محبتي للمتحابّين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ)) .

وللمحبة الصادقة علامات أجلُّها وأعلاها كمال المتابعة للرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وبحسب المحبة لله تكون المتابعة لحبيب الله ، إن كثيراً فكثير وإن قليلاً فقليل ، والله على ما نقول وكيل .

* * * * *

فَصْلٌ

وعليك بالرضا بقضاء الله تعالى ، فإن الرضا بالقضاء من أشرف ثمرات المحبة والمعرفة ، ومن شأن المحب أن يرضى بفعل محبوبه حُلواً كان أو مُراً ، وقد قال ﷺ عن الله: ((مَن لم يرضَ بقضائي ولم يصبر على بلائي فليلتمس رباً سواي)).

وقال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رَضِيَ فله الرضا ومن سَخِطَ فله السَّخَط)).

فالواجب عليك أيها المؤمن أن تعلم وتعتقد أن الله تعالى هو الذي يهدي ويُضل ويُشقي ويُسعد ويُقرِّب ويُبعد ويُعطي ويَمنع ويُخفض ويَرفع ويُضر ويَنفع ، فإذا عَلِمتَ ذلك وآمنتَ به فالواجب عليك أن لا تعترض على الله في شيء من أفعاله لا ظاهراً ولا باطناً ، ولسان الاعتراض أن تقول لِمَ كان هذا ، ولأي شيء كان هذا ، وهَلَّا كان هذا كذا ، وبأي ذنب استحق فلان ما جرى عليه .

فمَن أجهلُ ممن يعترض على الله في مُلكه وينازعه في سلطانه ، وهو مع ذلك يعلم أنه تعالى هو المنفرد بالخلق والأمر والحكم والتدبير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، بل الواجب

عليك أن تعتقد أن جميع أفعال الله تعالى وَقَعَت على وجهٍ لا أحْكَمَ منه ولا أعدل ولا أفضل منه ولا أكمل .

وهذا حكم الرضى بأفعال الله تعالى على وجه الإجمال ، وأما على وجه التفصيل ، فإن الأمور التي تخصك على قسمين :

(منها) ما يلائمك كالصحة والغنى وهذا القسم لا يتصور فيه سخط إلا من حيث نظرك إلى من فُضِّل عليك في ذلك ، فالواجب عليك عنده أن ترضى بما قسم الله لك من حيث أن له سبحانه وتعالى أن يفعل في ملكه ما يشاء ، أو من حيث أنه تعالى قد اختار لك ما هو الأصلح لك والأنسب لحالك وهذا أكمل .

(ومنها) ما لا يلائمك كالمصائب والأمراض والآفات فحرام عليك أن تتبرم بشيء من ذلك أو تجزع عنده ، بل الأكمل لك أن ترضى وتُسلِّم ، فإن لم تستطع فلتصبر ولتحتسب ، قال النبي ﷺ : ((أُعبد الله تعالى بالرضا ، فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير)) .

وليس من الرضا في شيء ما يجده بعض الأغبياء من الطمأنينة عند ترك بعض المأمورات وارتكاب بعض المحظورات ، فإنَّ فعل المعاصي وترك الطاعات مما يُسخط الله تعالى ، فكيف يرضى هو بشيء لا يرضى الله به ، قال الله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن

تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧]، وإنما رضي هذا المسكين عن نفسه وظن أنه رضي عن ربه، والرضا عن الله وعن النفس يَبعُد أن يجتمعا في موطن واحد.

وما أحسن ما قاله الإمام الغزالي رضي الله عنه في رسالته إلى أبي الفتح الدمشقي رحمه الله: الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطناً، وتفعل ما يرضيه ظاهراً. فإن أراد العبد أن يعرف ما عنده من الرضا فلْيَلتَمسْه عند نزول المصائب وورود الفاقات واشتداد الأمراض، فسوف يجده هناك أو يفقده.

وكثيراً ما تسمع من سَفلة أبناء الزمان حين يقال لهم: ما لكم تتركون الطاعات وتفعلون المحرمات؟ فيقولون: هذا شيء قد قضاه الله علينا وقدَّره لنا ولا محيص لنا عنه وإنما نحن عبيد مقهورون، فهذا هو مذهب الجَبْرية بعينه، ومُنتَحِلُه قائل بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله: لا فائدة في إرسال الرسل وإنزال الكتب، ويا عجباً كيف يصدر ممن يدعي الإيمان الإحتجاج لنفسه على ربه ولله الحجة البالغة على جميع خلقه، أم كيف يرضى المؤمن لنفسه أن يتشبه بالمشركين القائلين: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٤٨] أَوَلَا يسمع ما رد الله عليهم به إذ يقول لنبيه: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. ثم إنه لا يسع المشركين إذا رجعوا إلى الله أن يحتجُّوا بهذه الحُجَّة الداحضة عند الله، بل يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا

قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾ [السجدة: ١٢].

واعلم أن الدعاء والإلحاح فيه لا يقدح في الرضا، بل هو من الرضا، كيف والدعاء مُعْرِب عن التحقق بالتوحيد، وهو لسان العبودية وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذل والافتقار، ومَن تحقق بهذه الأوصاف عَرَف وَوَصَل، وعلى غاية القرب من الله حَصَل، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: ((إن الدعاء مُخُّ العبادة وسلاح المؤمن ونور السماوات والأرض، وإنَّ مَن لا يسأل الله يغضب عليهم)). وقال مولانا جلَّت قدرته: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠].

وما وقع من الخليل عليه السلام من الإمساك عن الدعاء حين طُرِح في النار، إنما ذلك لسرٍّ يَختَص بتلك الحال، وإلا فقد حكى الله عنه الدعاء في مواضع عديدة من كتابه، بل لم يَحْكِ عن أحد من الأنبياء أكثر مما حكاه عنه، فتَفَقَّه في كتاب الله واستَخْرِج العلوم منه، فإنها بجملتها مودَعة فيه، لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جلي ولا خفي. قال الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي

ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

* * * * *

خَاتِمَةٌ

(في وصايا إلهية ، وردت بها أخبار قدسية ، وآثار صحيحة مروية)

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : ((يا عِبادي إني حَرَّمتُ الظلم على نفسي ، وجعلتُه بينكم مُحَرَّماً فلا تَظَالموا ، يا عِبادي كُلُّكُم ضالٌّ إلا من هديتُه فاستهدوني أهْدِكُم ، يا عِبادي كُلُّكم جائعٌ إلا مَن أطعمتُه فاستَطعِموني أُطعِمكُم ، يا عِبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستَكسُوني أَكسُكُم ، يا عِبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عِبادي إنكم لن تَبلُغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ، يا عِبادي لو أن أَوَّلَكم وآخرَكم وإِنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عِبادي لو أن أَوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجَر قلبِ رجلٍ واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عِبادي لو أن أَوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا في صَعيدٍ واحد فسألوني فأعطَيتُ كلَّ واحد منكم مَسأَلتَه ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المَخِيط إذا أُدخِل البحر ، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أُحصِيها لكم ثم أُوَفِّيكم إياها ، فمَن وَجَد خيراً فليَحمَد الله ، ومَن وَجَد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه)).

وقال ﷺ: ((إن الله أوحى إليَّ أنْ تَواضَعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يَبغي أحدٌ على أحد)).

وقال ﷺ: ((رأيتُ ربي في المنام فساق الحديث إلى أن قال : يا محمد ، قلت : لبيك . قال : إذا صلَّيتَ ، فقل: اللّٰهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردتَ بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون)).

وقال ﷺ : ((قال الله تعالى : ابن آدم قم إليَّ أَمْشِ إليك ، وامْشِ إليَّ أُهَرولُ إليك ، ابن آدم اذكُرني ساعةً من أول النهار وساعة من آخره أكفيك ما بين ذلك ، ابن آدم لا تعجز أن تصلي لي أربع ركعات من أول النهار أَكْفِكَ آخرَه))، وأوحى الله إلى آدم عليه السلام : ((أربع خصال فيهن جِمَاع الخير لك ولولدك ، خصلة لي وخصلة لك وخصلة فيما بيني وبينك وخصلة فيما بينك وبين عبادي ، أما التي هي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً ، وأما التي هي لك فعملك أَجزِيكَ به ، وأما التي هي فيما بيني وبينك فعليك الدعاء وعَليَّ الإجابة ، وأما التي هي فيما بينك وبين عبادي فتَصحَبَهم بما تحب أن يَصحَبُوك به)).

وفي صحف إبراهيم عليه السلام : ((وعلى العاقل أن يكون ممسكاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه ، وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات : فساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يُفضي فيها إلى

إخوانه اللذين يُبَصِّرونه بعيوب نفسه ، وساعة يُخلِّي فيها بين نفسه وشهواتها))
يعني المباحة .

وفي التوراة : (يا ابن آدم) لا تعجز أن تقوم بين يَدَيَّ مُصَلِّياً فأنا الله الذي اقتربتُ إليك وبالغيب رأيتَ نوري . وفي بعض كتب الله المنزلة : (يا ابن آدم) خلقتُك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفَّلتُ لك برزقك فلا تتعب ، (يا ابن آدم) اطلُبْني تَجِدْني ، فإنك إذا وَجَدتَني وجدتَ كل شيء ، وإذا فُتُّكَ فَاتَك كُلُّ شيء ، فأنا أحب إليك من كل شيء ، (ابن آدم) أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون ، أَطِعْني أَجعَلكَ تقول للشيء كن فيكون .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : (يا ابن عمران) كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً ، فكل خدن وصاحب لا يوازرك على مَسَرَّتي فهو لك عدو (يا موسى) مَالَكَ ولدار الظالمين فليست لك بدار ، أَخرِج عنها همك وفَارِقها بقلبك فبئست الدار هي ، إلا لعامل عمل فيها الخير فنعمت الدار هي ، (يا موسى) إني مرصد للظالم حتى آخذ منه لمن ظلمه ، (يا موسى) إذا رأيتَ الغِنى مقبلاً فقل : ذنب عُجِّلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً قل : مرحباً بشعار الصالحين . (يا موسى) لا تَنسَ ذِكْرِي ، فعند نسيانه تكثر الذنوب . ولا تجمع المال ، فإنَّ جمعه يقسي القلب (يا موسى) قل للظالمين لا يذكروني فإنهم إذا ذكروني أذكرهم باللعنة ؛ لأني آليتُ على نفسي أن أذكر مَن ذَكَرني .

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : قل لقومك لا يدخلوا مداخل أعدائي ولا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يركبوا مراكب أعدائي ولا يطعموا مطاعم أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: كن بي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً (يا داود) قل للصديقين من عبادي : بي فليفرحوا ، وبذِكْري فليتنعموا (يا داود) حَبِّبني إلى عبادي . قال : يا رب ، وكيف أُحَبِّبك إلى عبادك ؟ قال : ذَكِّرْهم آلائي . (يا داود) مَن رد إليَّ هارباً كتبتُه جهبذاً ، (يا داود) إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ، (يا داود) لا تسأل عني عالِماً قد أسكَرَته الدنيا فيضلك عن سبيلي أولئك قُطَّاع الطريق على عبادي ، (يا داود) اعمل بعمل الأبرار ، ولا تَبَسَّم في وجوه الفجار ، وخالِط أَوِدَّائي مخالطةً ، وخالِف أعدائي مخالفة ، (يا داود) كن للأرملة واليتيم كالأب الشفيق أَزِيدُ في رزقك وأُكَفِّر عنك ذنبك ، (يا داود) غُضَّ طَرفَكَ وصُنْ لسانك فإني لا أحب الفاسقين . وأَكثِر من الإستغفار لنفسك وللخاطئين .

وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : اذْكُرني إذا غضبتَ أَذْكُرْكَ إذا غضبتُ فلا أمحقك فيمن أمحق . وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأبدان نقية ، وأخبرهم أني لا أستجيب لهم دعوة ولأحد من الخلق قِبَلَهم مَظلَمَة .

وأوحى إليه أيضاً : يا ابن مريم ، عِظْ نفسك ، فإن اتَّعَظت فعِظ الناس ، وإلا فاستح مني .

وفي بعض الآثار عن الله تعالى : ((قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويلبسون للناس مُسوك الكباش ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أَمَرُّ من الصبر ، أَبِي يغتَرُّون ؟، أم عَلَيَّ يجترئون ! فإني حَلفْتُ لأبعثَنَّ على أولئك فتنة، تترك الحليم منهم حيران)) .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : إذا رأيتَ الفقراء فَسَائِلْهُم كما تُسائِل الأغنياء ، فإن لم تفعلْ فضَعْ كل شيء عَلَّمتُك تحت التراب .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود ، قل لأوليائي وأحبائي : ليفارق كل واحد منهم صاحبه ، فإني مؤنسهم بذِكْري ، ومحادثهم بأُنسِي ، وكاشف الحجاب فيما بيني وبينهم ينظرون إلى عظمتي ، فأَبلِغْ يا داود عني أهل الأرض : أَنِّي حبيبٌ لمن أحبني ، وجليسٌ لمن جالسني ، ومؤنسٌ لمن استأنَسَ بي ، وصاحبٌ لمن صاحَبَني ، ومطيعٌ لمن أطاعني ، ومختارٌ لمن اختارني ، فهلُمُّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومعاملتي ، فأنا الله الجواد الماجد ، أقول للشيء كن فيكون .

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : عبدي هب لي من عينيك الدموع ومن قلبك الخشوع ثم ادعني أستجب لك وأنا القريب المجيب ،

عبدي قف على المدائن والحصون وأبلِغهُم عني كلمتين ، قل لهـم : لا يـأكلون إلا طَيِّباً ، ولا يتكلمون إلا الحق ، وإذا أراد أحد منهم الدخول في أمـر فليتـدبر عاقبته فإن كان خيراً فليُمضه وإن كان شراً فلا يأته .

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لبني إسرائيل يحفظوا عني حرفين ، قل لهم ليرضوا بدنيء الدنيا لسلامة دينهم كما رضي أهل الدنيـا بـدنيء الديـن لسلامة دنياهم .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح ، فإذا جَنَّهُ الليـل أَوَى إلى كهـف من الكهوف استئناساً به واستيحاشاً ممن عصاني (يـا مـوسى) إني آليـتُ على نفسي أن لا أُتِمَّ لمُدبِرٍ عـني عمـلاً ، ولأَقطَعَـنَّ أمـلَ كل مَـن يؤمِّـل غـيري ، ولأَقصِمَنَّ ظهر من استند إلى سِواي ، ولأُطِيلَنَّ وحشة مـن اسـتأنس بغـيري ، ولأُعرِضَنَّ عمَّن أَحَـبَّ حبيبـاً سـواي (يـا مـوسى) إنَّ لي عبـاداً إن نـاجَوْني أصغَيتُ إليهم ، وإن نادَوْني أقبلتُ عليهم ، وإن أقبلوا عليَّ أدنَيتُهم ، وإن دَنَـوا مني قرَّبتُهم ، وإن تقرَّبوا مني اكتنفـتُهم ، وإن والَـوْني وَالَيـتُهم ، وإن صـافَوْني صـافَيتُهم ، وإن عملـوا لي جـازَيتُهم ، أنـا مُـدَبِّرُ أمـورهم ، وسـائسُ قلـوبهم وأحوالهم ، لم أجعل لقلوبهم راحة إلا في ذِكْري ؛ فهو لأسـقامهم شـفاء ، وعلى قلوبهم ضياء ، لا يستأنسون إلا بي ، ولا يحطُّون رحال قلوبهم إلا عندي ، ولا يستقر بهم قرار إلا إليَّ .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام : (يا داود) بَشّر المذنبين وأَنذِر الصديقين . فقال : وكيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين ؟ فقال : بشر المذنبين أنه لا يتعاظمني ذنب أن أغفره ، وأنذر الصديقين أن لا يَعجَبوا بأعمالهم فإني لا أضع عَدْلي ولا حسابي على أحد إلا هَلَك . (يا داود) كتبتُ الرحمة على نفسي ، وقضيتُ المغفرة لمن استغفرني . أغفر الذنوب جميعها صغيرها وكبيرها ، ولا يكبر ذلك عليَّ ولا يتعاظمني ، فلا تُلقُوا بأيديكم إلى التهلُكة ولا تَقنَطوا من رحمتي ، فإن رحمتي وسِعَت كل شيء ورحمتي سبقت غضبي ، وخزائن السماوات والأرض بيدي والخير كله بيدي . ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه ؛ ولكن لتعلم قدرتي ، ويعلم الناظرون في حكم تدبيري وصنعي . (يا داود) اسمع مني والحق أقول : من لقيني من عبادي وهو يخاف عذابي لم أعذبه بناري (يا داود) اسمع مني والحق أقول : من لَقِيَني من عبادي وهو مُستحٍ من معاصيه أَنسَيتُ حفظَتَه ذنبَه ولم أساله عنه (يا داود) اسمع مني والحق أقول : لو أن عبداً من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوباً وهو مصرٌّ عليها ، ثم ندم واستغفرني مرة واحدة وعلمتُ من قلبه أنه لا يريد أن يعود إليها أبداً ألقَيتُها عنه أسرع من هبوط الطائر من السماء إلى الأرض ، قال داود : إلهي لك الحمد ، من أجل ذلك لا ينبغي لمن يعرفك أن يقطع رجاءه عنك .

اللَّهُمَّ آتنا من لدنك أجراً عظيماً واهدنا صراطاً مستقيماً ، واجعلنا من الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

* * * * *

قال المؤلف قدس الله سره ونور ضريحه ونفع المسلمين به : وكان الفراغ من تأليفها في أحد شهور سنة تسع وستين وألف (١٠٦٩) من الهجرة النبوية ، على صاحبها وهو سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا محمد رسول الله وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، ما بَقِيت الليالي والأيام . والحمد لله رب العالمين .

* * * * *





مقتطفات من كتاب تثبيت الفؤاد الأم

قال الشيخ الأحسائي نقلاً عن الشيخ عبدالعظيم باشراحيل :

وسمعته يقول : العارف تنطق جميع أعضاؤه بالجلالة ، وينظر كذلك ، لكن حجاب الشريعة منعه عن الكلام . و قال لي يوماً : اِتَّقِ من يغضب اللهُ لغضبه و يرضى لرضاه ، فإنه عبد يدعو إلى الله بالصدق فاقبل منه النصيحة .

وقال الشيخ عبدالعظيم : قال رضي الله عنه :

اظفر بمجالسة الملوك ، فإن لم تستطع فجالس جلساء الملوك ، فإن لم تستطع أيضاً فجالس جلساء جلساء الملوك لئلا يفوتك شيء من بركاتهم ، والملوك هم أهل الله الذين غلب عليهم تعظيمه ومحبته . ولذلك قال رضي الله عنه : يحصل للعبد عند مجالسة أهل الله - لكن بالأدب و التعظيم - ما لا يحصل له في غيرها من القُرب ، لأنه يُعطى من الهمم العلوية والنفحات الربانية والرحمة الواسعة ما لا يخطر له على بال .

قال الشيخ الأحسائي :

وقد جرَّبتُ أن حال الجلوس في مجلس سيدنا تلقاءه وأنت تنظر إلى وجهه الشريف أنه لا تخطر لك الدنيا على بال ، ولو بُشِّرت بحضور كثير من المال ، بل لو دعيت إلى مُلك جهة لتكون ملكاً فيها لا يميل الخاطر إليها مع ترك رؤيته . انتهى ما سنح لنا نقله من نقل عبدالعظيم عن سيدنا فإنه كان من أول الناقلين من كلامه .

ا.هـ. ((تثبيت الفؤاد)) الأم



أولاً : رسالة المريد

الصفحة | الموضوع

* * * * *

ثانياً : رسالة المذاكرة

الصفحة الموضوع

* * * * *

ثالثاً : رسالة المعاونة

الصفحة	الموضوع

* * * * *

هذا الكتاب

كلما غاص الإنسان في بحر من بحور هذا الإمام، لا يعود إلا ظافراً بكل خير، ومزوداً بالكثير من الدرر والجواهر، من الكنوز الثمينة الراكدة في قعــر ذلك البحر، منتظرة من يستخرجها ويبحث عنها (ومن لم يُحكم الغوص ما جاء بالجواهر).

وكلام الإمام الحداد الذي جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن عبد الكريم الإحسائي، وسماه (تثبيت الفؤاد) مليء بهذه الدرر، ومشحون بالكثير من تلك الجواهر التي لا زالت في أصدافها، وقد قام الإمام العلامة الحبيب أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد (حفيد المؤلف)، باستخراج الكنز الأكبر من هذا البحر، حيث استصفى منه معظم كلام جده، وسماه باسم الأصل (تثبيت الفؤاد) وهو المطبوع في مجلدين، والمتداول بين الناس، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولاشك أن الحبيب أحمد بن حسن قد اطلع على هذه التعليقات القيمة في مجموع الإحسائي التي قالها جده الإمام الحداد على رسائله الثلاث حينما كانت تقرأ عليه في مجالسه. ولعل الحبيب أحمد ترك هذه التعليقات ولم يضمها إلى المجموع الذي استخلصه لأسباب ظهرت له، أو تركها مؤملاً أن يعود إليها في وقت آخر، فلم يتمكن لأمر أراده الله (وكم ترك الأول للآخر) وربما أنه تركها متعمداً لتبقى كنزاً مدفوناً للذرية والأتباع من بعده، ليستخرجوا كنوزهم عندما يبلغون أشدهم، رحمة من ربك من باب (وما فعلته عن أمري).

وذلك لأن هذه الكنوز والذخائر لا تظهر كلها دفعة واحدة، مثلها كمثل الكنــوز الأرضيــة (كآبار النفط) تظهر شيئاً فشيئاً بعد البحث والتنقيب، في الزمن الذي قدر الله ظهورها فيه في سابق علمه فكل شيء عنده بمقدار (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم).

وقد وفق الله بعض الإخوان من أحفاد هذا الإمام وأسباطه(*)، فغاصوا في ذلك البحر الزخار، وصارعوا الأمواج في تلك البحار، حتى ظفروا بهذه الكنوز الثمينة وهي التعليقات المذكورة التي تطبع لأول مرة بعد انتشالها من قعر ذلك المحيط، الذي ظلت راكدة فيه أكثر من ٣٠٠ سنة وقدر الله ظهورها على يد هؤلاء الإخوان، فهنيئاً لهم بهذا التوفيق وأكثر الله من أمثالهم.

وتمتاز هذه التعليقات بكونها للإمام الحداد نفسه وليس لغيره، فهي تعتبر جزءاً من هذه الرسائل الثلاث ومكملة لها، لأنها كلها مصدرها واحد، والرسائل الثلاث بدون هذه التعليقات تعتبر كالحسناء بدون زينة وبدون تجمل، وكالحروف بدون نقاط، وهذه التعليقات تبدي زينتها، وتوضح مفاتنها، وتضع النقاط على الحروف.

عبد القادر الجيلاني بن سالم الخرد

(*) وهما الأخوان الكريمان:

السيد [illegible]مد بن شيخ بن عيدروس الحداد (من أحفاد المؤلف).

[illegible]ان بن يحيى بن أحمد العيدروس (من أسباط المؤلف).